

اختلال التوازن العالمي



الدكتور عوشتاف لوبون

وقته الى العربية .

الوكيل
صالح الدين مصطفى

جميع الحقوق محفوظة للمطبوع

عن بلشره

شيخ يوسف توما البستاني

صاحب مكتبة العرب

بالنجاة بالبصرة

١٩٢٨

طبعة العرب بالبستاني
ص. لا. ص. ٤

الكتب الآتية تطلب من مكتبة العرب بالفجالة بمصر

لصاحبها الشيخ يوسف توما البستاني

عمرش صاغ مصري

- | | |
|--|-------|
| الرجل الذي لا يعرفه احد بقلم بروسن برتوف | ١٠ |
| الحياة البسيطة بقلم شارل واغثار | ١٠ |
| المواكب لجبران خليل جبران مزين بالصور | ٥ |
| البدائع والطرائف لجبران خليل جبران مزين بالصور | ١٥ |
| دمعة وإتسامة | » » » |
| كلمات جبران خليل جبران | ١٠ |
| كتاب رمل وزبد لجبران خليل جبران | ٥ |
| النبي لجبران خليل جبران | ٨ |
| مذكرات سفير اميركا في الاسنانة عن الحرب العظمى بالصور | ١٠ |
| المارشال هندنبرج جزآن | » |
| لودندرف | » » |
| مدام اسكويث قرينة رئيس الوزارة البريطانية السابق بالصور | » |
| هداية الاطفال وتربية البنين والبنات لحسن توفيق | ١٥ |
| نوادير الحرب العظمى وهي قصص واقعية عن الحرب العظمى | ١٢ |
| الجزء الحادى عشر من دائرة المعارف للبستاني مزين بالصور | ٦٠ |
| راسبوتين الراهب المحتال تعريب أسعد خليل داغر | ٨ |
| المرشد الظريف في طالع الجنس اللطيف وهو فكاهي تعريب الحامى حنا أسعد | ١٢ |
| القوة الفكرية في المنطيسية الشخصية تعريب الحامى حنا أسعد | ٨ |
| تاريخ غليوم الثاني امبراطور المانيا بقلم كريم ثابت | ٥ |

اختلال التوازن العالمي



الدكتور عويشكي لوبون

وقله إلى العربية

صلاح الدين وصفي

جميع الحقوق محفوظة للمغرب

عنى بنشره

شيخ يوسف توما البستاني

صاحب مكتبة العرب

بالقاهرة بمصر

١٩٢٨

مطبعة العرب للبستاني
القاهرة بمصر

٢٢١٢٢
نسخة
٦٥٥

اهداء المترجم

إلى الاستاذ

الدكتور عبد الرحمن بك شربندر

سيدى .

إذا عدد أبناء البلاد العربية أسماء الاشخاص الذين خدموا
ويخدمون قضية بلادهم بعزم ثابت ونية صادقة بما أوتوه من
ضمير حي وإحلاص أكيد . وبما حصلوا عليه من ثقافة وافرة
وعلم غزير . فانهم يذكرون اسمك الكريم بين أوائل الأسماء
التي يعدونها .

فاسمح إذن لأحد أولئك الأبناء أن يقدم إليك مترجمه
هذا إقراراً بفضلك واعترافاً بجليل أعمالك في سبيل بلادك
دمشق الشام
صلاح الدين وصفي

الهداء المؤلف

إلى القائد الشهيد

الجنرال شارل مانجي

في مدة تلك الأيام المظلمة ، أيام «فرودن» التي أعانت بصيرتك الحارقة وبسالتك النادرة أثناءها على تبديل وجهة القدر .
قد تناولت منك يا عزيزي الجنرال صورة دكرتني في كلمة إهدائها إلي بأنك أحد بلاميندي وقد أكدت لي عندئذ بأن بذور المعرفة والثقافة التي ألقيتها في ذلك الحقل الواسع ، حقل العلم .
قد فادت خطاك إلى سواء السبيل عندما كنت تهيء وسائل النصر البات والظفر الجازم الذي انعقدت راياته فوق رؤوسنا في الثامن عشر من شهر تموز عام ١٩١٨ وأثناء الاعمال التي تلت ذلك الانتصار . ولما كان المشتغل بعلم النفس ندر أن يسعده الخط بالعتور على تلميد مثلك لكي يطق آراءه ومبادئه فيتوجب عليه والحالة هذه أن يحفظني قلبه نحو ذلك المهيذ أشدعواطف الامتنان وأحرها .

فأنا أفصح عن هذه العاطفه باهداء هذا الكتاب اليك ما

غوستاف لوبون

توطئة

عالة العالم اليوم

ان المدينيات الحديثة تتراعى بشكلين ، وبين هذين الشكلين من التباين والاختلاف ما يجعلها يبدو ان لو أمكن النظر اليهما عن أحد الكواكب السيارة البعيدة كأنها ينتسبان لعالمين مقترقين عن بعضهما تمام الافتراق

فأحد هذين العالمين هو عالم العلم وتطبيقاته ، وهو عالم تشع من الهياكل والأركان التي يتألف منها أنوار ساطعة تبهر الأناظر وتخطف الأبصار ، وتلك هي أشعة الوفاق والوئام والمتبقة المحضة الناصعة

أما العالم الآخر فهو الموح المظلم الذي تمثل عليه الحياة السياسية والاجتماعية ، والهياكل المتداعية التي يقوم عليها بناء هذا العالم محاطة بضروب الأوهام والأضاليل والأغراض ، وهو عرضة لأن يتهم تهماً لا صلاح له بعده إذا ما صار مرشحاً لبعض الوقائع الهائلة .

فهذا التباين الجلي في مظاهر المدينيات العظيمة المختلفة يحمل على الاستنتاج بأن كلا من هذه المظاهر مشكل من عناصر لا تجانس بينها ولا تتبع نظاماً واحداً أو مقياساً خاصاً .

ان الأمور التي تدير دقة الحياة الاجتماعية هي تلك الاحيايات والمواطف والذوافع الطبيعية التي تنوقلت بالوراثنة وكانت في كثير من الاجيال الادلة الوحيدة التي قادت البشرية في معارج الحياة ، وموضع الاتباع في سيرها وأعمالها

على أن السير في هذا المضمار نحو التكامل بقي بطيئاً فان الشح والحسد والمهملية والشحناء وغيرها من المواطف التي كانت تسير أجدادنا لا تزال هي هي .

وفد بقي الانسان على ممر الاجيال التي كشف العلم مبلغ كثير منها وتعددها ضئيل الفرق عن العالم الحيواني الذي كان عليه يوماً أن يدمقه بمراحل من اوجهة الفكرية .

أه في ميدان الحياة العضوية فرغاً عن بقائنا متساوين مع الحيوانات ، فاننا في دائرة التعمور الحي لا نتقدمها إلا تقدماً ضئيلاً للغاية . فتفوقنا لم يكن عظيماً جداً إلا في مضمار الذكاء فقط . وبواسطة الذكاء تنازبت أجزاء اليابسة من بعضها وانتشرت

!الفكار بسرعة البرق من نصف الكرة الارضية الواحد إلى
نصفها الآخر .

لكن الذكاء الذي يأتي بذلك القدر من الاختراعات
والاكتشافات في المخابر العلمية لم يؤثر حتى الآن على الحياة
الاجتماعية إلا تأثيراً ضئيلاً ، لأن الذكاء قد بقي تحت سيطرة
كثير من الميول الشديدة والدوافع المتقدمة التي لا تتبع سلطان
العقل . فكما أن الميول الجنونية تمكنت من الاحتفاظ بسيطرتها على
أرواح الشعوب في القرون الغابرة فهي كذلك لا تزال تدير حركات
هذه الشعوب وتسيطر عليها .

ان تفهم الحوادث يكاد لا يكون ممكناً إلا إذا نظر بعين
الاعتبار الى الفوارق العميقة التي تفرق بين الميول المتأثرة بالعاطفة
أو بالموامل الاعتقادية Mystique وبين المؤثرات العقلية ، فبذلك
يمكن تحليل الأسباب التي جعلت الكثيرين من ذوي الذكاء
الفارط في كل زمان يتقبلون أسخف المعتقدات الصببانية كهبادة
الافصى أو بعض أنواع الزواحف المسمى (مولوك Moloch) مثلا .
بل لا تزال الآن ملايين من البشر تحت تأثير أحلام وخيالات
بعض مشاهير أهل الخرافة الذين جاوعوا بهتائف دينية أو سياسية .

فقد غدا في يد الاوهام الشيوعية في هذه الأيام من القوة ما يكفي
للقضاء على امبراطورية عظيمة وتهديد جلة بلاد وممالك
كما أن من جراء ضعف سيطرة الذكاء على دائرة العواطف
وأينا أثناء الحرب الاخيرة بعض الذين نالوا من الثقافة قسطاً وافراً
للغاية يحرقون الكاتدرائيات والمعابد العظيمة ويقتلون الشيوخ
وينهبون البلاد وذلك لجرد لثة الاذى والتخريب في نفوسهم

اننا نجمل الدور الذي سيمثله العقل يوماً على مسرح حوادث
التاريخ فاذا كان الذكاء لا يقوم بسوى خدمة أغراض الميول المتأثرة
بالمعاطفة أو بالعوامل الاعتقادية التي لا تزال تدير دفة العالم فيقدم لها
وسائط للاتلاف والتخريب هي في كل يوم أشد فعلاً وأعظم تأثيراً من
حيث الاذى والضرر فان مدينتنا العظيمة ستؤول إلى مثل العاقبة
التي آلت اليها الامبراطوريات الاسيوية العظيمة ، تلك
الامبراطوريات التي لم تنفعا سلطاتها الواسعة وقواها العظيمة في
الخلاص من أيدي الفناء والتي تغطي الرمال اليوم آثارها
وأبقاضها الاخيرة

فمؤرخو المستقبل سيقولون ولا شك عندما يفكرون في الاسباب
والعوامل التي أدت لخراب الجمعيات الحديثة أن عواطف الذين

دافعوا عن هذه الجماعات لم تكامل بنفس السرعة التي تكامل فيها
ذكاؤهم فتلاشت لذلك هذه المدنيات .

ان جزءاً من الاضطراب في القضايا الاجتماعية التي تحرك حياة
الامم اليوم ناتج عن المشاكل التي أوجدها التوفيق بين المصالح
والغايات المتعارضة المتضادة

فالاختلاف قد يوجد بين الشعوب في أيام السلم أيضاً بل قد
يوجد بين طبقات مختلفة لشعب واحد ، لكن ضرورات الحياة
توفق في النهاية بين المصالح المتضاربة وتجعلها تتوازن ، وهي إن لم
تبحث وفقاً تاماً فلها تبحث شبه وفاق .

على ان هذا الوفاق الذي هو دوماً غير ذي قرار لا يدوم بعد
الاضطرابات العميقة كلالاضطرابات التي حدثت أثناء الحرب العامة،
اذ أن عدم التوازن يجل إذ ذاك مكان التوازن فالعواطف والمعتقدات
والمصالح المتعاكسة بتملصها من القيود الأولى تظهر للوجود من جديد
وتتصادم بشدة .

فبينه الصورة لقد دخل العالم منذ بدء الحرب في صفحة عدم
توازن وهو لما ينتج بعد في الخروج منها .

وبسبب ادعاء الشعوب والاشخاص الذين يديرون دفة أموره

أنهم يحاولون انهاء المشا كل التي هي جديدة تماماً بواسطة القواعد القديمة فقد بقيت حالة الفوضى أو عدم التوازن ضاربة أطناها بأكثر من ذى قبل لأنه يستحيل اليوم حل المشا كل الجديدة بتلك الطرائق القديمة

ان الأوهام المتأثرة بالعواطف وبالعوامل الاعتقادية التي سببت نشوب الحرب لا تزال مسيطرة أيضاً في أيام السلم . فهذه الأوهام قد جلبت لأوربة هذا الظلام الدامس الذي تتخبط فيه الآن ، وهي لما تهتد بعد الى قيس تلمس فيه طريقاً يخرجها من الظلمات إلى النور .

انه لأجل التخلص من الأخطار التي يرى المستقبل محاطاً بها يجب درس القضايا التي تظهر للعيان من كل صوب وتدقيق رد الفعل الذي ستولده كل منها درساً مجرداً عن تأثير العواطف والأوهام وغرض هذا الكتاب هو القيام بهذه المهمة .

ان هذا المستقبل بيدنا لأنه في الواقع يتكون ويتها منا وفيناء ، ولما كان المستقبل كالماضي غير معين ، فن الممكن أن يتبدل ويتحور بفعل جهودنا . فلتشء الذي هو الآن ميسور الإصلاح يغدو في المستقبل ، مستحيله ، كما أن للعرض (الصدقة) أي الأسباب المجهولة تأثيراً عظيماً جداً على سير الأيام ، لكن هذا التأثير لم يكن يوماً ليحول بين الشعوب وبين تعيينها بنفسها مستقبلها ومقدوراتها ما

الكتاب الاول عمم التوازن السياسي

الْفِضْلُ الْأَوَّلُ

تطور المثل الاعلى وتطامه

لقد درست في كتيبي أكثر من مرة تأثير المثل الأعلى الكبير في حياة الأمم ومع ذلك يتوجب علي الرجوع إلى هذا البحث هنا أيضاً . لأن فكرة كون الحالة الراهنة عبارة عن تنازع أمثلة عليا متباينة تزداد تحقّقاً يوماً بعد يوم . فقد ظهرت في الحقيقة أمام الأمثلة العليا الدينية والسياسية القديمة التي ضعفت ساططتها أنواع حديثة من الأمثلة العليا تحاول أن تقوم مقام تلك

ان التاريخ يرى بسهولة ان كل أمة لا يشترك أفرادها بالميل والمصالح ولا يدينون بمعتقدات متماثلة ليست سوى غبار مشكل من أشخاص لا رابطة بينهم ولا بقاء ولا قوة لهم .

فأرابطة التي تخرج شعباً من ظلام الممحية إلى نور اللهية
نحصل بتقبل أفراد ذلك الشعب لأمثلة عليا واحدة . أما الفتوح
والاحتلالات التي تحدث عرضاً فلا يمكن أن تقوم مقام هذا
الامر التوحيدى .

ان الامثلة العليا التي فيها القدرة على التوحيد بين أرواح أفراد
الأمة على أنواع : فذهب أهل روما القديما يقوم على عبادة الرب
وأمل الدخول إلى الجنة والح وبما أنه كان واسطة أجر وثواب
فقد كان له هذا التأثير نفسه منذ تسخيره القلوب لأمره .

فالشعب بسعيه وراء مثل أعلى يستطيع التأثير على الأرواح
يحيا حياة سعيدة ، وإذا ما ضعف الايمان بهذا المثل الاعلى يبتديء
ذلك الشعب بالتقرب من الاضمحلال . نأخطأط روما بدأ منذ
الزمن الذى لم يعد الرومانيون فيه يحترمون شرائعهم وآلهتهم
ويقسونها .

ان المثل الأعلى لكل أمة يحوي عناصر عظيمة الثبات كحب
الوطن مثلاً كما انه يحوي عناصر تبدل بين بطن وآخر من حياة
الشعب حسب الاحتياجات المادية والمصلح والأفكار الممكنة من
أذهان القوم .

فاذا دققنا في أحوال فرنسة لوحدها منذ عشرة قرون تقطعت بتضح
لنا أن العناصر التي يتكون منها مثلها الأعلى قد تبدلت أكثر
من مرة ولا تزال هذه العناصر في تبدل مستمر في الوقت
الحاضر أيضاً .

كانت العناصر البدنية زمن القرون الوسطى تفوق العناصر
الآخري على أنه وان كان الدور الذي لعبه النظام الاقطاعي ونظام
الفروسية والحروب الصليبية قد منح تلك العناصر شكلاً خاصاً فز
المثل الأعلى بقي منقلاً بأهداب السماء (الدين) لا يجيد قيد شبر
عن الوجهة التي توجه فيها .

وفي دور التحدد تغيرت المفهومات فبعث عهد القرون الاولى
من علم النسيان وأحدث تبديلاً في الجوف الفكري . ولقد وسع علم
الملك في دائرة ذلك الجوف إذ برهن على أن الأرض التي كانت تفرض
مركز الكائنات ليست سوى جرم سماوي صغير جداً سابح في فضاء
اللانهاية . لكن فكرة وجود الآلهة بقيت بدون شك موجودة في
ذلك الحين أيضاً ؛ لكنها لم تعد هي المثل الأعلى الوحيد، بل لقد
اختلطت معها بعض المشاغل الأرضية أي الدنيوية ، كما أن الصناعات
والعلم كانا يفوقان علم اللاهوت خطورة وأهمية في بعض الأحيان .

وكما كانت الأيام تمر وتنقضى كان المثل الأعلى يتطور ويتكامل أيضاً . فقد انتهى الأمر بالملوك الذين كان الباباوات والزعماء يحددون سلطتهم أن أصبحوا مستقلين مطلقا التصرف وجاء القرن السابع عشر فكانت تشع منه أنوار ملكية مطلقة لا تتعارض مع قوة ما من القوى وسادت الوحدة والنظام في كل مكان . وانصرفت الجهود التي كانت تبذل في سبيل السياسة نحو الآداب والفنون الجميلة فجعلتها تزهر وتزدهر .

واستمر كروار الاعوام ؛ وقام المثل الأعلى بمرحلة جديدة نحو التكامل فبعد الاستبداد الذي ساد في القرن السابع عشر جاء القرن الثامن عشر بفكرة النقد والاصلاح ووضع كل شئ على بساط البحث والتمحيص . ولقد نمت مبدأ الساطة وأضاء حكام الارض الاقدمون نفوذهم الذي كان عماد قوتهم ، وقام مقام الصنوف الحاكمة القديمة كصنف الحكام والملوك والاشراف ، وآل الكهنوت صنف آخر سخر جميع القوى لارادته . وكانت الاعمدة التي قام عليها بناء هذه الطبقة ومنها خصوصا مبدأ المساواة سبباً في انقلاب حدث في اوربة فحولها إلى ساحة حرب وقتال زهاء عشرين سنة

على انه لما كان المائسئ لا يموت في النفوس الا ببطء فقد عادت الافكار القديمة بعد قليل للظهور من جديد ، ودخلت الامثلة

العليا الجديدة في جدال ونضال مع الامثلة العليا القديمة فبقيت فكرة الحكومات المطلقة والاختلالات التي عادت لاهور تتعاقب حتى قرن تقريباً خلا من يومنا الحاضر .

ومع ذلك قد كنا ما بقي من الامثلة العليا القديمة يزول شيئاً فشيئاً بمرور الأيام وجاءت الكارثة التي قلبت العالم رأساً على عقب قبل زمن قليل فزادت في اضعاف النفوذ الضئيل الذي بقي للبقية الباقية من تلك الامثلة العليا . أما الآلهة التي أصبح من الامور الجلية عجزها عن إدارة حياة الامم فقد غدت خيالات أشباح خيم عليها شيء من ظل النسيان . وظهر للناس أن أقدم السلطنات لاقدرة لها في الحقيقة من نفسها وان قوتها وهمية فسخطوا لذلك عليها وهدوا أركانها . وهكذا تحول المتل الأعلى المشترك بين الجماعات مرة أخرى أيضاً .

ان الشعوب التي كانت (مبلوقة) ومغرورة نتجهد الآن وراء استقلالها ومحافظة نفسها بنفسها وهي تدعي انها تريد أن يكون ل'نفوذ المطلق لصنف العمال بدلا من دكتاتورية الآلهة والحكام . لكنه من سوء طالع فئة العمال أن هذا المتل الأعلى الجديد قد ظاهر لحيز الوجود في وقت يكاد رقى العالم الذي تغير بتقدم العلم أن لا يكون ممكناً فيه إلا نحت تأثير الفئة المنثورة . أما في روسيا فقد

كان لا أهمية كثيراً وقتئذ لفقدان فئتمتورة ذات كفاآت عقلية
لكن قدان روسيا اليوم لتلك الفئة هو الذي ألقاها في هوة سحيقة
من العجز

ان من المشاكل التي وقع فيها الجيل الحالي كونه لم يهتد بعد إلى
إيجاد مثل أعلى يستطيع أن يؤلف بين أغلبية العقول .

وقد بذل الديمقراطيون الظافرون كثيراً من الجهود في التفتيش
عن هذا المثل الأعلى الضروري لكن سعيهم كان دوماً عقيم
النتيجة إذ اقترحوا عدة أمثلة عليا لكنه لم يجد أى واحد منها
من الاتباع عدداً يكفي لأن يوفر له أركان السيادة على الأمثلة
العليا الأخرى .

وفي هذه الفوضى العامة تحاول الاشتراكية أن قبض على
زمام أمور العالم لكنه بالنظر لأنها غريبة عن القوانين الأساسية في
علمي النفس والسياسة فهي تتصادم مع العراقيل التي لا تستطيع
الارادات اجتيازها . وعلى هذا فان الاشتراكية لن تستطيع الحلول
مكان الأمثلة العليا القديمة

جاء في الاساطير القديمة أنه كان في مقاطعة (به اوسيا *Biotie*) من
أعمال بلاد اليونان القديمة في الطريق المؤدى لبلدة (ثيب *Thèbes*)

كهف من الكهوف التي حفرتها الايام داخل الصخور كان يعيش فيه وقتئذ كائن عجيب يحاط بالاسرار يورد بعض الاحاجي يتمتعن بها ذكاء الاشخاص فكان يقضى بالموت على الذين لا ينجحون في حلها. فهذه القصة الرمزية تمثل تمثيلا جليا المعنى المشتم الذي تصادفه الشعوب أكثر من مرة في الظروف الحرجة الخطيرة من أيام حياتها حيث لا يبقى امامها الا احد اثنين اما ايجاد حل لذلك المعنى واما الموت. ويمكن القول بأن القضايا العظيمة التي تتعلق بها مقدرات الشعوب لم تكن يوما عويصة أكثر مما هي اليوم.

على انه وان كان الوقت لم يحن بعد لتشييد مثل أعلى جديد فان تعيين العناصر التي ستدخل في بنائه والعناصر التي سيتحتم ادخالها فيه اصبح ممكنا. وعلى ذلك فسفكرس الكثير من صفحات كتابنا هذا لتعيين هذه العناصر ومعالجتها ما



الْفِضْلُ الثَّانِي

النَّاتِجُ السِّيَاسِيُّ

للشطط في الشؤون النفسية

إن خطأ عدم رؤية حوادث المستقبل قبل وقوعها ورؤية الحوادث
الراهنة على غير حقيقتها قد حدث مرات عديدة أثناء الحرب وبعدها
أى منذ الهدنة حتى الآن

أما خطأ عدم فهم الحوادث قبل وقوعها فقد ظهر في كل دور من
دوار الحرب . فإن المانيا لم تتوقع اشتراك انكلترا وإيطاليا وخصوصاً
أميركة بالحرب، وكذلك فرنسا لم تكن أكثر من المانيا إدراكاً للامور
قبل وقوعها فلم تربعين المستقبل أن بلغاريا وروسيا ستسحبان من
ساحة القتال ولم تر أيضاً بعض الحوادث الأخرى قبل وقوعها

أما انكلترا فانها هي أيضاً لم تكن أكثر فطناً وثقافة فقد ألمت
في غير هذا المكان الى أن وزير خارجية انكلترا قد خطب قبل
بمقد الهدنة بثلاثة أسابيع خطبة جزم فيها بأن الحرب ستطول كثيراً

(اختلال التوازن - م - ٢)

أكثر مما طالت هي بالواقع وما ذلك إلا لان هذا الوزير لم يخطر له
أبداً أن الجيش الألماني قد فقد قوته المعنوية

ان من الممكن إدراك صعوبة التكهن عن الحوادث التي ستقع في
المستقبل قبل وقوعها مهما كانت قريبة لكن من الصعب فهم المشاكل
التي يصادفها رجال الحكومات في سبيل الالمام بما يجري في البلاد
الأخرى وهم ينفقون المبالغ الطائلة على موظفين خصوصيين اتدبؤهم
في تلك البلاد ليعطوهم علماً بكل ما يجري فيها

فسبب العمى في بصيرة مأموري الاستخبارات ناشىء ولاشك
عن عجز هؤلاء المأمورين عن ادراك النقاط العامة في الحوادث الخاصة
التي يمكن أن تقع بصرفهم عليها

عدا عن الاخطاء الجسيمة التي ارتكبتها في الشؤون النفسية
وكان خراب الكثير من إالاتنا نمناً لها ، تلك الاخطاء التي لست
هنا لانصرف الى الكلام عنها ، فقد ارتكبت اخطاء أخرى عديدة
منذ الهدنة كانت ذات نتائج هائلة مريمة

أولى هذه الاخطار كانت عدم تسهيل انفصال الدول المختلفة
التي تشكل الامبراطورية الألمانية والذي ابتداء انفصالها عن بعضها
يجري من نفسه عقيب انكسار ألمانيا

والخطأ الثانى هو تسهيل تجزؤ النمسا وتفكك أوصالها فى حين أن مصلحة السلام الأوروبى كانت تقضى باجتنب ذلك مهما كلف أوروبية الأمر

وهناك خطأ ثالث وان يكن اقل شأنًا من السابقين لكنه كان فى الوقت نفسه سيء العقبى ، وهو منع ادخال أكديس البضائع التى صنعتها القبارك الألمانية أثناء الحرب الى فرنسا

لنفحص الآن النتائج التى أتت بها هذه الاحطاء بالتسلسل . إن النتيجة الاولى أم النتائج . لقد قلت وكررت قبل الانتهاء من وضع معاهدة الصلح بزمن طويل ان تسهيل اتقسام المانيا الى دول تفترق كل منها عن الأخرى سياسياً أى ارجاعها الى الحالة التى كانت عايتها قبل عام (١٨٧٠) يأتى بأعظم فائدة للغاية التى ينشدها العالم وهي السلام العالمى

وقد كان هذا الأمر وقتئذ من السهولة بمكان عظيم ما دامت المانيا عقيب انكسارها قد اتقسمت من نفسها لجمهوريات عديدة كل منها مستقلة عن الأخرى

ان هذا الفصل لم يكن اذ ذلك ليعد صنعياً بل على العكس ان الوحدة هى التى كانت صنعية لان المانيا مؤلفة من شعوب مختلفة

تستحق أن يكون كل منها مستقلاً لوحده إذا جرينا على مبدأ القومية (Nationalité) التي ينادى به الحلفاء اليوم ويتمسكون به أشد التمسك .

للتوحيد بين بلاد مقترقة عن بعضها منذ عصور ولا يوجد بين أفراد أهلها من الحب المتبادل إلا النزر اليسير وجعلها كتلة واحدة يقتضى أن يكون على رأسها يد كيد بروسيا الحديدية وأن يدرب أهلها على العيش معاً في معسكر واحد ومدرسة واحدة مدة خمسين سنة

لكن هذه الوحدة لم تحفظها إلا المنافع التي حصل عليها بواسطتها فكان طبيعياً عند ضياع تلك المنافع — وهو نفس ما حدث عقيب الانكسار — أن تتفكك أوصال تلك الوحدة وتؤول إلى تجزؤ واتقسام

كما أنه لو أغريت بعض الجمهوريات التي تأسست حديثاً بشروط صلح أكثر ملاءمة لها وسهل ذلك الأقسام بهذه الوساطة لتقرر التحزؤ الذي حدث من نفسه وتثبت

لكن الحلفاء لم يستطيعوا فهم هذه المسألة لانهم كانوا يظنون ولا شك بأن المنافع التي يحصلون عليها من المانيا متحدة تفوق الفوائد التي يجنونها منها متجزئة

على أن الفرصة التي كانت سانحة قد فاتت الآن . فإن الذين يدبرون دقة المانسا قد استفادوا من التردد الذي لا يتناهى في مؤتمر

الصلح فكونوا وحدتهم من جديد مع بعض الصعوبة
ان الوحدة الراهنة تامة فان المانيا بموجب القانون الاساسى الجديد
هي امبراطورية تكاد تكون منقسمة الى بضع دول حرة متساوية
بالحقوق إذ أن هذا الاتقسام ظاهري محض لان كل ما يتعلق بالتشريع
عائد لامبراطورية كما أن استقلال تلك الدول المتحدة عن بعضها أقل
منه في الحقيقة عما قبل الحرب، وبالنظر لان تلك الدول ليست سوى
إيالات بسيطة للامبراطورية فهي مستقلة عن بعضها استقلالاً ضئيلاً
بدرجة استقلال الإيالات الفرنسية القليل عن حكومة باريس المركزية
إن التبدل الحقيقي الوحيد الذي أجرى في الوحدة الألمانية الجديدة
هو انه لم يبق لبروسيا ذلك التفوق الذي كان لها وقتئذ

إن الخطأ السياسى الذى قام على تسهيل اضمحلال النمسا كان
أسوأ عاقبة فان امبراطورية النمسا وان كانت في الواقع في فوضى واضطراب
لكنها كانت حكومة ذات تقاليد وأوضاع وأنظمة وبكامة واحدة
لم تكن بنت أشهر أو منين بل هي مما لا يتسع المجال لبنائه إلا
للقرن الطويلة والعصور الكثيرة
فلو كان الحلفاء في أعمالهم أقل خيالاً وأكثر دراية لظهرت لهم
ظهور الشمس في رابعة النهار ضرورة المحافظة على امبراطورية النمسا

ان اوروبا ادركت منذ الآن كما أن مرور الايام سيزيدها ادراكا
ماسيكافها اقسام النمسا الى دويلات لا منابع الثروة فيها ولا مستقبل لها،
الى دويلات لم تكد تتشكل حتى دخلت في حروب طاحنة مع بعضها
هذا وان الاضطرابات الجديدة التي ستخلقها جميع هذه الدويلات
في اوروبا هي التي حلت البرلمان الاميركي على عدم الاعتراف بجمعية
الامم والاشترك بها لان اشترك الولايات المتحدة بها سيضطرها
للتسخرل والتوسط في النزاع والحصام الرأبجية سوقه في البلقان بين شعبه
غير القابلة للتمدن

ان لاضمحلال النمسا نتائج اخرى اسوأ عاقبة من النتائج السابقة
أولاها في الحقيقة سيكون توسع المانيا بانضمام البلاد التي يسكنها
التسعة او العشرة ملايين المانيا الذين يمثلون البقية الباقية من امبراطورية
النمسا القديمة اليها . فان هؤلاء الالمانيين بالنظر لشعورهم بضعفهم
يولون اليوم وجوههم شطر المانيا ويطلبون الالتحاق بالبلاد الالمانية
نم إن الحلفاء يمانون في هذا الالتحاق إلا انه كيف يتاح لهم
ان يمانوا في ذلك دوماً مادام النمساويون الذين هم من اله. صر الالمانى
يستندون بطلبهم الالتحاق بالمانيا على المبدأ نفسه مبدأ القوميات
الذي ينادى به الحلفاء بلاء أفواههم والذي يجول كل امة حكم
نفسها بنفسها ؟

ان التاريخ مملوء بسرد المصائب التي تنتج عن الافكار المغلوطة وأماننا الآن نتيجة من نتائج خطر الرأي فبدأ القومية الذي يراد الاستعاضة به عن مبدأ التوازن يتراءى من الوجهة العقلية المنطقية صواباً جداً لكنه يصبح هو والصواب على طرفي تقيض عند ما ينظر بعين الاعتبار الى أن البشر مسيرون بتأثير العواطف والاهواء والمعتقدات وقليل جداً بتأثير العقل والصواب

أي تطبيقات يمكن اجراؤها على مبدأ القوميات الخيالي في بلاد فيها شتى العناصر واللغات والاديان وبين اهل البلد والآخر بل بين أهل القرية والآخرى بل حتى بين أهل القرية الواحدة ممن ينتمون اليها من العداوة والبغضاء المتأصلتين في النفوس منذ قرون ما جعاهم لا يفكرون إلا بان يفتك بعضهم ببعض ؛

ثالث الاخطاء التي عددناها حتى الآن هو عدم السماح للبضائع الالمانية التي كدمستها فبارك المانيا زمن الحرب من الدخول الى فرنسا بعد عقد الهدنة بكل الوسائط الممكنة وهو من أعظم العوامل التي سببت دوام غلاء المعيشة

لكن هذه الممانعة لم تكن بالطبع نتيجة قرارات مؤتمر الصلح بل هي نتيجة قرار حكومتنا وحدها

كما انه لم يرتكب هذا الخطأ أيضاً غير الحكومة الفرنسية فقط فان اميركوا ناكلترة كاتما اكثر اتبهاها منها اذ فتحنا الابواب على مصراعها أمام البضائع الواردة من المانية، فاستفادت بلادها من تلك البضائع بأن تدارك الأهلون ما يلزمهم منها بأسعار واطئة مناسبة ، وهكذا قد خففتنا من غلاء المعيشة في بلادها .

ان أرجحية التجارة مع بلاد هبطت أسعار « السحب » فيها هي قضية تعد من الأوليات في علم الاقتصاد فهي من الجلاء والبساطة بحيث أن العقل البشرى لا يؤمن بإمكان وجود رجل حكومة لا يستطيع فهمها .

ان الأسباب الخيالية التي جعلت حكومتنا تمتنع عن السماح للبضائع بالدخول إلى البلاد الفرنسية أو فرضها مكوساً باهظة على البضائع الواردة (الأمر الذي يؤدي إلى النتيجة ذاتها) كان كسوء بعض أصحاب الفبارك الفرنسيين على اختلاف أسباب ما أنزل الله بها من سلطان لتبرير غلاء المعيشة . بينما هم في الأصل تجزون عن تأمين معشار الحاجيات التي تحتاجها فرنسا .

فأرضاء لبعض أصحاب الفبارك اضطر الشعب للاتجاه الى التجار الانكليز والاميركان فصار يدفع لهم عن الحاجيات التي ابتاعوها من المانيا بثقة رخيصة جداً ثلاثة أو أربعة أضعاف سعرها الذي

ابتاعوها به ، في حين أن باستطاعتنا نحن أيضاً الحصول عليها من
المانيا كما حصلوا عليها هم .

ان هذه الأخطاء النفسية التي تكلمنا عنها قد ارتكبت زمن
الهدنة لكن رجال الحكومات الأوربية قد كسوامند ذلك الحين
أغلاطاً أخرى كثيرة فوق تلك .

ان الموقف الذي وقفه ذلك الوزير الذي كانت يبيسه
مقدمات انكسار وقتئذ تجاه بولونيا كان من أشد تلك الأخطاء
وأسوأها ، ذلك لأنه كاد يؤدي بسلامة أوربة الى هوة سحيقة
من الاضمحلال .

فان هذا الوزير لما كان يريد أن يخاطب ود شيوعي روسيا
فانه لم يتردد عن أن ينصح حكومة بولونيا جهاراً بقبول شروط الصالح
التي عرضتها روسيا عليها ، تلك الشروط التي كانت فوق طاقة
احتمال بولونيا سيما منها نزع السلاح الذي كان من أخص نتائج
استهداف بولونيا لخطر النهب والسلب وحدوث مجازر هائلة فيها
وجعل أوربة بأجمعها عرضة للاكتساح .

كما أن هذا الوزير نفسه الكي يبين للبشفيك حسن نيته
بصورة جلية واضحة استعمل في هذا السبيل وسيلة مغايرة لـ

أنواع الحقوق في العالم ، وذلك بمنعه مرور الذخائر والمهمات الحربية التي كانت ترسل للبولونيين عن طريق (دانزيغ) وسعيه لدى الحكومة البلجيكية وحملها على عدم السماح بمرور تلك الذخائر من (آنورس) أيضاً.

على أن هذا التدخل أهاج سخطاً عظيماً ليس في فرنسا فحسب بل وفي البلاد المحايطة أيضاً واليك كيفية اعراب (الجورنال دو حنيف) عن رأيها في هذا الصدد قالت الجريدة :

« ان الخطين العدائيتين اللتين اختطتهما انكاثرة لنفسها تجاه بولونيا قد جعلتا مفكري انكاثرة في حيرة تفوق حد الوصف والتوى عليهم ادراك كنه خطة حكومتهم النواء مؤلماً فهم يتقولون اليوم هكذا :

ان انكاثرة منزوية في أمان واطمئنان في جزيرتها ولكن الفضل في ذلك لا يعود لدفاع أبنائها وحدهم بل وللذين كانوا يدافعون معهم أيضاً من فرانسيين و بلجيكين وايطاليين و بولونيين . أما فرنسا و بلجيكا و بولونيا فهن معرضات للخطر بالدرجة الأولى لأنهن في مقدمة ساحة القتال .

فهل تظن انكاثرة أن تركها حافاءها يفنون عن بكرة أعينهم في محاربة البلاشقة لكي يصدوا سيرهم نحو الغرب وعدم استعمالها كل

فوذها وكل قوتها في سبيل معاونتهم — هل تظن انكثرة ان كل ذلك يتوافق مع تقاليد الاخلاص بل مع أوضح منافعها وصوالها. اه لقد كان من السهل التنبؤ عن المنافع التجارية التي حددت لرجل حكومة انكثرة خطته السياسية ولكن الشيء الذي لم يستطع المذكور رؤيته والتنبؤ عنه هو النتائج التي يمكن أن تنشأ عن خطته نحو البولونيين .

فلو عملت بولونيا وقتئذ بموجب نصائح انكثرة وأعدت حسام الحرب في نصابه لأصبحت البلشفية التي هي حليفة الاسلامية (التي لم يحسن الحلفاء معاملتها في تركيا) أشد خطراً مما هي عليه اليوم ، ولاصبحت محالفة روسيا البلشفية مع المانيا — اذا ما خسرت بولونيا الحرب — أكيدة لا شك فيها .

على أن من حسن حظنا بل ربما من حسن طالع انكثرة أكثرنا أن حكومتنا كانت بعيدة النظر في التنبؤ عن نتائج خطة انكثرة

بالرغم من أن الجيش الاحمر وصل الى أبواب (فرسوفيا) وأصبحت حالة بولونيا لا تدعو للأمل فان رئيس وزارتنا وقتئذ لم يتردد لحظة عن امداد البولونيين ليس بالنخائر والمعتمات الحربية فحسب بل بارساله رئيس أركان حرب جيش المرشال فوش ليقود

جيوشهم . وبعد أن كان البولونيون الذين عدلوا عن النضال والكفاح يتحدون في التراجع عادت لهم جرأتهم بتأثير هذا الجنرال قاموا بمهارة بيبضع (ماناورات) أبدلت انهزامهم المستمر بانتصار باهر .

أما نتائج ذلك الانتصار فقد ظهرت حالا : تحررت بولونيا وذهبت آمال المانيا أدراج الريح وتقهقرت البلشفية وغدت آسية أقل نهدياً عن ذى قبل .

وقد كان في النظر الصائب وسرعة العمل بموجبه ما كفى للوصول الى تلك النتائج . ولهذا فكل نناء على رجال حكومتنا الذين أنبتوا أنهم حائزون على مزايا اصبحت منذ زمن نادرة فيهم هو في الحقيقة بمحلله .

ان السياسة الأوربية تسير بموجب الأفكار القديمة التي أوجدتها ظروف واحتياجات لم تعد موجودة الآن فان الأفكار الجديدة بخصوص أحقية استقلال الشعوب وعدم فائدة الفتوح ليس لها تأثير على أعمال سياسيي اليوم قط فان السياسيين لا يزالون مقتنعين بأن الأمة تستطيع أن تثرى اذا قضت على تجارة أمة أخرى وان غاية الأمم الفسوى هي توسيع بلادها عن طريق الفتوحات

على ان هذه الافكار القديمة تتراءى غريبة للشعوب التي
لا تسير بموجب معتقداتنا وميولنا الباطلة التي ورثناها عن السلف .
فقد انشأت احدى صحف البرازيل مقالا اظهرت فيه حيرتها
في الاسطر التالية التي هي في الوقت نفسه من احسن ما يوضح
افكار العالم الجديد . قالت :

« ان أفكار كل شعب من شعوب العالم القديم بلا استثناء
بشأن الدنيا والحياة لا تزال نفس الافكار القديمة . فماذا تريد هذه
الشعوب ؟ الفتح والاستيلاء . وماذا ترقب من نتيجة الحرب عند
ما تنشب ؟ سnoch الفرصة للحوزة على أكبر ما يمكن . فالسبب الذي
يجعلنا نشعر بذلك دوما عند ذوى المدارك الواسعة والافكار العالية
كأنشعر به عند كل الجماهير بل كما نشعر به في الاوساط الاشتراكية
والعاملة (نسبة الى العمال) نفسها حيث الآراء والافكار اختلط
الحابل فيها بالنابل وحيث الشهوات والمطامع تفوق حد التصور
لالسبب آخر سوى انانية الصنوف — ان السبب في ذلك ناشىء
عن الافكار القديمة عن الماضى المتشكل من عدة قرون . » اهـ

ان رجال حكومات أوربة كثيراً ما ينطقون في الواقع بلسان
الزمن الراهن لكنهم يسبرون بموجب أفكار الازمنة الغابرة . فان
انكسار تنادى بلل فيها بمدأ القوميات في حين انبأ تستولى أو هو .

تحاول الاستيلاء على مصر والعجم والمستعمرات الالمانية وبلاد
النهرين (مزمه بوتاميا) وغيرها . كما ان الجمهوريات الجديدة الصغيرة
التي قامت على اقاض الامبراطوريات القديمة تنادي هي أيضا
بتلك المبادئ العالية ولكنها تسعى لتوسيع أراضيها على نفقة
جيرانها .

ان السلام لايسود في أوربة الا عندما لايبقى للفوضى التي
أوجدها الشطط في الشؤون النفسية من سلطة على النفوس ، وقد
يقتضى احيانا عدة سنوات لأجل اراءة احدى الامم الولايات التي
تجرها عليها خيالاتها وأوهامها .

بما ان الحرب زعزعت أركان التعاليم التي كان قواد الجيوش
يسرون بموجبها كما انها قضت أيضا على المذاهب التي كانت تغذي
أفكار رجال الحكومات فان نتائج اختبارات وتجارب غير ثابتة
أصبحت دليلهم الوحيد في سيرهم وأعمالهم .

فهذه الحالة الروحية قد تجت تمامها في خطاب القاه أحد رؤساء
الوزارة في البرلمان الفرنسي اذ انه قال :

« لقد أثرنا غمار الحرب وعقدنا الصلح حسب تجاربنا

واختباراتنا ، لانه لم يكن في الامكان عمل شئ غير هذا اما المذهب
الاقتصادية فلا يوجد هنا عند احد ماشئ منها . هـ
ان السير حسب التجارب لامندوحة عنه في بداية كل علم ،
لكن كل علم اذا ماجاز مرحلة نحو التقدم فانه يوفق لاستنباط بضع
قوانين عامة من تلك التجارب فبواسطة هذه القوانين يصبح من
السهل تفهم سير الحوادث كما أنه يغنو في الامكان الاستغناء عن
الالتجاء للتجارب لتلمس طريق السير في الحياة .

ليس هنا- أي احتياج للالتجاء إلى طريقة الاستقراء لكي
نعلم مثلا ان كل جسم عندما يسقط حرأ في الخلاء تكون سرعة
سقوطه في زمن معين متناسبة اضطراداً مع مدة السقوط وان المسافة
التي يجتازها ذلك الجسم تعادل مربع تلك المدة

إذ أن قوانين علم الطبيعة (فيزيك) مطلقه وثابتة لدرجة
تجعل المرء يجزم عندما يرى حادثة لا تتوافق مع تلك القوانين بالظاهر
بأنه لابد من طارئ خارجي أثر على تلك الحادثة فجعلها لا تتوافق
مع القوانين وأن من الممكن تحديد درجة ذلك السبب . وهكذا فان
العالم الفلكي (اوريه evenus) قد لاحظ يوماً بأن أحد الكواكب
يبدو كأنه لا ينقاد أبداً لقوانين الجاذبية فاستنتج من ذلك أن سيره
يجب أن يكون مختلفاً بتأثير كوكب مجهول من الكواكب السيارة .

فمن هذا الاختلال الملحوظ استدل على موضع الكوكب السيارة الذي أحدث ذلك التغيير؛ وبعد برهة وجيزة اكتشف الكوكب السيارة ذاته في الموقع الذي عينه (لوريه) قبلا
ان علمي النفس والاقتصاد تابعان كجميع حوادث الطبيعة لقوانين لا يطرأ عليها تغيير ولا تبديل ، لكننا لم نتوصل الى المعرفة التزر اليسير من هذه القوانين حتى أن المعروف لدينا منها عرضة للتغيير لدرجة تدع مجالاً للشك بأثبت القوانين التي تستند على شتى التجارب .

من الجلي أن رجال الحكومات الأوربية لم يسيروا على خطاة ثابتة سواء أثناء الحرب وسواء منذ الهدنة . كما أن جهلهم لبعض القوانين الاقتصادية والنفسية لا يعنى أن مثل تلك القوانين غير موجود . على أنهم قد استهدفوا في كثير من الاحيان لضرر عدم معرفتهم لتلك القوانين ما



الْفِضِيلُ الثَّلَاثُ

صالح الامانة

أو :

معاهدة الصلح يضعها أساتنة الجامعات

يجب علينا أن نضيف الأوهام التي كانت مسيطرة أثناء تحرير معاهدة الصلح على الأخطاء التي ارتكبت في الشؤون النفسية والتي عددناها فيما سبق . ولهذا فنسظر في هذا الفصل أهمية تلك الأوهام .

قليلون في التاريخ هم الأفراد الذين تمتعوا بمثل النفوذ الذي كان الرئيس ولسن يتمتع به عند ما قسم إلى أوربة وأملى شروط الصلح . قد كان ممثل العالم الجديد في أيام سلطته الزاهية الزاهرة حاصلاً على نفوذ لم يحصل الآلهة والملوك على ما يعادله في كل الأحيين أبداً .

ان المرء ليظن عندما يصنى الى وعوده العجيبة التي تبعث على
(٣٣ اختلال التوازن)

الحيرة أن ضياء ساطعاً جديداً سيضيء العالم بنوره ، وقد كان يتراعى فجر سلام أبدي أمام عيون الشعوب التي خرجت من جهنم مخيفة وأصبحت تخشى الوقوع فيها ثانية ، وظن الناس أنه عصر اخاء تام سيحل مكان عصر التذبيح والتقتيل والاتلاف والتخريب .

لكن هذه الآمال العظيمة الواسعة لم تدم مدة طويلة ، فقد أثبتت الحقيقة بعد برهة وجيزة أن ليس لتلك المعاهدات التي هيئت بعد الجهد والعناء من النتائج سوى القاء أوربة في هوة سحيقة من الفوضى واضطرار دول الشرق للدخول مع بعضها في سلسلة حروب طاحنة لا يمكن اجتنابها . ان الحكومات الصغيرة التي اقتطعت من الساطنات القديمة وأقيمت على انقاضها قد هاجمت - جميعها نقر بآ - بلاد جاراتها فوراً ، حتى ن تدخل أي دولة من الدول العظمى مدة ذبوره عديدة لم يأت بفائدة ما في سبيل كبح جماحها .

ان من أعظم الأسباب تأثيراً في ذهاب الآمال العظيمة ، أدراج الرياح هو حمل بعض القوانين النسبة الاساسية التي تدبر حياة الشعوب منذ بدء أجيال التاريخ .

لقد كان الرئيس ولسن هو الشخص الوحيد الذي ألمح من سعة السلطة والنفوذ حداً أتاح له أن يقضى بنحز أوربية وبمحمية شروط للصالح يمكن أن يقال انها تعرض الفصول السلمية للحمل -

على اتنا نعلم اليوم أن شروط الصلح المذكورة ليست من وضع
الرئيس ولن وحده .

قد تبين من تصريحات السفير الأميركي تلكوس « Elkus »
التي نشرتها جريدة الماتن أن شروط المعاهدة على اختلافها قد
وضعت من قبل جيش صغير من الاساتذة .
قال المستر (تلكوس) :

« لما وكال الرئيس واسن مهمة انتخاب المعتمدين السياسيين
في المستقبل للكولونل هوز « House » اشترط عليه أن لا ينتخب
لذلك سوى أساتذة الجامعات وأفهمه أنه لا يقبل بغيرهم وعبئاً حاول
الكولونل تذكير الرئيس واسن بأن اميركة تحوي عدداً كبيراً من
السفراء العظام والصناعيين الذين يفوقون زملائهم في جميع الكرة
الارضية مقدرة وكفاءة وطول باع وكثير من رجال الحكومة من ذوي
الخبرة التامة والمعرفة الواسعة بأمور اوربة وأحوالها ؛ قد كان الرئيس
يكرد قوله :

« - لا أريد سوى أساتذة ولا أقبل عنهم بديلاً . » اه
فيتضح إذن من هذا ان الذين ملأوا مقاعد اللجان كانوا
طائفة من الأساتذة . أما هؤلاء الأساتذة (فقد كانوا يحنون
رؤوسهم ليس فوق الأرواح بل فوق متون الكتب يسألون المباديء

المظيمة المجردة ويطلبون اليها ان تهديهم وترشدهم إلى ضالتهم التي
يفقدونها ، وهم في الوقت نفسه يعمضون الأعين عن رؤية الحوادث
وعلى هذه الصورة أصبح الصلح كما دعاه « تلكوس » (صلح
اساتنة) وهكذا ظهر من هذا الصلح مرة أخرى إلى اى حد يمكن
ان يكون النظريون الذين امتلأت أدمغتهم بالعلم محرومين من النظر
للصائب والعقل السليم وبالتالي ذوى خطر إذا كانوا بيديهم عن
حقائق العالم غرباء عنها .

ان لمساهمة الصلح غرضين اثنين مفترقين عن بعضها
تمام الافتراق:

أولها — احداث دول جديدة على نفقة دولتين اثنتين بوجه
خاص وهما النمسا وتركيا .

ثانيهما — تأسيس عصبة أمم لتثبيت دعائم سلام أبدي
في العالم .

أما فيما يتعلق بإيجاد دول جديدة على نفقة النمسا وتركيا فان
التجربة قد اظهرت بسرعة كما سبق لي بيان ذلك قبل اسطر مبالغ
ما لهذه الفكرة من القيمة . ولقد كانت اولي نتائجها حلول الدمار

واغتراب وحدثت القلاقل والاضطرابات ونشوب المعارك والحروب في تلك البلاد زمناً طويلاً . ففي ذلك الوقت اتضح للعيان مبلغ ما ينطوي من الخيال تحت الادعاء القائل بإمكان (خلق عدة قرون من التاريخ) بواسطة بضعة قرارات . وهكذا كان مشروع تقسيم الامبراطوريات القديمة إلى ايالات متفرقة بدون النظر بعين الاعتبار إلى إمكان عيشها بعد على حالها بدون تقسيم - خلواً من التعقل بل كان جنوناً مطبقاً . اذ ان جميع هذه البلاد التي يفصل بينها اختلاف المصالح والعداوات العنصرية لما كانت غير حائزة على شيء من القرار أو التبات الاقتصادي فهي مضطرة بحكم الضرورة للدخول في حروب طاحنة مع بعضها .

ان النمسا الصغرى الحالية هي محصول أو هام سياسية هائلة سيطرت في مؤتمر الصلح قادت رئيسه إلى حد تجزئة ساطنه من أقدم سلطنات العالم .

ولكن عند ما تصل النمسا للدرك الأسفل من الانحطاط وتشعر بأنه لا حياة لها بغير الاتحاد مع انانيا ، ما ذا يصنع الحلفاء عند ذلك ؟ لاشك أن واضعي المعاهدة سيعترفون آتئذ بالخطأ الذي ارتكبه بتجزئة كتلة مثل انمسا مفيدة بقدر ما هي قليلة الخطر

ما أعظم غلو القائلين بإمكان تجديد بناء أوربة بقطعة من لورق وهي التي لم يظهر بناؤها لحيز الوجود الا بعد تشييد استغرق ألف عام !

لقد كان المستر « مورغنتو » السفير الاميركي قد وصف لدويلات التي أسست بقرارات مؤتمر الصلح هكذا :

« ما هذا المنظر الذي يبدو على اوربة الوسطى اليوم ! فهنا أكادس من الجمهوريات الصغيرة تنقصها القوى المادية الحقيقية والصناعات والجيوش ومضطرة لايجاد كل شيء من جديد ، وهي مع ذلك تسمى بوجه خاص لتوسيع أراضيها بدون أن تفكر فيما إذا كانت تملك القوة الكافية لادارة البلاد ومراقبة الشؤون ، في حين أن هناك حكومة كثيفة النفوس تعد سبعين مليون نسمة يقرون النظام حق قدره ويتيقنون بأنه لا يزال هناك أمل بإمكان السيطرة على العالم أجمع ، فهم لذلك لم يتناسوا أملا من آمالمهم ولن ينسوا أى حق من أحقاقهم . » اه

ان انكثرة بالنظر لنيها حقائق مكننة ثابتة مقابل اعترافها بأوهام اترئيس ولسن الباطلة فقد عاضدت تلك الأوهام والخيالات. إذ لم يكن لانكثرة أى نفع في معاكسة البنود التي لاتمس مصالحها

من معاهدة الصلح لأنها الحكومة الوحيدة التي استفادت في الحقيقة من الحرب فغنمت بلاداً شاسعة وأراضى واسعة مترامية الاطراف بعيدة الحدود .

أما فرنسا التي بقيت وحيدة فقد اضطرت لتحمل جميع اعباء احلام الرئيس ولسن الذي ذاع في العالم اختصاص المولى إياه بالعقل السليم والفكر الصحيح فاشتد لذلك تمسكه بمبادئه واحلامه .

ان اوضح اغلاط الرئيس ولسن وجيش اساتذة الجامعات هو في الحقيقة : اعتقادهم بأن العقل هو المسيطر على مقدرات الشعوب وعاملها في حياتها ، في حين انهم لو القوا نظرة عامة على التاريخ لتبين لهم ان دليل الجماعات البشرية الحقيقي في معارج الحياة هو العواطف والميول لا العقل الذي ليس له سوى تأثير ضئيل عليها .

ان السياسة اى علم ادارة الخلق تحتاج اقواعد تختلف كثيراً عن الطرائق والقواعد التي يظفر اساتذة الجامعات منها بطائل . إذ ان وضع تلك النظم يجب ان لا يستند على اساس مراعاة الأدلة العقلية منطقية كما قلت واكرر القول هنا ايضا ، بل يجب ان يستند على اساس النظر بعين الاعتبار لتأثير العواطف .

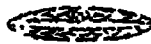
ان عصبية الامم بالرغم من أنه لا دخل لمعاهدة الصلح في تأسيسها
مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بتلك المعاهدة لأن غاية جمعية الامم منحصرة
في الحقيقة في السهر على هذا الصلح .

ولقد ابتدأت حياة عصبية الأمم بفشل عظيم وهو رفض البرلمان
الاميركي الاشتراك بما أوجده الرئيس ولسن .

لأنه وان كان من ييدهم زمام الأمور في اميركة من الذين
يعتقدون بإمكان الوصول الى المثل الأعلى (1919-1920) لكنهم في
الوقت نفسه يرون الحقائق بوضوح تام في بعض الأحيان ولا
يتأثرون بخطابات الأماتذة أبداً . وقد نخص خلف الرئيس ولسن
أسباب امتناع أميركة عن الاشتراك بالمعاهدة كما يلي ، قل :

« ان المعاهدة الوحيدة التي تقبل بها هي المعاهدة التي يرتاح
اليها ضميرنا فهذه المعاهدة مرجحة عندنا على معاهدة خطيلا لا يراعى
فيها بقاؤنا أحراراً في أعمالنا وتجمل حقوقنا في أيدي امة أجنبية
ان أي مؤتمر في العام وأي مخالفة عسكرية لن يستطيع الزام أبناء
هذه الجمهورية يوماً عن الانتماء في صفوف الحرب فهم لا يطلب منهم
بذل أرواحهم اللهم الا في سبيل أميركة لوحدها وفي سبيل انقاذ
عن شرفها فهذا الحق مقدس لدينا لدرجة تجعلنا لا نتنازل عنه لأبي
كان أبداً . » هـ

هذا واننا سنبحث عن عصبه الامم في الفصول التالية وقول
هنا فقط ان هذه العصبه التي شيد بناؤها بموجب آراء مخالفة لجميع
المبادئ التي أتى بها علم النفس لم يكن منها الا ان جعلت الناس
يمتدحون للآراء السائتة في أميركة بشأنها بالصحة والصواب بالنظر
ظهور عدم نفعها وعجزها . وفي الحقيقة يتوجب على المرء ان يضرب
بسهم وافر من قصر النظر وخطل ان رأي والاستسلام للأوهام والخيالات
التي ينصور إيمانها كان رضاء حكومة عظيمة كحكومة الولايات المتحدة
بالتضوع لأوامر جماعة صغيرة أجنبيات لا تفوذ لها ولا قوة : إذ ان
تصور ذلك معناه التسليم بوجود شيء من نوع (فوق الحكومات)
في اوروبا له السيطرة على العالم ولقراراته القدرة على ادارة زمام اموره .



الفصل الرابع

تيقظ العالم الاسلامي

ان البحث عن مسالة الأضاليل النفسية الذي كرسنا له بعض الفصول السابقة لم يفلق بعد . إذ أننا سنكلم أيضاً عن بعض الاغلاط الأخرى .

لقد كان هدف السياسة الانكليزية الثابت وغرضها الدائم منذ بضعة قرون هو توسيع النفوذ لانكليزي على نفقة مختلف المنافسين لها . وهؤلاء المنافسون الذين يدعون أنهم يما كسون هذا التوسع ويمانعون فيهم اسبانيا في أول الأمر ثم فرنسا . أما انكلترة فقد اغتصبت الهند وكندا ومصر . . . الخ منها واحدة بعد واحدة كما أن اضمحلال المانيا مكنها من الاستيلاء على جميع مستعمرات هذه الاخيرة التي هي آخر المنافسين الخطيرين لانكلترة .

على أننا اسنا هنا في معرض البحث عن خصائص السحبة والبيادىء التي حصلت انكلترة بواسطتها على هذا النجاح الدائم وانما، يلاحظ فقط ان رجال الحكومة الانكليزية يمحرون جهودهم

في السعي وراء النفع المحض معها كلفهم الأمر ويستخفون بكل الآراء العقيمة والخيالات الفارغة فهم يجتهدون أبدأ في توفيق أعمالهم مع مقتضيات الوقت وقد تفرغ الأمور أحياناً وتخدعهم ولكنهم لا يترددون لحظة في تلافي الأخطاء المرتكبة بتعديل الخطأ وتبديل طرائق العمل ، ولا يهتمون مطلقاً لانسحاق أنفسهم عقب الفشل ولا يبالون أبدأ بما عساه يأتي عليهم تغيير مبادئهم وخطتهم من الضعف الجارح

لنأت لنالك بمثال قريب العهد بنا يبين سرعة تبدل السياسة الانكليزية واقلاباتها الفجائية من حال الى عكسه وهو مثال على غاية من الخطورة لأنه يتعلق بمستقبل الشرق :

لقد أدركت انكلترة عقيب حروب طاحنة بينها وبين بلاد ما بين النهرين أنه يستحيل على جيش مؤلف من سبعين ألفاً التغلب على مقاومة أهل البلاد فمدات نجاة عن سعي عقيم باهظ النفقات مثل سعينا في سورية وما كان منها الا أن سحبت جيوشها واستبدلتهم بجناحهم وطني وهو الامير فيصل الذي اضطررنا بسبب عدائنا وما كسته الدائمة لنا لطرده من دمشق ، وجعلت منه ملكاً .

وقد حصر غرض الحكومة الانكليزية (الذي كان ظاهرياً في الحقيقة) من هذا الحل في خطاب ألقى في مجلس العموم

الانكليزي على الصورة الآتية :

« تأسيس حكومة اسلامية عاصمتها بغداد القديمة تسترجع
صالح مجد العرب وتالد عزمهم . »

ان نصب خصم أعلن العداء لفرنسة ملكا في جوار حدودنا
السورية ليس عملا ولائياً نحو فرنسة بدون شك . الا أنه لما كانت
السياسة الانكليزية تعتبر المنفعة فوق الصداقة بكثير دائماً فان
ملاحظات الحكومة الفرنسية واحتجاجاتها لم تلق أذناً صاغية .

فتوج الحاكم الجديد في بغداد بأبيه وجلال عظيمين حتى أن
ملك الانكليز أرسل اليه بصورة استثنائية كتاباً أعرب له فيه
عن تهنئه الحارة .

وهكذا أخطت جهراً وعند بلاد من أغنى بلاد العالم بالبترول
بالمملكة البريطانية فكان ذلك إحدى العنائم العديدة التي أنالتها
السياسة البريطانية لانكلترا

وعلى هذه الصورة تم مقام الجنود الانكليزية في تلك البلاد
مهندسون وكل اليهم سفلال البلاد لحساب بريطانيا العظمى .

ان ملك بلاد ما بين النهرين الجديد لا يحكم في بغداد لحسب
بل يتناول حكمه أيضاً بارداً معاداة في المساحة لانكلترا اشتهرت

تربتها منذ القدم بقوة الانبات وهي البلاد التي كانت معروفة باسم
نينوه وبابل قديماً .

لونجحت انكلترة بيسط نفوذها على الشرق بأجمعه لانتها
هذه العملية الخطيرة الشأن فوائدها أعظم نفعاً من الامتيازات التجارية
البسيطة التي حصلت عليها . وأوضح فائدة كانت تحصل عليها بنتيجة
ذلك أنه يفدوفى يدها (طريق بري) يربطها بالعجم والهند ثم
لوتمكننت من الاستيلاء على الاستانة إما مباشرة وإما بواسطة
اليونانيين لأصبح سلطان الانكليز على الشرق تاماً ، ولرزح العالم
رزوحاً متزايداً تحت ضغط التفوق الدولي الانكليزي الذي بلغت
مقاومة ساستنا الخائري العزائم أمامه ذلك الحد من الضعف .

* * *

ان انكلترة قد أصلحت إذن بعض الأغلط التي ارتكبت
في الشرق بكل حنق ومهارة لكن بعض الأخطاء النفسية التوهي
اليوم مستعصية على الاصلاح والتزيم قد أفسدت وأضاعت من قوة
انكلترة ونفوذها في الشرق لزمان ضويل جداً .

ان دعم أماتي المسلمين في بلاد النهرين واليهود في فلسطين
واليونان في تركيا، تلك الأماتي المتعاكسة المتضاربة سياسة
« ما كيا فيلية » [نسبة الى (قولاً ما كيا فل) ويعني الفرنجة بالمياسة

الماركسيفيلية السياسة الخرقاء الجائرة والخالية من التعقل . أما نيكولا
ماكيافل فهو مؤرخ قدير ومن رجال السياسة والتشريع المشهورين
في العالم وقد كان أيضاً كاتباً كبيراً ووطنياً صمياً . ولد في فلورنسه
بايطاليا عام (١٤٦٩) وتوفي سنة (١٥٢٧) - المترجم | ومع ذلك
فلو وجد « ماكيافل » الآن حياً لقبح هو ذاته هذه السياسة لأن
ذلك الفلورنسى الشهير كان يعلم في الحقيقة حق العلم بأن النهجم على
الآلهة أو ممثليهم ايس من حسن الادارة في شيء دوماً .

وكن الانكليز عند محاولوا تجرئة تركيا والقضاء على
حكومة السلطان في الاستانة الذي هو أمير المؤمنين في عرف جميع
المسلمين وخليفة الله (عز وجل) على الارض - عند محاولوا ذلك
ذهلوا تماماً عن هذه القاعدة ونسوه .

وقد ظهرت نتائج هذه الخطة - الا إذ قامت قيامة العالم الاسلامي
بأجمعه من البوسفور (اذا مررنا بمصر) حتى نهر الكنج .
وهذا من أكبر الأدلة على أن الساسة الانكليز لم يدركوا
عظم نفوذ الاسلامية وسيطرتها الكبرى على الارواح ، فبهذه المناسبة
نرى أن الاماع الى منشأ هذا الدين وكيفية انتشاره بصورة إجمالية
لا يتخلو من ذلثة .

ان الآلهة الجديدة ليست نادرة في التاريخ، وقد قدر لهذه الآلهة عادة أن تزول بزوال القوة السياسية للشعوب التي أخرجتها لحيز الوجود وألقتها.

ولكنه من نواحر حوادث الدهر أن طالع الاسلامية لم يكن كذلك أبداً. فنها «أي الاسلامية» لم تبقى حية بعد سقوط الامبراطورية العظيمة التي أوجدها مؤسسوها فحسب بل فضلا عن ذلك لم يخل عدد معتقياها من الازدياد في يوم من الايام أبداً. ويوجد اليوم (٢٥٠) مليون نسمة منتشرين من بلاد مراكش حتى داخل بلاد الصين وكلهم يدينون بدين الاسلام ويتبعون قوانينه. وفي الاحصاءات الأخيرة أنه يوجد اليوم في الهند (٧٠) مليوناً، وفي الصين (٣٠) وفي تركيا (٢٠) وفي مصر (١٠) ملايين مسلماً وإجمالا

ان قيام الامبراطورية العربية من الحوادث الفريدة في بابها في التاريخ (تلك الامبراطورية التي يدعي الانكايير اليوم لمصلحة خاصة لهم - بأنهم يسمون في احياء معالمها بنصب خليفة في بغداد اتعجبوه هم) فبني حادنه غريبة لدرجة عجز عن ادراك كنهها أمثال (ره نان) من كبار الكتاب والمؤلفين وعبثاً حاولوا تفهم أسرارها حتى أنهم لم يعدوا آيات التمدن العظيم التي أتى بهذا الدين وأخرجه

للعالم - مدنية حقيقية وأنكروا عليه ذلك دوماً كل الانكار .
في حين أن الاشخاص الذين يمتدنون بأن المنطق الركنى أو
الاساسى (La logique rationnelle) الذي هو دليل المرعى في فهم حوادث
التاريخ لا يعتد بالنفوذ العظيم والتأثير الكلي للقوى الاعتقادية أو
السرية التي تأتي بامثال هذه الحوادث العظيمة - هؤلاء الاشخاص
يروون أن حادثة السلطان العربي التي ساد ذكر القارىء بها فيما يلي بيضمة
أسطر من الحوادث المفهومة وستبقى دوماً معروفة الكنه

في أوائل القرن السابع لهيلاد كان يعيش في مكة (المكرمة)
جنان مجهول خامل الذكر يدعى « محمد » ﷺ . ولما بلغ حوالى
الاربعين عاماً من العمر تراءت لعيونه أشياء غريبة عجيبة غير عادية
وفي اثنتائها حمل اليه « جبريل » أسس الدين الذي كان من شأنه أن
يقب العالم رأساً على عقب

ومن الجلى أن مواطى النى الجديد يقبلون بسهولة أن يتدينوا
بدين جديد هو في الاصل على غاية من البساطة مادام ينحصر في
الايمان بانه لا اله إلا الله وبأن محمداً رسوله ذلك لانهم كانوا وقتئذ
يعتنتون ديناً يقوم على عبادة عدة آلهة ويخالده شىء من الغموض
عدا عن أن ايمانهم به لم يكن تاماً ولم يكونوا على يقين تام من صحته

ليس من السهل تحليل الاسباب التي ساعدت على انتشار هذا الدين بسرعة البرق في أنحاء المعمور المعروفة آتئذ وكيف أن معتنقيه استمدوا منه القوة التي يقتضيها تأسيس سلطنة اعظم من امبراطورية الاسكندر

أما الرومان الذين كانوا يخالون بأن سورية ستبقى في حوزتهم الى الابد فبعد أن طردوا من هذه البلاد وقفوا حيارى يشاهدون تلك القبائل الرحلة التي جعلها الايمان بالدين الشديد الذي ألف بين ارواح افرادها تتقد غيرة وحماساً فأوها تستولى في بضع سنين على العجم ومصر والقسم الشمالى من أفريقيا وقسم من بلاد الهند

وقد دامت الامبراطورية العظيمة التي تشكلت على هذه الصورة متينة الاسس قوية البنيان بضعه قرون ولم تكن هذه السلطنة من السلطنات التي تقوم اليوم وتزول غداً كالا مبراطوريات التي أسسها الغزاة الاسيويون أمثال (أتيليا) لان قيام الدولة الاسلامية كان طليعة مدينة جديدة بكل معنى السكامة تسطع الانوار منها وتتلأأ في حين كان كامل القسم الغربى من أوربة غارقاً في ظلمات الهمجية وفي برهنة وجيزة للغاية أخرج العرب لحيز الوجود من آثار الحضارة ما يرغم المرء على التسليم لاول نظرة بأنه آية في الابداع حتى ولولم يكن من المعتادين على رؤية معجزات الفن

هذا ولقد كانت امبراطورية العرب متسعة المساحة لدرجة لم يكن
مها بد من تجزؤها فانقسمت اذن لبضع ممالك صغيرة . وهذه الممالك .
ضعفت فاستولت عليها شعوب مختلفة نظير المنول والترک وغيرها .
لكن دين المسلمين ومدنيّتهم كانا قويين لدرجة حملت جميع
الذين استولوا على ممالك العرب القديمة على التدين بدين المغلوبين
وقبول صناعاتهم حتى وكثيراً ما استبدلوا لغتهم بلغة الاخيرين ،
وهكذا فان بلاد الهند مثلاً التي كانت في حوزة المنول وقتئذ أصبحت
مزينة بما جاءت به الحضارة الاسلامية وغداً كل شيء فيها تقريباً
على الطراز الاسلامي

إن دين العرب عدا انه بقي حياً بعد زوال سلطانهم ونفوذهم
السياسي لم يقتصر على حد التوقف بل انه بقي يزداد انتشاراً يوماً
بعد يوم فلم يتعرقل انتشاره قط . ان الايمان الصحيح والعقيدة القوية
راسخان في نفوس المتدينين بهذا الدين رسوخاً هو من السهولة بحيث
أن كلا منهم يمكن أن يعد صحابياً أو مبشراً فهو يحتشد كما نرى
لنشر عقيدته وتعميمها في العالم

إن قوة الاسلام السياسية الكبرى هي في إعطائه لمختلف الشعوب
والعناصر ذلك الاشتراك في التفكير أي في قيامه على مبدأ التأليف
بين أفكار مختلف الشعوب أو العناصر المتذبذبة به . وهي دوماً من

أعظم الوسائط فعلا في تمهيد طريق الائتلاف أمام الأشخاص
المنتسبين لمناصر مختلفة

ولقد أثبتت الحوادث الراهنة قوة مثل تلك الرابطة وقد رأينا
هذه الرابطة تنجح في حمل انكلترا الهائلة على التقهقر في الشرق
ان ولاية الامور في بريطانيا لم يكونوا عارفين بقوة الاسلامية
هذه عند ما حاولوا طرد المسلمين من تركيا ولكنهم عند ما شاهدوا
ليس الاثراك قط بل جميع مسلمي العالم يقومون ضدهم بدأ وجود مثل
تلك القوة يخامر نفوسهم

ان الانكليز الذين خيل اليهم انهم سيتمكنون من ابقاء
الاستانة في حوزتهم فأرسلوا لها مفوضاً سامياً له صفة الحاكم بكل ما
في هذه الكلمة من معنى عادوا لرشدهم فأنجلت لهم الحقيقة وتبين لهم
عظم الخيال في مرامهم وخصوصا عند ما رفض الاثراك الذين
كانوا مغلوبين وعزلاً من كل سلاح تقريبا قبول شروط الصلح التي
جرب المنتصرون أن يجبروهم على قبولها وعند ما طردوا اليونانيين
من ازمير — عند ما حدث كل ذلك فهم الانكليز حقيقة الحال كما
ينبغي . إن العالم الاسلامي اليوم قد عاد فأصبح من القوة بحيث يستطيع
اضطرار أوروبا لاناخه عنقها أمام مشيئته

الفصل الخامس

عدم تفهم أوربة للعقلية الاسلامية

ان تيقظ العالم الاسلامى الذي تكلمنا عنه في الفصل السابق بصورة إجمالية قد أدهش أوربة كثيراً ، ولما كانت العقلية الاسلامية غير معروفة تمام المعرفة لدى العموم لذلك لا يخلو من قائمة تكريس بضع صفحات للكلام عنها

ان الشرق قد أخذ بمجامع قلوب كل الذين زاروه حتى أنه خاب لى أنا أيضاً لما زرتة في أيام شبابي لدرجة حملتى على أن أنشىء عقب سياحتى التي قمت بها في الشرق مؤلفاً عنه دعوة «مدنية العرب» (١)

(١) نقد طبعت هذا الكتاب مكتبة (ديدو Didot) طبعاً متقناً للغاية بعد أن أفتت عليه ما يربو على المئة ألف فرنك . وقد نعدت الطبعة الفرنسية منه منذ زمن بعيد حتى أنه عند ما طرح إحدى المكتبات الخاصة للبيع وتظهر نسخة منه بين كتبها فإن منها يصعد لدرجة تفوق حد التصور وقد نقل هذا الكتاب الى العربية وهو يستعمل اليوم في الجامع الأزهر الكائن في القاهرة الذى يمد جامعة إسلامية بكل معنى الكلمة ككتاب مدرسى يدرس لثلاث التلاميذ فيه . كما أن الكتاب المذكور قد نقل الى اللغة الهندية من قبل أحد وزراء (النظام) في حيدر آباد

ولقد ألح علي بعضهم كثيراً في خصوص إعادة طبعه فكنت أرفض السماح بذلك لأن إكمال نواقص الكتاب يقتضى جهداً عظيماً . على أنني اذا كنت آتي على ذكر هذا الكتاب هنا فاذلك إلا لكي يعلم القارئ أن مؤلف الكتاب الذي يطالعه الآن اذا ماتكلم في المسائل الشرقية فلا يمد ذلك منه تطفلاً على هذا البحث اي ليس هو غير كفو تماماً للبحث في المسائل المختصة بالشرق بل له من خبرته ما يخوله الخوض في هذا البحث بعض التخويل .

بعد أن آتيت على هذه المقدمة الصغيرة أقول أن تراجم الكثير من كتيبي الى اللغتين التركية والعربية (١) قد أسست بيني وبين المسلمين الجدد الذين هم أحفاد العرب نوعاً من الصلات في الأيام التي قدمت نشوب الحرب العامة . ولقد كان رئيس وزراء الامبراطورية العثمانية ووزير خارجيتها وقتئذ سعيد حلم باشا قد طلب الى قبل نشوب الحرب بأشهر قليلة بواسطة سفيره في باريس أن أذهب الى الامتانه وألتي فيها بضع محاضرات في الفلسفة السياسية لكن حالتي الصحية حالت بيني وبين قبول المهمة التي طلب الى القيام بها . ولهذا فانا آسف أبداً على ذلك لانني لو ذهبت الى

(١) ان أفضل فلم نرجم كتيبي الى العربية هو قلم تحي باشا (زغلول) وهو وقتئذ وزير الحقتانية في القاهرة . وأفضل تراجمها في التركية هي التي كانت بقلم الدكتور جودت بك .

الاستانة لتأكدت ان اجاء الاتراك على الحياد لم يكن خارجا عن دائرة الامكان . وقد كان صديقي المحترم المسيو ايزفولسكى سفير روسية في ياريز وقتئذ يشاطرنى هذا الرأي أيضاً ، حتى أنه بعد نشوب الحرب لو وجد (أميرال) له من الجرأة ما يجعله يجازف بمقرب أثر غوين وبرسلاو عند ما دخلنا الاستانة — كما صرح بذلك مؤخراً أحد وزراء الحكومة الانكليزية في البرلمان — لاصبحت محايدة تركيا ممكنة . وهذه احدى الظروف التي قد تساوى فيها قيمة الشخص المليارات اذ لا شك في انه لو وقتت تركيا على الحياد لا قصت من سنى الحرب عامين . وقد كان (نلسن) وقتئذ من أولئك الاشخاص بالنسبة لأنكاثرة . فكم من (نلسن) تخرج البطون في كل جيل ؟

من الامثال القديمة أن (معرفة الذات صعبة) على انه اذا كانت معرفة المرء لذاته صعبة فان سعينا لتفهم نفسية الاشخاص الذين يحيطون بنا أصعب . ان تحديد وتعيين عقاية الشعوب التي تفرق عنا من وجهة التاريخ والمعتقدات لاجل التوصل لتعيين وتحديد عكس الفعل الذي قد يصدر عنها في ظروف خاصة معينة يكاد يظهر شبه مستحيل فعلى كل ان الوقوف عليها هو من المعلومات التي أنبت أكثر رجالات الحكومات الحاليين انهم غير ملين بها أصلا .

ان الحوادث التي وقعت منذ عشرة أعوام حتى الآن لم يأت أحسن برهان يثبت اننا على حق في ادعائنا .

اذا كانت المانيا قد خسرت الحرب فما ذلك الا لأنه لم يوجد بين الرجال الذين كانت بيدهم زمام الامور في المانيا فرد استطاع بتطره الناقد أن يتنبأ سلفاً من أدنى حركة جرت في بلجيكا وانكاثرة وأميركة عن كل عكس فعل ينتظر حدوثه فيها . تلك الحركات التي كان باستطاعة الحائزين على قدر كاف من الفراسة التنبؤ عن نتائجها بسهولة .

وكذلك في مؤتمر لوزان فقد أتى بنموذج جديد للجهل تام بنفسية حد الشعوب .

أما عدم تفهم كل من فرنسا وانكاثرة هذا الامر من جهة كونهما معدودتين من الدول الاسلامية العظمى بالنظر لسيطرة كل منهما على قسم كبير من البلاد الاسلامية فهو ادعى للاستغراب فقد كان عليهما أن تكونا أكثر معرفة بالمسلمين بسبب صلاحهما المتواترة معهم .

في حين ان انعقاد مؤتمر لوزان الاول والثاني أيضاً كانا برهاناً على أن دول الغرب لا تعرف حقيقة المسلمين بتاتاً .

ولو كان المؤتمرون في هذه المؤتمرات هم فريق من الاشراف (بارون) في عهد شارلمان مع أساتذة احدى مدارس الحقوق الحديثة لماساد سوء التفاهم بينهم باكثر مما ساد في مؤتمر لوزان.

ولقد أفضى (سوء التفهم) هنا الى فشل كان تاما بقدر ما كان من السهل التنبؤ عنه سلفاً . وهكذا فان المفاوضات والمناقشات التي كان يجب أن تنتهى في بضع ساعات لم تنته الا بعد شهر .

ان الهلال والصليب لم يكونا موضع بحث أحد ما في هذه المؤتمرات ومع ذلك فان روح المفاوضات الخفية كانت عبارة عن نضال بين هذين اثنتانين

لقد ألمنا فيما سبق إلى ان الامبراطورية البريطانية اضعاءت العجم وبلاد النهرين وهصر واصبح مركزها في الهند مهداً لسبب عدم معرفتها بحقيقة العالم الاسلامي . ولقد سخر لرئيس الوزارة الانكليزية البروتستاني المتعصب المستر (لويد جورج) الذي كان السبب في جميع هذه الخسائر والنكبات التي لحقت بانكلترا ارقذفه بايونانيين نحو الاسنانة وطرد الاتراك بهذه الوسطة من اوربة - خيل اليه ان في ذلك انتقاماً للصليب من الهلال ، لكنه اصطدم مع عقيدة

تصوفية على جانب من القوة يعادل قوة عقيدته . فاهتزت مستعمرات
الامبراطورية الانكازية كافة لهذا الاصطدام .

انه لأجل تشكيل امة من اناس بوفرة ذرات الغبار عدداً
يقتضى التأليف بين مصالحهم وعواطفهم . على ان الوسائط التي من
شأنها ان تفي بهذا الغرض ليست كثيرة إذ يمكن حصرها بثلاث :
إرادة قوية عند رئيس . قوانين احكامها عترة . عقيدة دينية
متينة الرسوخ .

ان جميع الامبراطوريات الاسيوية سيما منها امبراطورية
المغوليين اخرجها لحيز الوجود رؤساء كانت الارادة القوية لحمة
نفوسهم والعزم الاكيد سداها . ولقد بقيت هذه الامبراطوريات
حية طول المدة التي كان فيها رؤساؤها وخلفاؤهم من ذوي المقدره
والكفاعة .

اما الدول التي تأسست على اركان دين آمن به العموم فقد
كانت قوتها اعظم وسلطانها اوسع . فاذا بقي القانون الديني حياً
يظل قادراً على القيام بمهمة التأليف بين المصالح والعواطف .
ان تأثير العقيدة الدينية هذا قد يصحح في بعض الأحوال وهي
في الأصل نادرة على جانب من القوة بحيث يستطيع التوحيد بين

شقى العناصر ، ويتمكن من جعل الأفكار الممتلئة بها أدمغة أفراد
هذه العناصر واحدة فتتولد في نفوسهم بهذه الوساطة يول واحدة أيضاً
ان القوانين المدنية المنفصلة تمام الانفصال عن القوانين الدينية
في الغرب ليست منفصلة عند المسلمين التابعين لأحكام القرآن (الكريم)
وفي اعتقاد المسلمين أن كل قوة مصدرها الله وان هذه القوة
يجب الخضوع لها واحترامها كيفما كانت تتأجها لأنها تمثل إرادة الله
وبما أن الله (تعالى) قد أذن للأتراك أن يطردوا الكفرة من
أزمير فقد كان من الجلي أنه عاد الى حماية المؤمنين به . كما أن هذه
الحماية قد بدت بشكل أوضح حينما عقد مؤتمر لوزان أيضاً مادام
المنسوبون الأوربيون لم يستطيعوا المقاومة أمام المنسوبين المسلمين
وفي الواقع لقد قبل الحلفاء بمطالب الأتراك في جميع النقاط
الهامة ، فلو كانوا أكثر فها للروح الاسلامية ودراية بها لعلموا
بأنها لاتتحنى إلا أمام القوة . ولظهر لهم إذ ذاك جلياً وجوب التضامن
لكي تتمكن أوربة من إملاء رغباتها العمومية المشتركة في جميع
الشؤون الأساسية والحمل على تقبلها ولأصبح الصلح في الشرق الذي
بات اليوم مهدداً للغاية موطن الأركان لمدة طويلة

على أنه لا يمكن مع ذلك إنكار حق المسلمين في الكثير من مطالبهم . ولما كان لاشك في أن مدينة المسلمين تعادل مدينة الشعوب البلقانية الأخرى نظير الصربيين والبلغاريين وغيرهم فالمسلمين إذن الحق بأن يكونوا ذوي السلطة في عاصمتهم الاستانة بالرغم من رغبات انكلترا ، على أنه لم يكن لهم الحق من جهة ثانية في إنكار ديونهم وعلى الأخص تلك المليارات الكثيرة التي كانت فرنسا قد اقترضتهم إياها .

ولا بد لنا هنا من القول بأن المنسويين الأتراك في مؤتمر لوزان قد تجاوزوا كل حد تجاه هذه المسئلة كما كان من أمرهم تجاه كثير من المسائل الأخرى . حتى كثيراً ما كان هؤلاء المنسوبون يفاوضون بلهجة الغالب أمام المغلوب .

ان رجال الحكومات المنتدبة الغربية قليلو الوقوف جداً على علم النفس وفضل ضعفهم في هذا العلم قد اضمحل النفوذ الأوربي في الشرق لمدة طويلة جداً . في حين أن النفوذ هو دوماً أثبت ركن تستند عليه قوة الشعب ومقدرته .

ان السبب الذي يجعل الأتراك معنورين . اذا استثنينا الأسباب الدينية التي شرحناها فيما سبق . هو ذلك البغي وعدم الانصاف المستعصيين على النكران والالدين بدرا من انكلترا

نحوم عند ما كانت تحاول طردهم من أوربة وخصوصاً من الاستانة بواسطة اليونان .

فالسبب الوحيد الذي اتخذ مبرراً لهذا الطرد هو اتهام الأتراك جرياً على القاعدة التي اعتادت أوربة اتباعها نحوهم بأنهم قاموا بمجازرة عامة متواصلة أحكوا السيف فيها بأعناق المسيحيين الموجودين في بلادهم . على أن هناك ما يدعو المرء بحق لأن يقول بأن الأتراك لو قاموا حقيقة بمحار المجازر التي تدعيها الحكومة الانكليزية لوجب أن لا يبقى في الشرق مسيحي واحد منذ أمد بعيد .

أما الحقيقة التي لامصانعة فيها فهي أن جميع البلقانيين على اختلاف عناصرهم وأديانهم من كبار سفاكي الدماء ، ولقد منحت في الفرصة فأفضيت بهذا للمسيو تيزيلوس بذاته فخنق الرقيب وقتله صنعة يخبئها الجميع في البلقان .

بل ان العمل بهذه الطريقة في الولايات التي كانت تابعة وقتئذ لتركيا لم يبلغ أشده إلا منذ الزمن الذي انتمتت فيه تلك الولايات من الحكم التركي ومنحت استقلالها بمساعي السياسة البريطانية اذ لم تكس شعوب البلقان كالبغارين والسريين واليونانيين وغيرهم تنعتق من القيود التي قيدها بها الحكم التركي ليبقى السلام سائداً فيما بينها حتى أمسك الأفراد بخناق بعضهم بعضاً مما هو معلوم .

ان الضعف الذي أبداه الحلفاء في لوزان سيجر كثيراً من النتائج المشؤومة وقد انتخبت من بين الوثائق التي تساعد على التنبؤ عن هذه النتائج منذ الآن رسالة لموظف عسكري كبير من أكفاء رجالنا في سورية مملوطة بملاحظات غاية في السداد والصواب ألقها للقراء فيما يلي . قال الكاتب :

« أظن أننا سنقضي عاماً غير هادىء الجو من الوجهة السياسية والعسكرية ، ان الشيء الوحيد الذي له اهميته في نظر الأتراك هو القوة فلماذا يقتضى أن لا ندخل معهم في مفاوضات إلا بعد أن نفهم باننا أقوى منهم ، في حين أن الأتراك وجدوا في لوزان ماساعدهم على أن يظهروا بمظهر الفائز المنتصر ، والخلاصة أنهم قوم يعسر التفاهم معهم إذ يعرضون على كل شيء ويقومون العراقيل في سبيل الأمور فلا يقبلون بأمر إلا بعد الجهد والعناء ويخيل اليهم أن العالم يرتجف فرقاً أمام هيبتهم .

إن رجال أقرة يطالبون جهاراً بسلاد اسكندرون وانطاكية وحلب التي نصت المعاهدة الفرنسية — التركية الاخيرة على اعتبارها تابعة لسورية هذا عدا عن أن هذه البلاد يسكنها عرب . وبالرغم من أن الأتراك هم أقلية فيها فاتهم ما فتأوا يسعون في استردادها . ان لحوادث التي جرت في كيليكيا يجب أن ينتظر حدوث مثاها في سورية

أيضاً . نعم لم تعلن الحرب رسمياً لكن عصابات يزعم أنها مؤلفة من الاهلين العاصين على الحكم الفرنسي وهي في الحقيقة مؤلفة من جنود أتراك مدرين يقودهم ضباط من الأتراك أو الألمان يعظم أمرها شيئاً فشيئاً . فهذه العصابات ستميز على الخنادق الصغيرة وعلى التوافل وستقطع الطرق وتخرب سكك الحديد ويزداد عدد أفرادها يوماً فيوماً حتى أنهم سوف يحصلون على مدافع وسيضطروننا إذ ذاك لحرب مزعجة وصعبة مع العصابات وهكذا يأمل الأتراك أن يصلوا إلى النتيجة التي أعلنوا عنها سلفاً وهي حمل السوريين على النفور من الفرنسيين والفرنسيين على النفور من سورية « اه .



إن الفيلسوف ليجد في تيقظ العالم الإسلامي وموقفه الجديد تجاه العالم درساً مملوفاً بالعبء لانه يظهر مرة أخرى من جديد الى أي حد تستمر القوى الاعتقادية التي كانت المسيطرة على العالم دوماً في السيطرة عليه في الزمن الراهن أيضاً .

إن أوربة المتمدنة التي ظنت نفسها قطعت دابر المناوشات والمشاحنات الدينية اليوم بالعكس مهددة بها بدرجة لم تعهد لها مثيلاً في يوم من الأيام

إذ أن المدينيات الحالية لن تدخل في نضال مع الاسلامية
فحسب بل هي ستقف وجها لوجه أمام الاشتراكية والشيوعية التي
أصبحت كل منها بمثابة دين جديد. ان اليوم الذي سيسود فيه السلام
والسكينة والراحة في العالم يتراءى بعيداً جداً



الفصل السادس

مسألة الأتراس

لم ينته بعد تمديدنا للاخطاء النفسية اذ أننا سنرى في هذا الفصل التأثير الضار الذي كان لها في الأتراس .

إن أعظم قضية من قضايا الحرب من حيث الخطورة هي قضية تملك الأتراس . فقد أصبحت هذه المسألة أشهر من نار على علم . فلو تمكنت المانيا من الاحتفاظ بهذه البلاد لقبضت على صولجان النفوق الدولي بصورة نهائية

وقد يجوز القول بأنه ما من قضية من القضايا التي ولدتها الحرب الكونية كانت موضع أخذ ورد ومفاوضات طويلة ومناقشات عديدة كقضية الأتراس

تتلخص جميع الأدلة التي تستند عليها المانيا لاثبات المانية الأتراس في أن الأتراس هي بلاد المانية يسكنها شعب من العنصر الألماني أو هو على الأقل شعب قد (تجرمن) منذ أمد بعيد جداً

وعلى ذلك يقتضى ان تكون الأزمات عملاً بمبدأ القوميات نفسه
الذى ينادى به الحلفاء دوماً — جزءاً متماً للإمبراطورية الجرمانية
فهذه القضية اذا ما أصبحت قضية قوميات تغدو على غاية من
البساطة . فاذا كانت الأزمات بلاداً المانية مأهولة بشعب من العنصر
الألماني أو هو على الأقل عنصر (متجرمن) فنما يدعيه الألمان
يكون صحيحاً . واذا أثبتت الأدلة العلمية العكس أي ان الأزمات
مأهولة منذ اجيال عديدة بشعب من عنصر « السلت » أولاً وان
هذه البلاد تمكنت برغم جميع الحروب والمناوشات التي كانت تتهددها
من الاحتفاظ باستقلالها وكيانها وأوضاعها حتى اليوم الذي دخلت فيه
تحت حماية فرنسا تحلصاً من التهديدات الجرمانية التي كانت دائمة
متوالية — اذا ثبت كل ذلك يكون معناها ان ادعاء الألمان غير صحيح
ان في هاتين النقطتين الاماسيتين بعض التشوش في الكتب
التي تبحث عن الأزمات . ولما كانت الأدلة المتأثرة
بالعواطف لها فضلاً عن ذلك الحظ الأوفر والمكان الرفيع
في تلك الكتب فقد فوضت العالم المؤرخ المسيو « باتيفول »
ورجوت منه أن يكتب عن الأزمات ونشوءه وارتقائه كتاباً على
النسق الجديد ليضم الى « مجموعة كتب الفلسفة العلمية » التي تنشر
(م - ٥ اختلال التوازن)

تحت اشرافى . وها أنا أقتبس للقارىء أهم نقاط هذا الفصل عن ذلك الكتاب الذي هو معنون باسم « جمهوريات الازراس القديمة »

لنبحث الآن في هاتين النقطتين بالتتابع وهما :

أولاً - هل يتحدر سكان الازراس من عنصر ألماني ؟

ثانياً - اذا كانوا من غير العنصر الألماني فهل تم (تجربتهم)

خلال عدة أجيال .

ان الأوصاف المميزة التي يتوصل بها لتصنيف عناصر البشر والتي كانت انتقادات العلماء واعتراضاتهم على صحتها أقل من انتقاداتهم على غيرها هي - بعد لون البشرة ، شكل الجمجمة . إذ مامن أحد يماري في ان كلا من ذوي البشرة البيضاء وأسودها ونحاسيها يتحدر من عنصر غير العنصر الذي ينتسب اليه الآخر . وكذلك مامن أحد ينكر ان العنصر الذي يتصف القحف عند افراده بأنه قصير أى مدور تقريباً هو غير العنصر الذي يمتاز القحف عند افراده بأنه متطاوول

حتى ان الألمانين أنفسهم يعلقون على هذا الوصف المميز من الأهمية ما يجعلهم يعتبرون تطاول القحف عندهم دليلاً على انهم

محقون عند ما يدعون بأنهم يتحدرون من عنصر رفيع قد اصطفاه الله لأن يبسط سلطانه على العالم أجمع

في حين انه يستنج من التتبعات والندقيقات التي قام بها أشهر الاختصاصيين الالمانيين في علم البشر (anthropologists) على جماجم الالزاسيين التي أخرجت من مقابر يرجع العهد بها لأجيال مختلفة منذ أكر من الفي سنة حتى الآن - ان الالزاسيين يفوقون جميع شعوب العالم من حيث استدارة القحف وقصره .

ان قصر القحف الذي بقيت رؤوس الالزاسيين تصف به على ممر الأجيال يدل على أن العنصر الأتراسي لم يختلط يوماً بغيره من العناصر . وقد نظر الدكتور « باير » الى ديمومة هذا الوصف الخاص وبقائه ثابتاً فتقرر لديه (ان الاختلاط بالاغراب كان ممنوعاً بتاتاً عند الالزاسيين ، إما عملاً بحكم بعض قوانين كانوا يسرون عليها في أمور الزواج وإما اتباعاً لبعض أفكار باطلة كانت سلطتها على العقول تفوق سلطة القوانين .

بل لقد بقي الدم الذي يجري في عروق الالزاسيين يقيماً لا تشوبه شائبة الاختلاط والامتزاج بغيره حتى لما بعد التحاق الأتراس بالامبراطورية الجرمانية ولم يتجاوز عدد النماذج القحفية التي هي من الشكل المتطاوّل الاثني في المئة

حتى ان الازاسيين اليوم ليسوا بعبيدين عن أن تكون قحافهم أقل قصراً واستدارة من قحاف آبائهم فحسب ، بل ربما كان هذا الوصف الخاص بارزاً فيهم أكثر من آبائهم وأجدادهم . ان جماجم الازاسيين لا تفرق عن جماجم أهل البلاد المسماة (بابره تون Bih-Etalon) أصلاً ، بل ان العلامة القحفية في كليهما واحدة .

هذا وان هذه المعلومات التشريحية يؤيدها علم النفس أيضاً ، فلن في الفرزة الازاسية كثيراً من عناصر الفريزة (السلتية) سبباً منها تعشق الحرية والنفور من الغريب .

ان النتيجة الأولى التي تستخلص مما سبق هي أن الازاسيين من شعوب أوربة الاكثر تجانساً . إذ أن الازاسيين بالرغم من تدخل النفوذ الاجنبى على اختلاف أنواعه قد تمكنوا من الاحتفاظ بالأوصاف التشريحية والنفسية التي تميزهم عن غيرهم ، وهم اليوم شعب قائم بذاته بين شعوب الأرض التي أصبح عددها قليلاً جداً

ان الازاسيين ليسوا بعبيدين عن أن يكونوا متحدرين من عنصر ألماني فحسب بل هم بشهادة علماء الالمان ذاتهم من عنصر خاص لا يجمعه صلة القرابة بالشعوب الجرمانية أصلاً .

على انه من الممكن ان يكون الالزاسيون قد (مجرموا) مع بقائهم في حالة شعب خاص وبهذه الصورة تكون المانيا على صواب في ادعا آتها .

فالتاريخ وهو شاهد عدل يعطينا عن هذه النقطة معلومات حاسمة .

قد كان ينظر لبلاد الالزاس المحصورة بين نهر الرن وجبال الالزاس (Les Vosges) مدة طويلة من الزمن كبلاد يستحيل اجتيازها واختراقها تهرباً . فان نهر الرن الذي تتفرع عنه جداول عديدة وتجرى مياهه كالسيل الجارف ، والسهول حواليه نادرة وعرضة مع ذلك للتبدل في كل حين — كان يشكل هو وجبال الالزاس حصناً منيعاً بصد غارات الاعداء . اما تلك الجبال الوعرة العليلة الالزاسية فيكاد لا يوجد فيها سوى ممرين في الشمال والجنوب وهما منفذ ايلة (بلفور) وخليج (سافرن) ولهذا كان الطواف حوالي بلاد الالزاس اسهل من اجتيازها من الجهة الواحدة الى الجهة الاخرى ان هذه الوضعية الجغرافية هي من الأسباب الجوهرية التي ضمننت الالزاسيين استقلالهم مدة طويلة وساعدت على بقاء الدم الذي يجري في عروقهم صافياً لا يخالطه دم اجنبي وعلى ديمومة أوضاعهم السياسية والاجتماعية على حال واحدة .

وهناك سبب آخر ساعد الازناس على الاحتفاظ بشخصيتها وهو أن غزارة محاصيل هذه البلاد وتعدد أنواعها جعلها عدة قرون في غنى عن طلب المعونة من جاراتها . وقد بقي الازناسيون قوماً زراعيين ذوى أخلاق وعادات ثابتة وتهيأ خاصة لايوثق بأمانتهم كثيراً . أما وطنيتهم فقد كانت محلية لاتتعدى حدود البلد الواحد ولم يكونوا يميلون للسير نحو هدف سياسى معين ، ولهذا فقد اتقسمت بلاد الازناس الى أيلات مستقلة ، فولاية (استراسبورغ) هي مثال هذه الأيلات المستقلة .

إن عدم طرور تغير على أوصاف الازناسيين التشريحية والنفسية الخاصة كلف لاسقاط قيمة الادعاءات التي يدعيها بعض المؤرخين لجرمانيين الذين يجزمون بأن الازناس كانت مأهولة لاول الامر قبائل « توتونية (Tonton ques) تعرف بالتريبوكيين (le-Triboquii) كما انه يمكن الاستناد على مؤلفات (تاسيت Tacite) و (سزار ١١٧١) لندحض هذه الادعاءات واثبات مخالفتها للحقيقة ، فقد كان السكانيون (les Sequanes) الذين هم شعب من عنصر (السلت) يسكنون الازناس منذ مدة طويلة في عهد هذين المؤلفين

ان سكان الازناس الاولين الذين سكنوا في الادوار المجهولة من الازمنة التي تقدمت التاريخ قد تمكنوا اذن من الاحتفاظاً بأوصافهم

الخاصة مدة قرون عديدة — كما ابنا ذلك فيما سبق — برغم تأثير الشعوب المختلفة التي تماقبت عليه ودخل في حوزتها ان تاريخ الازراس منذ البدء حتى النهاية يرينا المساعي التي بذلت في سبيل ضمان خلاصه من النفوذ الاجنبي اما في ايام دخوله في حوزة الرومانيين فقد آتمرت هذه المساعي بسهولة : فقد احترمت « روما » استقلال الازراس ولم تمس انظمتها ولا حرите . وقد كانت ايام الحكم الروماني وايام الحكم الفرنسى في القرن السابع عشر والنامن عشر من اسعد الايام في تاريخ الازراس عند اهله

ان الأزراس لم تتأثر من الاضطرابات التي كانت تاتى بها :لوقائع الكبيرة الا قليلا جداً . فن تلك النارات لما كانت لاتصل اليها عن غير طريق (بال Pale) و (بلفور) او طريق بلجيكا بسبب حيولة الموانع الطبيعية دون ذلك في الجهات الاخرى قد بقيت الازراس في حرز منها وكادت ان لاتمسها أبداً

عندما انتصر (كلوفيس Clovis) عام (٤٨٥) في (صواسون) على (سياغريوس Syagrius) ألحق هذه البلاد بمملكته ، لكن ذلك لم يكن له شيء من التأثير على الازراس . وهكذا فان الازراس

التي كانت مقدراتها مرتبطة بباليا الرومانية بقيت مرتبطة بباليا الفرنسية حتى القرن الحادى عشر . وقد كان حبها لفرنسة أثناء هذه المدة عظيما يعادل كرهها للجرمانيين

وعند ما اجتهد الالمانيون في الاستيلاء على الالزاس في ايام اعقاب شرلمان ابتداءً دور النضال والتطاحن ، ولما كان هذا الدور يظهر مبلغ ما ابداه الالزاسيون من المقاومة الدائمة والعميقة تجاه النفوذ الجرماني ، فهو لتلك من الالهية والفائدة بمكان عظيم في الاحاطة بموضوع بحثنا وجدير بالتدقيق والامعان

ان معاهدة (فردون) التي عقبت عام (١٨٤٣) لم تلتحق الالزاس بألمانيا ، بل جعلتها دولة منفردة لوحدها بين فرنسا و ألمانيا وولت أمر إدارتها (لوزر *Lorraine*) حفيدشارالزوا ، تلتحق الالزاس بألمانيا إلا سنة (١٨٥٥) من قبل (لويس الجرماني)

على أنه لم يقبل بهذا الالحاق الذي أجرى عنوة وقرراً لا الالزاس ولا فرنسة ، ولم ينفك الالزاسيون يطلبون المعونة من فرنسة مدة قرن ونصف القرن ، لكن ملوكنا لما كانوا مضطرين للدفاع عن الجهة الأخرى من البلاد التي كان يهاجمها (النورمن) فقد أصبحوا مجبرين على إخلاء الالزاس بعد أن احتلوها مرات متعددة .

يجوز لنا أن نعتبر أن الأزمات كانت عام (١٧٩٨) ملتحة بجرمانيا التحاقاً نهائياً ومرتبطة بها ارتباطاً وثيقاً محكماً ، فدور التطاحن على الأزمات والمعارك المتتابة التي ثارت لأجله والتحمت بسببه يبتدىء من هذا التاريخ ، نعم إن هذه البلاد قد افتتحت ولكنها لم تطع الغالب أبداً ، وتاريخ الأزمات العائد لما بعد هذا الدور يثبت صحة ذلك بوضوح .

إن جشع الامبراطرة الجرمانيين أودى بالبلاد الى الخراب والدمار ، ولقد نجح الأتزايسيون في بناء البلاد المحصنة فوقوا أنفسهم بذلك من البلاء ، وصارت هذه البلاد تنهض وتحسن بمرور الأيام حتى أصبحت في القرن الثالث عشر بحالة جمهوريات صغيرة مستقلة ، ولما كان الامبراطرة في الأصل يرينون أن يؤسسوا التوازن تجاه نفوذ زعماء الأقطاعيات ، وقوتهم ، فقد ساعدوا هذه البلاد على النهوض وأعلنوا إلحاق بعض هذه البلاد بالامبراطور مباشرة باسم (بلاد الامبراطورية)

فهذا الالحاق الغامض البعيد في النى لا يربط الملحق بالملحق به ربطاً فعلياً حقيقياً كان بمثابة استقلال حقيقي لهذه الجمهوريات وخصوصاً (سراسبورغ) فقد كانت تلك الجمهوريات تضع الأنظمة

المختصة بها بنفسها مقتبسة ذلك عن الأنظمة الرومانية وقد كانت السلطة الرئيسية في يد موظفين يدعون (شوفن *Echevins*) يمثّلون الحكام الرومانيين الذين كان يطلق عليهم لقب (قونسول) وكان الوقوف في وجه تدخل المانيا بالشؤون الداخلية أخص ما تقضى به وظائف هؤلاء الموظفين عليهم

ولقد كانت كل بلدة من تلك البلاد المتمتعة بالحكم الذاتي بحرية تامة كما ألمعنا الى ذلك تؤلف جمهورية صغيرة تمارس الأمور التي كانت من حقوق الملوك فكانت تضرب السكة (النقود) وتسن القوانين كما تشاء وهكذا لم يكن ارتباطها بالامبراطورية سوى ارتباط (شرفي) أي اسمي محض

وقد كانت هذه الجمهوريات المختلفة تقوم بالتجنيد وتوظف السفراء وتعد المحالفات بدون أن تحتاج لأخذ موافقة الامبراطور كما أنها كانت تتحد أحياناً عند مفاجأة الاعداء كما تتحد الأيالات (كانتون) السويسرية وخصوصاً في سبيل صد غارات (شارل اجزيء). وفي عام (١٣٥٤) صادق امبراطور المانيا شارل الرابع على قرار الوحدة الشهير الذي وحد بين عشرة بلاد الزاسية سميت (البلاد العشرة *La Dixcapat*) فهذه الوحدة كانت بمثابة وحدة لبلاد الأنازاس بأجمعها في ظل حماية جرمانيا الاسمية .

ثم ان الأتزانس لم تعدم فرصاً تعرب بها عن استقلالها : فقد أتيح لها أن ترفض دفع الجزية للأمبراطورية وأن تسمح لبعض الولاة باكتساح بلاد لا يعرفهم أهلها أو على التحالف معها كما كان من أمرها مع الامبراطور (مكسملين) عند ما طلب اليها في عام (١٤٩٢) أن تزحف معه على فرنسة فقد أجابت على طلبه بالرفض ان الجمهوريات الأتزانسية كانت دوماً شديدة التمسك بالديمقراطية وكثيراً ما كانوا يطردون النبلاء أو كانوا يجبرونهم اذا أرادوا أن يكونوا ممن يحق لهم إبداء الرأي على الاعلان للملأ بكونهم من عامة الناس ، وهكذا فقد كانت صفة تمسق الاستقلال المستعصى على الخضوع لأي عبودية سياسية أو اجتماعية من الصفات التي لم ينفكوا لحظة عن الاتصاف بها

كان الأتزانسيون ينظرون دوماً لوجود الأغراب في بلادهم حتى ولو كان هؤلاء الأغراب من فئة العمال بعين المقت والسكره وعند ما كان تقدم الصناعات يضطر الأتزانسيين لقبول الأجاناب كان هؤلاء الأجاناب يؤلفون فئة خاصة على حدة ويدفعون ضريبة خاصة ، وهكذا فقد كانت الأتزانس في القرون الوسطى موصدة الأبواب في وجه النفوذ الأجنبي أياً كان بقدر ما كانت أبواب بلاد اليونان في القرون الأولى موصدة تجاه النفوذ الأجنبي

قد رحبت الأناضل بمركة الرلرفورم (مائى به لونلر وكلفلن
وغيرها من التفلرلر فى الالن المسلحى) ألسن ترلبلب ، قه
أمت تلك المركة مطابقة تمام المطابفة لفرلزة حب الاستقلال التل
فطر علها الأناضلون ، لكن هنه المركة كانت منشا معارك مةةة
نشبت بلن الأناضلن والمكام الألمانلن

ولكى ىتملص الأناضلون من الألمانلن قه حولوا ووجههم
شطر فرنسا التل كانوا ىكنون لها فى أفنلهم منذ العهء الرومانى عاطفة
وء وحب شةةةة لءرعة جمات الامبراطرة الجرمانلن لا ىنفكون
عس التنةةةة بها

وفى عهء وزارة (رلشلىو) افضى الحب الى تلحال ولسن ملوك
فرنسة لم ىفكروا قط بأمر الحاق الأناضل ببلالءهم خلافاً لروايات
الألمانلن الالن ىءور أن الأناضل فصلت عنهم قسراً . ولقد
كانت الجمهورلات الأناضلة تلحلف بالتعاقب بلن الولاء لفرنسة من
نفسها بعء أءء موافقة الشعب المسلشار مقابل تعهء فرنسا بلحاملها
وءام الأمر على هذا المنوال حتى زمن انقءاء الصلح العام

وبعء أن شملت الحماية الفرنسية الكشفر من البلاد الأناضلة
قءمت بلاد الأناضل كافة عءا (اسلرلسبوغ) الى (لولس الالئ
عشر) راجلة منه أن ىشمل البلاد بتمامها بلحاملته لفرنس (رلشلىو)

مبدئياً هذا الطلب ولم يقبل إجابة الالزاسيين الى طلبهم اللهم إلا بعد ما ألحوا عليه إلحاحاً متواصلاً .

ان الحماية الفرنسية تركت للبلاد في الأصل استقلالها التام وقد بقيت البلاد الالزاسية محتفظة بجزرة ضايرها وشعائرها وأنظمتها فلم يتغير شيء في زمن الحماية الفرنسية عما كان عليه . وكانت حامية صغيرة من الجنود تقوم بالدفاع عن البلاد على نفقة الامبراطور

وفي معاهدة (فستغاليا) التي انتهت بها (حرب الثلاثين سنة) اقلبت الحماية الفرنسية التي كانت موقفة الى الحاق دائم وفي عام (١٦٤٨) تنازلت المانيا للملك فرنسة عن الالزاس بجميع ما لها من حقوق الحكم فيها خلا (ستراسبورغ)

وبعد أن تماصت الالزاس من الحكم الجرمانى المطلق استولى عليها القلق برهة من الزمن أمام الحكم المطلق الذي باشرته السلطنة الفرنسية لكن هذا القلق لم يدم زمناً طويلاً فقد بقيت البلاد محتفظة بحريتها التامة في كل شيء وخصوصاً في أمر دينها وعبادتها . ولم يفكر لويس الرابع عشر الذي كان يحترم المعاهدات (١) برغم تعصبه الشديد بالقاء

(١) للمادة (٤٧) من معاهدة (مونستر Munster) التي عقدت عام (١٦٤٨) للمادة الخامسة حتى المادة الخامسة والعشرين من معاهدة (أوسنابروك Osnabruck)

أحكام مرسوم (نانت) في هذه البلاد بالرغم من أن ما يزيد على نصف عدد الالزاسيين كان ينتمي للطائفة الكاثوليكية

هذا وإنه لم تفرض ضريبة ما في بلاد الالزاس وكذلك لم تشملها الجمارك الفرنسية . وقد كان ممساو الملك يقتصرون على السعي وراء توحيد الادارة المدلية والمالية في البلاد والاجتهاد في سبيل اقامة نصاب السلام والنظام والامن فيها . وهكذا قد بلغت الالزاس درجة قصية من العمران حتى أصبح معها عدد نفوس سكانها الذي تناقص بنسبة الثلث بسبب الحروب ضعفى ما كان عليه ببرههوجيزة من الزمن .

وفي زمن اعقاب لويس الرابع عشر بقيت السياسة الحرة ذاتها تجري حكمها في البلاد

وقد أقبلت الروح الالزاسية طوعاً على اتباع احكام المدنية الفرنسية وأصبحت مرتبطة بها ارتباطاً وثيقاً كما كانت مرتبطة باحكام المدنية الرومانية قبلا وكانت افكارنا وأعمالنا دليلاً أخذ يد الالزاسيين في تطوهم الممنوى . وكانت تربطهم بالوطن الاكبر يوماً فيوماً

ان الالمانيين أنفسهم وعلى الاخص (غوتة Gothe) يعرفون بأن الالزاس كانت في أواخر القرن الثامن عشر فرنسية تماما وجاءت الثورة الفرنسية فأذابت أفكار الالزاسيين المتشعبة بإميل للاحتفاظ بالاستقلال الخاص (Particularisme) ضمن نار الوطنية القومية التي كانت تحتدم اذذاك وتتأجج . والجميع يعلمون بأى شوق ألقى متطوعة الالزاسيين أنفسهم في ميدان العراك عام (١٧٩٢) وكيف أن (ستراسبورغ) تلك الولاية التي كانت منفصلة بسياستها المحلية زمنا طويلا كانت أول من نرزم بالنشيد الوطني الفرنسي رمز الآمال الجديدة التي أصبحت الامم تتوق اليها لم يكن للالزاس حتى عام (١٨٧١) تاريخ خاص فان تاريخها هو تاريخ فرنسة ذاته ، اذ أن الالزاس كانت تكون احدى الالات الاكثر اخلاصا والأشد تعلقا وتمسكا بفرنسة

في أثناء الخمسين عاما التي تلت حرب ال (١٨٧١) طبقت المانيا في الالزاس نظام الحكم المطلق في حين انه كان بإمكانها أن تفرغ هذا النظام في شكل يلائم منافع البلاد ويجعل سكانها يتطلبون بقاء سيادة حكاهم الجدد

على انه من المعلوم ان المانيا لم تسرع على هذه الخطوة وإنما ضيقت على الازراس وضنطت عليه لدرجة جعلت (٢٥٠) الف فرنسى يفضلون هجر البلاد على احتمال هذه السلطة الغاشمة وقد عوضوا بـ (٣٠٠) الف الماني لكن هؤلاء الالمانيين لم يظفروا يوماً بالامتزاج مع ما بقي من أهل البلاد الأصليين أبداً

لم تنجح ألمانيا في (جرمنة) الازراس فلا الجيش أظاها في هذا الشأن ولا المدرسة ولا الانظمة والقوانين ولقد بدا فشل الالمانيين للعيان في المدة الاخيرة تاماً واضحاً كما بدا في الماضي وعليه فلا يمكن الادعاء بأنها تمكنت من أن تجمل من الازراس أرضاً المانيا

معلوم بأي حمية وهيام احتفل الازراسيون بعودتهم الى الانضواء تحت حكم فرنسة . فقد مقتوا نظام الحكم الالمانى واستنكفوا منه ، على أن هذا النفور لم ينشأ عن أنظمة الالمانيين وقوانينهم فقد كان بعض هذه الانظمة والقوانين حسناً جداً ، وإنما كان ناشئاً عن خشونة وفظاظة الموظفين القائمين بتطبيق تلك القوانين . ان الالمانيين بالنظر لحزهم عن فهم طباع الشعوب الاخرى وغراترها كما يقرون ويعترفون ذاتهم بصحة ذلك فقد كانوا دوماً منغوضين وممقوتين من الشعوب التي حكموها بل لقد نفور هذه الشعوب من

الالمانيين برغم الخدمات الجلى التي لا يمكن نكرانها التي أسداها هؤلاء لها بما قاموا به من الاعمال الاقتصادية

والامر الوحيد الذي لم يكن الحكم الجرماني فيه جائراً هو الشؤون الدينية التي لها اهميتها الكبرى عند الالزاسيين وقد أمل الالمانيون أن يتحكموا بالشعب على يد نفوذ جماعة الاكليروس ولهذا فقد اغدقوا النعم على هؤلاء فزادوا في رواتبهم زيادة بالغة واحترموا احكام الاتاق الديني (كونكوردا *con corda*) الذي كان يربط الالزاسيين بروما وبجدد علاقهم بها

وهذا فان العبر البانغة والدروس القيمة التي تلقوها عن مدرسة التاريخ علمتهم انه لا يجب التعرض لمعتقدات الشعوب الدينية أو مسها.

ان فراسة انتصرة لم تسر على هذه الخطة الرشيدة في أول الامر وعوداً عن أن تجعل على رأس اللجنة التي عهدت اليها — في أثناء انعقاد الصلح — بتنايم الشؤون الدينية في الالزاس واللورن — رجلاً عمايداً كما كانت تقضى عليها بذلك المصلحة فقد اسندت منصب الرئاسة لرجل من أكثر أفراد العشيرة الحرة (الماسون) بمجاهرة بعدم (هـ ٦ اختلال التوازن)

التسامح وهذا الشخص هو رئيس اللوج الماسوني المعروف باسم
(الشرق الاعظم Grand Orient)

أما الالزاسيون الذين كانت الكاثوليكية عقيدتهم فقد امتعضوا
بطبيعة الحال من مثل هذا الاختبار . فان التفت التي كانت تنشر
من خطابات هذا الماسوني لم تكن تستطيع أن تدع في النفوس أي مجال
للتردد في الحكم على آرائه وأفكاره ومعرفة كنهها وحقيقتها بل كانت
تفصح عنها أتم إفصاح .

وقد كان من امر ذلك الرئيس المتطرف أن صرح للالزاسيين الذين
كانوا يميلون كثيراً لأن يتلقن أبناؤهم الثقافة الدينية وان يشاهدوا
الاماتنة يقودون أولادهم الى الكيسة ، قول كان من أمره أن
صرح للالزاسيين (بأنه يجب تحرير المدارس من شوائب الاديان
وتحرير الدماغ البشري من الخيالات والأوهام والافك والبهتان)
« لا اله هناك ولا سيد » ذلك كان مبدأه وتلك كانت خطته

ان هذه الافكار التي لا تعرف التسامح اصلا هي من مظاهر
الروح اليقوبية (١) الهائلة التي دفعت فرنسة نمنها غالباً سواء في

(١) نسبة الى اليعقوبيين أو الجا كويين وهم اعضاء حزب ماسوني كان من
أكثر أحزاب الثورة الفرنسية الكبرى تطرفاً وقد دعي حزيم باسم (حزب
الجا كويين) نسبة الى دير القديس جاك الذي كانوا يعقدون اجتماعاتهم فيه .

الشؤون السياسية وسواء في الامور الدينية

ان (الجاكوبي) الذي يتيقن بأن معتقداته هي حقيقة ناصحة لا يكاد يقبض على مقاليد السلطة والسيطرة حتى يهب لحل النور على قبول تلك الحقيقة قسراً . فهو يرى ان الالمة التي يعبدها في المبادئ الماسونية هي الالمة الحقيقية الوحيدة ولا يطبق أن يسمع بتورها . ولما كان ذا يقين تام فهو لا يقبل إنكار الالمة التي يعبدها بوجه من الوجوه ويعتبر بث الضلال وإذاعة الباطل وظيفه يتوجب عليه القيام بها ، وهذا هو منشأ عدم روح التسامح القاسية المتسلطة عليهم والتمسكة من قوسهم .

وبعد اختبار دام بضعة أشهر أصبح لابد من الاعتراف بأنه لا يمكن تطبيق أحكام العقليّة الجاكوبية في الازاس ولا نجد تلك الروح رواجاً في هذا السوق .

أما ذلك الحين فقد جاء متأخراً قليلاً ففي نفس اليوم الذي أبرمت فيه معاهدة الصلح أصبح من الواجب صيانة الازاس وحمايتها من الروح اليقوتية وذلك بتسليم مقاليد الحكم في الازاس الى الازاسيين أنفسهم .

والمؤلف لا يرى حاجة لأن يشرح الأسباب التي توجب العمل

بموجب هذه الخطة فإن الازاسى يريد أن يبقى أزاسياً وهو يعلق
أهمية عظيمة على رؤية عقيدته الدينية وأنظمة مدارس واعداته
وتقاليد محترمة

إذا كنا نريد أن لا يتحسر الازاس على عهد الحكم الالماني
وأن لا يبقى في قلبه لهُف الى العهد الألماني وتوقان للتظلل براية المانيا
فيجب على فرنسة أن تقلد زمام الأمور في هذه البلاد الى موظفين
قوي نفوس متحررة تماماً من الروح اليقوبية



الفصل السابع

الحالة المالية اليوم

أي الشعوب ستكبد نفقات الحرب

ان اختلال التوازن الذي وقع فيه العالم اليوم ليس ناشئاً عن
الاطعاء النفسية فحسب بل ان من الاسباب التي دعت اليه سلسلة
الاوهام والخيالات المشهودة في عالم الاقتصاديات والحقوق . بل ان
تقسيمها انما أمكن تحقيقه لالسبب آخر سوى جهل الطبيعة بهما .
ان القوانين الطبيعية تسير بانتظام كما تسير الدواليب المتشابهة
لكننا نحتاج على جورها عند ماتعنا كس مع حسياتنا ولكن هذه
الاحتجاجات تضيع سدى .

انه مامن زمان لم يتبع القوانين الاقتصادية كزماننا الحالي .
ومع ذلك فان الأمم لم تتمرد يوماً على هذه القوانين كتمرد
عليها اليوم .

مما لاشك فيه ان أوربة اليوم تحس اصطفاً شديداً يجري

بين الضرورات الاقتصادية وبين حسيات الحق والعدالة التي شرعت
تصدم هذه القوانين .

ان مسألة التعمير هي منشأ هذا الخلاف فان الالمانيين بحسب
ما توحيه الينا مداركنا بشأن الحق والعدالة يجب أن يرموا ما خربوه
لكن القوانين الاقتصادية التي تدير ارتباط الشعوب بعضها ببعض
اليوم قوية لدرجة يستحيل معها أن يتم التعمير بكامله . وعدا ذلك
ان النقعات التي يقضيها هذا التعمير عوضاً من أن يتكبدوا المغلوبون
فسيتكبدوا المنتصرون حتى أنهم لن يتكبدوها لو حدم بل والحياديون
الذين لم يشتركوا بالحرب أصلاً .

ان بعض ايضاحات مجملته تكفي لاثبات صحة هذه المزاعم .

ولنشر أولاً الى أن الايضاحات التالية تنطبق على حالة المانيا
اليوم ولكنها لا تنطبق أبداً على حاملها بالأمر من الزمن الهدنة .

يروى أن أحد المندوبين الجرمانيين بعدما سمع شروط الصلح
التي عرضها المرشال فوش سئل عن مقدار المبالغ التي ستكلف المانيا
بدفعها بكل خوف ووجل فاضطر القائد الاعظم الى الاجابة بأن
حكومته لم تعطه أي تعليمات في هذا الصدد .

ومن المعلوم اليوم أن ألمانيا التي خشيت أن تقضى عليها المعاهدة بتسليم جيشها وخافت دخول جيوش الحلفاء الى برلين كانت مستعدة لأن تدفع مبالغ طائلة . وكان بإمكانها أن تستدرك هذه المبالغ إما من صناعاتها التي لم يطرأ على ماليتها خال وإما بتقد قرض خارجي . فهذا القرض كان يمكن عقده بسهولة لأن الألمانين لو كانوا مغلوبين عسكرياً لما تزعزع اعتبارهم التجاري . وفي أثناء مفاوضات الصلح عرضت ألمانيا أن تدفع مئة مليارا .

وبعد أن اتقضى هذا الدور شرع الألمانيون ينقبون عن وسائل يتملصون بها من الدفع ونجحوا في اسقاط قيمة أوراقهم النقدية الى حد جعل الدفع غير ممكن بوجه من الوجوه .
ان وزير ماليتنا المسيو (دولاستري) قد لخص في إحدى خطبه الحالة الراهنه كما يلي :

ان المانيا لم تجتهد في خلال أربعة أعوام الاوراء اغتنام الوقت وفي سبيل فك عرى روابط الاتحاد التي تربط الحلفاء بعضهم ببعض ولم يدبر في خلالها يوماً أن تسدد مالنا عليها من الديون بلى إنها في نفس الوقت التي تدعي فيه انها عاجزة عن الدفع نلينا نراها تجدد المليارات لزيادة وتحسين أدواتها الاقتصادية واعادة

تأسيس تجارتها البحرية وانشاء خطوط السكك الحديدية والقني وتحسين وتزيين بلادها .

ولقد كانت طلبت في أواخر العام الماضي موراتوريوم لمدة بضع سنين بدون أن تقدم للحلفاء بمقابل ذلك أقل ضمان . ولو بلغ بنا الجنون الى حد القبول بهذا الطلب لكان في ذلك مصيبة حقيقية لبلادنا . بل لو تمكنت ألمانيا من إيجاد وسيلة تملص بها من الدفع مدة بضع سنين واستعادت بذلك حالها السابق فهل يبلغ البله والسذاجة باناس لدرجة تجعلهم يتصورون بأنه من الممكن أن ترضى ألمانيا حينئذ بتسديد ديونها ؟

ما هي الحالة التي كان يمكن أن تصير اليها الامتان لو نجحت خطة المانيا ؟ إن المانيا أرادت من وراء اسقاط قيمة المارك الى درجة العدم انكار دينها الداخلي ، كما أنها أملت بالقضاء على التعويضات أن تقضى على ديونها الخارجية حتى اذا رمت عن عاتقها العبء الثقيل عبء ديون الحرب - الذي تدوء تحته الدول الحاربة جعلت حالتها في تحسن اقتصادي لا مثيل له وقبضت على صوبجان النفوق في كل أسواق العالم واذ ذاك لا تعتم أن تقضي على جل الحكومات في تجاراتها الخارجية بما تتوسل به من المنافسة الفظيعة فتولد بذلك أزمة رهيبة من البطالة والعطلة في جميع أنحاء العالم .

أما فرنسا التي تعد القيام بتعهداتها من مقتضيات الشرف والتي سيكون عليها أن تتحمل عبء التعميرات الثقيل فبقى حينئذ أمام دين يبلغ المليارات . واذ ذاك فإن التجارة والصناعة والزراعة التي تنوء بالضرائب تصبح والعثرات تعترض سبيل تقدمها . فهل هذا ما يقضى به الحق ؟ أهكنا تقضى العدالة ؟ هـ اه

ان هذه الحقائق التي أصبحت اليوم واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار في نظر العموم لم يكن من الصعب كثيراً ادراكها والتنبؤ عنها سلفاً . ومع هذا فانه ما من سياسى من السياسيين الذين كانت ييدهم مقدراتنا أثناء وضع معاهدة الصلح رأى أن المانيا التي كانت قادرة كثيراً على دفع التعويض زمن الهدنة بواسطة القروض التي كان باستطاعتها وقتئذ عقدها بسهولة ، تقول لم ير أحد منهم أن المانيا ستسعى بعدئذ للتخلص من أداء الأقساط التي تصورها سياسيون بلغت منهم المداجة حداً جعلهم يصدقون انه بالأمكان اجبار شعب على دفع ضريبة سنوية باهظة مدة (٤٠) عاماً .

فان هؤلاء الساسة لم يبدأوا بفهم السياسة الالمانية اللهم الا بعد الاربعة عشر مؤتمراً التي عقدت خلال أربعة أعوام ، وما عدا ذلك فان المانيا لقيت معاضدة من قبل انكثرة التي لم تكن تود كثيراً

أن ترى النقد الألماني ينتقل لأيد فرنسية عوضاً عن أن ينسكب
في صناديق التجارة البريطانية

ولما انتهت فرنسة من خيالاتها عازمت على احتلال الزور ولكن
الحالة الاقتصادية في أوربة كانت وقتئذ قد تبدلت تماماً
ان هذا الاحتلال الذي قد يضمن الأمن والطأينة لفرنسة
لا يظهر عليه انه يعود عليها بالكثير من التعويضات

ان الوقائع قد اقلبت في الحقيقة لشكل أصبح معه احتمال حصول
الحلفاء على شيء من التعويضات من المانيا ضعيفاً بالرغم من كل
ما يستطيعون اجراءه من وسائل التضيق
ولكى تقيم البرهان على هذا علينا أولاً أن تأتي على بعض
معلومات عن الحالة المالية في بعض البلاد

ونلاحظ قبل كل شيء أن مسألة التعويضات ليست السبب
الموحد في تقلل الحالة الاقتصادية في أوربة أصلاً لا كما يدعي الانكايز
وانه اذا سدد الالمانيون ما عليهم من الديون فان ميزانيتنا لا تستعيد
بذلك توازنها القديم كما يظن الكشيرون

لقد أبان الشيخ « سناتور » (برانجه) في خطاب ألقاه
في مجلس الشيوخ في الخامس من تشرين الثاني عام (١٩٢٢) أن

مجموع ديوننا] الدين العامة (٣٣٧) ملياراً ونفقات التعمير والترميم (١٣٢) ملياراً والخب ...] يبلغ (٤٧٥) ملياراً . وزاد على ذلك قاتلاً « واذا وازنا بين مالنا وما علينا نرى ان الحكومة الفرنسية ستجد نفسها - حتى في حالة قيام المانيا بتمهدها وتسديد الحكومات الاجنبية مالنا عليها من الدين ، تقول ستجد نفسها امام (ذمة) نهائية تبلغ (٤٧٥ - ١٢٩ تساوي ٣٤٦) مليار فرنك ورقى على معدل الاسعار فى السوق المالية اليوم » اه

ماهي حالتنا المالية وكيف ستكون في المستقبل ؟
ومع أنه من الصعب الاشارة الى ما بلغ اليه المجموع الحقيقي لديوننا فان الحالة المالية لا تبدو زاهرة بية .

ولأجل (تغطية) التضخم المشؤوم فى قسم النفقات من ميزانيتنا قليلا لقد قسمت ميزانية النفقات الى ميزانية اعتيادية وميزانية غير اعتيادية وميزانية نفقات سميت (نفقات قابلة للاسترداد) .

ان مجموع هذه النفقات يبلغ سنوياً ما يقرب من (٤٤) ملياراً ، فى حين أن واردات الضرائب تكاد لاتساوي نصف هذا المبلغ فيظهر من هذا أن العجز المالى هائل ومخيف .

ان العجز السنوى فى وارداتنا يدعو الى ازدياد سريع فى مبلغ ديننا .

ان وزير المالية كان قد أشار في نيسان عام (١٩٢٣) الى
أجزاء نفقاتنا وفندها بالأرقام الآتية :

ان التخصصات التي خصصت لتمويض بقايا دخل القروض
قد تزايدت أضعافاً مضاعفة منذ عام (١٩١٣) فبعد أن كانت ملياراً
و (٣٥٥) مليوناً تصاعدت حتى بلغت (١٣) ملياراً و (٤٠٦)
ملايين ، فتألف منها على هذه الصورة مايربو على النصف من مجموع
النفقات في ميزانية عام (١٩٢٢) . « فيجب والحالة هذه أن يعتبر
السبب الرئيسي في تضخم الميزانية عائداً لهذا القسم من النفقات
الذي لا يمكن اتقاص كميته . »

ان النفقات العسكرية بعد أن كانت في عام (١٦١٩) تساوي
(١٨) ملياراً و (١٨٥) مليوناً تدنت في سنة (١٩٢٠) الى
سبعة مليارات و (٦٨٤) مليوناً والى ستة مليارات و (٣١٢) مليوناً
في سنة (١٩٢١) والى خمسة مليارات و (٣٤١) مليوناً في عام
(١٩٢٢) .

أما نفقات الادارة الملكية التي كانت تبلغ في عام (١٩٢٠)
أحد عشر ملياراً و (٣٧٧) مليوناً فقد تدنت في عام (١٩٢٢)
الى سبعة مليارات و (٣٢٨) مليوناً .

فكل هذه الأرقام تدل على أن المعجز في ميزانيتنا حتى ولو دفعت المانيا جميع التقاسيط المطلوبة منها سيبقى على ما هو عليه من الارتفاع الهائل .

هذا وقد مضى زمن طويل جداً ريثما حصل التيقن من أن الدستور القائل بأن (المانيا ستدفع) الذي تكرر اللفظ به أكثر من مرة والذي كان يتخذ أحياناً مبرراً لاتفاق كثير من المال على أقل الأمور نفعاً - ليس الا أملاً قائماً على الوهم .

ولما كان من الثابت أن المعجز باق في ميزانيتنا حتى ولو سددت المانيا جميع ديونها على ما برهنا الآن قيل بضعة أسطر فقد كان يتوجب التنقيب عن غير هذا الأمر .

ان توسيع أبواب الاستثمار - استثمار مواردنا الطبيعية - وتخفيض نفقاتنا هو الحل الوحيد الداخلى في حيز الامكان لهذه المسألة .

و بانتظار الزمن الذي تتقرر فيه هذه الحقيقة في جميع الأذهان سنستنبط شتى الوسائل والتدابير . ان السهولة في طبع أوراق قديمة بدون ضمانة معدنية لها يدعو الى ازدياد النفقات يوماً عن يوم . أما الحالة المالية فتشبه خيولاً جامحة تعدو بمجنون لتوقع مركبتها المالية في

كارثة يصعب تلافي أذاها . أما الوزراء فأنهم يقفون في وجه هذه الخيول الجامحة ولكن مقاومتهم ضعيفة .

ان أمثلة انكثرة التي ازدادت الواردات في ميزانيتها عن عام (١٩٢٣) بضعة مليارات بواسطة التخفيض في النفقات بوجه خاص الذي قامت به حكومة بلفت من القوة جداً مكنها من حمل البرلمان على الاذعان لارادتها . ان هذه الأمثلة لم تاق بعد مقلدين لها في فرنسا .

ان الامبراطورية البريطانية رغم غناها وعمرانها وفلاحها تضطرب الآن من الفوضى الاقتصادية التي تزرع أوربة تحت عبئها الثقيل . ان المحصولات الغذائية التي تستهلكها انكثرة والمواد الأولية الضرورية للصناعات الانكليزية تأتيها بكاملها تقريباً من الخارج . وهي تصدر مصنوعاتا الى الخارج كتمن لما يتبناه . على أنه مهما تنوعت أشكال الطريقة المستعملة للأداء فان أي بضاعة كانت لاقع باليد الا بنتيجة المبادلة ببضائع أخرى .

ان هذه المصنوعات التي هي عملة انكثرة الحقيقية لا تموز نمناً وافياً الا اذا وجد لها مشترون . على أن انكثرة قد أضاعت زبوناً من أحسن زبونها وذلك الزبون هو المانيا . ولهذا السبب فان

انكلترة نجتهد بكل مافي وسعها فلا تدع واسطة الا وتستعملها في سبيل إحياء حالة زبوتها القديمة - الاقتصادية وإعادتها الى ما كانت عليه حتى ولو كان ذلك على حساب فرنسا أي ولو كانت تلك الواسطة تضر بفرنسة .

وفي انتظار تمام هذا الأمر فانها تفتش عن مشتريين آخر . لكنه لما كان لها في الأسواق التجارية الخارجية مزاحون يبيعون بسعر أقل من السعر الذي تبيع به فهي مضطرة لتزليل الأسعار التي تبيع بموجبها وبالتالي لا تقاص الأجر التي تدفعها للعمال سيما أجور عمال المناجم .

فهذه الضرورة كانت سبباً في اعتصاب عمال المناجم اعتصاباً كبير الثمن دام زهاء ثلاثة أشهر ؛ ولو قبلت مطالب المعتصين لعاد ذلك على الامبراطورية البريطانية بالافلاس التجاري . ان هذا المثال لو حده يكفي لاظهار قوة بعض القوانين الاقتصادية وعدم إمكان مكافحتها وناضلتها .

ان الشعوب لم تكن يوماً تمتت بعضها بعضاً مقتها لبعضها اليوم فلو كانت الارادة تكفي لافناء البشر لغدت أوربة صحراء مقفرة . فهذه الضغائن ستبقى حتى اليوم الذي يستقر فيه في الأذهان

ويصبح الرأي العام فيه قائماً من أن منفعة البشري في التضامن والتعاون أكثر مما هي في التطاحن والتدابيح .

ان التطور والتكامل الذي حدث في الزمن الذي تقدم نشوب الحرب في الصناعات والتجارة اللتين هما الركن الأساسى في عالم الاقتصاد الأوربي أوصل العالم المذكور الى حالة من التجانس تامة بدون أن يكون القابضون على زمام الامور في الحكومات على علم بهذه الحادثة . إن كل حكومة أوربية لها مكانة وأهمية حيوية بالنسبة للحكومات الأخرى بكونها موضع اتجاؤ وإصدار أو استهلاك . ولذلك فان دمار وخراب أي حكومة أوربية ما كان ليتم بدون أن يلحق الحكومات الأخرى من جرائه الضرر والأذى

ان هذه الفكرة قد تعممت اليوم حتى بين الالمانيز أنفسهم ، ولكن الفكرة التي كانت متمكنة من أذهان الالمانيين زمن الحرب كانت على طرفي قبيض من هذه ، فكانوا قليلي المبالاة والاهتمام جداً بالارتباط المتقابل والمصلحة المتبادلة المتحكمن برقاب الشعوب عند ما كان غرضهم الأسمى وهمم الوحيد سواء في بلجيكا وسواء في فرنسة هو القضاء على الغبارك والمناجم التي كانت تزيحهم غالباً بما تصنعه وتنتجه . ولقد صرح المسيو (باينس) وزير الامور الخارجية

السابق في بلجيكا بأن حاكم البلجيك الألماني وقتئذ البارون (بيسينغ) لم يدخر وسعاً ولم يترك وسيلة إلا استعملها في سبيل القضاء على الصناعة البلجيكية قضاء تاماً . يقول الوزير المذكور « ولقد نهبوا بدون أدنى خجل جميع ما وقع بأيديهم من آلات معاملنا وعددها وأدواتها توجيهاً لمصلحة المعامل الجرمانية المزاحمة لها وقوضوا دعائم الأبنية المدنية التي كانت الفبارك تتألف منها وهسوها من أركانها »



ان كل الوسائل التي دبرت لارغام المانيا على تسديد ديونتها تفضى الى نتيجة غريبة وتلك النتيجة هي أن الفرنسيين والاجانب هم الذين سيسددون الدين الألماني في النهاية
ولما كانت العملة مفقودة من يد المانيا فهي تدفع نمماً للأقوات ولمواد الأولية التي هي مفتقرة اليها بمبادلتها بما تصنعه في فباركها وقتنتجه ؛ وهكذا تتوفر لديها وسائل للايراد والارتزاق
ولقد كان باستطاعة المانيا أن تسدد ديونها بما يزيد عن صادراتها لكن ذلك يحملها حينئذ على تزييد منتوجاتها زيادة بالغة توضحت النتائج التي تترتب عنها أجمل اتضاح في خطاب القاه أحد الوزراء الانكليزي منجسهر اذ قال :

إذا كانت المانيا تستطيع في برهة أربعين أو خمسين عاماً من هذا التاريخ أن تسد ديونها فتصبح لهذا السبب وحده ذات السيادة في جميع الاسواق التجارية في العالم ، كما انها تصبح أعظم الشعوب من وجهة الاصدار الى الخارج بدرجة لم يعهد لها مثيل بل تفدو مملكة الاصدار التجاري الوحيدة تقريباً في أنحاء المعمور وإذا قبضت الحكومات المتحدة الاميريكية في برهة أربعين أو خمسين عاماً جميع ما يحق لها فاتها ستشهد من نتيجة ذلك هبوطاً في الاصدار التجاري وتري أن شعبها بات محروماً من قسم كبير من حرفه وصناعاته الجهورية . وحينئذ ترى أن جماع اقتصادياتها الوطنية قد تقوضت دعماً . أما المانيا وهي الشعب المديون فستبذل نشاطاً شديد الضرر كما أن الولايات المتحدة الاميريكية وهي الشعب الدائن ستبدي رقوداً وسكوناً يجلبان الضرر والأذى أيضاً . « هـ

إن جميع هذه الحقائق الواضحة تبرز الآن رويداً رويداً لعالم الوجود من فوضى الأخطاء الاقتصادية التي يتخبط العالم في دياجيرها المظلمة .

إذا كانت المانيا ستفي ما عليها من الديون لفرنسة بصفة بضائع بكية وافرة جداً تتناسب مع خطورة هذا الدين فان المصنوعات

الالمانية تفيض على بلادنا بدرجة تضطر معاملنا لأن تقلل مصنوعاتنا أو أن نقف عن العمل بتاتاً . ونتيجة ذلك تحدث في البلاد أزمة عامة من الفقر والبطالة

إن تأدية الديون بصفة بضائع يجعل فرنسة تضيع من جهة ما تحصل عليه من جهة أخرى ، ولاجتناب هذه النتيجة التي هي على غاية من الوضوح قد تقرر — لمصلحة الحلفاء — وضع زيادة جمركية على نسبة ١٢ في المئة على البضائع التي تصدرها المانيا وهذا معناه أن سعر مبيع البضائم الصادرة قد ارتفع على نسبة ١٢ في المئة وعلى ذلك فإن جميع الذين يشترون المنسوجات الالمانية أياً كانت جنسيتهم يدفعون لها الاثمان اذن بزيادة (١٢ في المئة) عن ذي قبل . فيظهر من هذا جلياً أن الذين يدفعون قسما من التعويضات المخصصة للتعويضات ليسوا هم الالمانيون بل هم المشترون على اختلاف أجناسهم .

ولقد وضع على بساط البحث مرة اقتراح ولعله لم يوضع حتى الآن اقتراح أحسن منه وهو أن يجبر كبار الصناعيين الالمانيين على التخلي عن عدد وافر من الأسهم التي تؤلف رأس مال معاملهم بقدر الثلث مثلاً . لكنه لما كان لهذه الأسهم أصحاب فإن الحكومة الألمانية تضطر إذ ذاك لتعويض الأضرار التي تلحق

بهؤلاء من جراء ذلك ، وهذا يفضى الى نفس ما اتهمت اليه الطريقة
السابقة أي ازدياد أثمان البضائع ، وهكذا فإن مستهلكي البضائع
الألمانية من الأجانب هم الذين سيتكبدون دوماً تسديد الدين الجرماني
ان جميع هذه الحوادث قد غابت عن ذهن الجمهور بل حتى
عن ذهن قاداته القابضين على زمام أموره أيضاً - زمناً طويلاً .
ولكنها اليوم غدت مفهومة أكثر من ذي قبل . ولقد جاء الرأي
العام الأجنبي بهذا الشأن موضعاً أجلى وضوح في الكلمات الآتية
التي وردت في إحدى كبريات الجرائد الأمريكية . قالت الجريدة :
« ان زيادة رسم قدره ١٢ في المئة معناه فرض نوع (تعريف)
انتدائية يمتد ظل حمايتها على جميع الشعوب التي تستورد البضائع من
المانيا وهو رسم يجبي من المشتري الاميركي عن جميع البضائع الألمانية
التي تضع رحالها هنا . ولكن هذا الرسم عندما يجبيه المانيا يتسرب
الى خزينة الحلفاء لا إلى خزينة الحكومات المتحدة كما لو كان رسماً
(أميرياً) مجرداً فرضته الحكومة . وسيفضى هذا الرسم الى حدوث
ارتفاع في الاسعار وهبوط في كية الاخراجات . » هـ

ان جميع البيانات التي سبقت مهما بدت غير مستلحة قاتنا
جديرة بالتأمل إذ هي أدلة تجمل في يد جمعية الامم مستندا تستند

عليه للتوصل الى تقرير ابطال الحروب أقوى وأعظم من الابحاث الغامضة المشتقة من القواعد الانسانية التي تشغل جلسات تلك العصبة
إن الوسائل التي بحثنا في نتائجها وانعكاساتها ترى في الواقع
بجلاء تام أنه بسبب الارتباط المتقابل الذي يزداد تحكما بين الشعوب
يوما فيوما فن اي أمة عندما تخذل في الحرب وتصيبها الهزيمة
تصبح الأمم الاخرى مرغمة على تسديد الغرامات التي يجب علي
تلك الامة المغلوبة تدديتها .

فهذه الضرورة التي دعت اليها النهضة الاقتصادية كانت بجوهلة
حيننا من الدهر ، اذ كانت الامم العظيمة وقتئذ تفتى وتثرى عن
طرق الغزو والانتواعات ، ولقد كانت المبالغ التي تتقاضى من المغلوبين
تؤانف في عهد ازومان جزءا جسيما من الميزانية .

وقد ذكر « فريرو » ان قرطاجنة دفعت للرومانيين عقب واقعة
(البونـ) البانية مبالغ قدره (٥٥) مليون فرنك وهو مبلغ طائل
لا يستهان به في ذلك العهد، وروى (پلين) أيضا أن (بول اميل) لما غلب
الملك (برسيه) قد أجبره على دفع مبلغ (٧٥) مليوناً بل ان المغلوبين
كانوا يجرهون من جميع ما يمتلكون كما كان من أمر (مرسلاوس)
عندما فنتح (سيرا كوزه) فقد استولى على كل غال وتمين حوته
تلك المدينة .

لم يمر على انقضاء هذا العهد ، عهد البطولة ، زمن طويل ولكنه عهد لن يعود بعد هذا الانقضاء . فباستطاعة الأمم بعد اليوم أن تشهر حسام الحرب فيما اذا كانت تسعى وراء التفوق الدولي كالمانيا أو للذب عن حياضها كتركيا . ولكنها لن تثرى على حساب الامة المغلوبة .

إذا كانت جمعية الأمم تفتش عن كلمات نحلي بها (واجهة) القصر الذي تعقد اجتماعاتها فيه فاني أنصح لها برسم العبارة الآتية: « إن جميع الحروب بعد اليوم ستؤول بالغالب كما تؤول بالمغلوب الى الخراب والدمار . » وإذا بدا للبعض أن هذه العبارة وجيزة جدا فيمكن اتمامها باضافة ما يلي . « اذ أن أى أمة اذا أشهت الحرب على غيرها فإن الأمم الاخرى بأسرها ستكبد ثققات هذه الحرب . فن مصلحة الشعوب المباشرة والحالة هذه أن تتحد وتتضامن لتحول دون نشوب حروب جديدة .

حث البشر من آن الى آخر على التحابب وإعادة ذلك على مسامعهم دوماً من النصائح التي لم تعمل الشعوب بموجبها أصلا . إن الحكمة القائلة « عاضدوا بعضكم بعضا فبذل ك تعاملون لمصلحتكم المجردة » تستطيع أن تغير حال العالم إذا تمكنت من الحلول في سويداء القلوب بعد أن تكون قد قلبت الافكار وحوالتها عن مجراها ما

الكتاب الثاني عدم التوازن الاجتماعي

الفضيل الأول

النظام الاجتماعي والروح الثورية

ان النظام الاجتماعي أي وجوب الاتقياد لبعض القواعد قد كان دوماً منذ العصور العريقة في القدم أي منذ العصر الحجري حيث كانت البتيرية تميمت بحالة عشائر رحالة حتى زمن المدينيات العظمى الحديثة - الركن الأساسي الذي يقوم عليه كيان الجماعات . وكلما ارتقت المدينة في سلم التقدم كانت تلك القوانين تزداد عدداً وتزداد إطاعتها وجوباً .

ان الانسان الجديد المحمي كثيراً من قبل القوانين عوضاً عن أن يفتن لحسنات تلك القوانين فانه غالباً لا ينتبه الا لما فيها من

شدة . وقد ألف المتشرع البلجيكي الكبير (ادمون بيكار) كتاباً لطيفاً دعاه (القوانين الثابتة في الحقوق) أثبت فيه أن الضغط (La Contrainte) هو القاعدة الأساسية التي يجب أن تتخذ في أي حياة اجتماعية كانت . وقد أورد المؤلف المذكور في كتابه جملة لشوبنهاور تصف ما تؤول اليه حالة الجمعية البشرية اذا لم تكن إطاعة القوانين متحتمة عندها ، وهي هذه :

« ان الحكومة قد وضعت حقوق كل فرد من الأفراد في يد قوة أعظم بكثير من قوة الشخص . هذه القوة تجبر الشخص على احترام حقوق الآخرين ومراعاتها . وهكذا تحتجب عن الظهور الأثرة التي لاحد لها المتكئة من نفوس جل الخلق والخبث الذي له الشطر الأوفر في طباع الكثيرين والشراسة التي يتصف بها بعضهم . فان الضغط يجعلهم مقيدين ، على أنه وان كان ماينتج عن هذا الضغط ليس الا صورة مزيفه لكنه عند ما تفقد الحكومة قوة اللب عن الحياض أو عند ما يطرأ على تلك القوة شيء من الضعف والشلل كما يحدث أحياناً ، عند ذلك تنطلق من عالم انشاء الى عالم الظهور الصفات التي تنطوي عليها نفوس البشر من جشع ونهم ومكر وخداع ومخاتلة وريء وغدر ومين . » اه

ان النظام يخلق نوعاً من التوازن بين الميل الطبيعي أو الخارجى
الغريزى فى النفس البشرية وبين الضرورات الاجتماعية . فلئاسيسه
يجب قبل كل شىء فرض عقوبات صارمة . لكن القانون الذى تنص
عليه (مجلة الأحكام) لا يصبح ذا قوة حقيقية الا بعد أن ينتمش
فى النفوس تقشاً .

وهكذا فان النظام الخارجى الموضوع بطريقة الضغط يسلخ
فى شكل نظام خفيف الوطأة ثم يعمل فيه قانون الوراثة الطبيعى
فيغدو بانهاية من العادات المألوفة . وعندئذ ، وعندئذ فقط ، تغدو
العقوبات عديدة الجدوى لأن النظام يكون حينئذ قد استقر فى
النفوس . لكن الأمر ليس كذلك عند جميع الشعوب بعد .

ان النظام الاجتماعى (وتكونه عادة يكون بطيئاً جداً وغير
تام الاستقرار فى كثير من الأحيان) سهل التزعزع أمام العواصف
الكبرى . فالشعوب المملصة حينئذ من قيود القوانين وضغطها لا يبقى
لديها دليل سوى ميولها وأهوائها فتغدو كرشة فى مهب الريح طائرة
لا تستقر على حال من القلق أو كما قال المؤلف كسفينة بلا (دفة)
فى عرض البحر تنفذها الأمواج المتلاطمة وتلعب بها كما تشاء .

ان خطورة أمر النظام وأهميته الأساسية تظهر لحيز الوجود عندما يتمحق أن الشعوب لا تحظى بالتمدن الا بعد أن تكون قد حصلت على النظام وانها تعود الى حال التوحش عندما تفقده .

فان خروج أهالي أثينا عن النظام هو الذي ألقاهم في مهاوي الأسر في الزمن القديم . كما أن تدني روما وانحطاطها لم يبدأ الا عندما زالت فكرة اتباع النظام . وكذلك سمعت روما الجرس يبق معلناً حلول ساعة التدني والانحطاط عندما زالت كل فكرة مراعاة للنظام واثقيادله ، ولم يبق ثمة من قوانين الا ارادة الامبراطرة ، تلك الارادة التي هي والعدم سواء كيف لا وان الجنود هم الذين كانوا ينصبون الامبراطرة ويخلعونهم . وفي ذلك الحين فقط نجحت حملات البرابرة على روما وتكاملت بالنصر .

ولقد أظهر المسيو (كميل جوليان) في كتابه المعنون « كيف تفتى الاوطان » أن حكومة غاليا المستقلة اضمحلت على هذا الشكل ذاته : قال المؤلف المذكور : فلم يكن ثمة من مطيع للقوانين وكان كل ما هو من القواعد المقررة في الشؤون العادية والمالية والاجتماعية يخترق في كل لحظة ولهذا فقد نجحت حملة (قيصر) على تلك البلاد بسهولة كلية .

ان اورية بأجمعها تجتاز اليوم دوراً خطيراً من أدوار فقدان النظام لا يتيسر لها أن تجتازه بدون أن تعم فيها الفوضى والتدني اللذين يولدهما هذا الخروج عن التقيد . ان المبادئ القديمة التي كانت العناية التامة تحوطها من كل جانب قد أضاعت قوتها ؛ على أن المبادئ التي تستطيع أن تقوم مقامها لم تتكون بعد .

ان عدد الفوضويين وان لم يكن بعد قد بلغ حداً كبيراً لكن عدد الذين خرجوا عن التقيد بنظام أصبح لا يدخل في حد ولا يحصيه عد . ففي العائلة كما في المدرسة وفي العمل كما في المصنع يزداد اضمحلال نفوذ الأب أو الأستاذ أو الوهين (١) يوماً عن يوم . فأمر الخروج عن النظام قد تعاضم عن ذي قبل كما أن عجز الرؤساء عن حمل مرؤوسيهن على الاطاعة قد تقرر لدى الجميع وأصبح أمراً ملموساً وحقبة محسوسة .

يرافق فقدان النظام اليوم بعض علامات الانحلال الأدبي وهالك أهمها : النفور من كل أنواع الضغط ، تناقص نفوذ القوانين والحكومات تناقصاً مستمراً ، الحقد العام على التفوق بأنواعه سواء من جهة التروة أو من جهة الذكاء ، فقدان التعاضد أو التكتاف بين مختلف الطبقات الاجتماعية وتطاحن الصنوف ، الاستخفاف المفرط

(١) هو الذي يتولى رئاسة عمل أو ادارة .

بالأمثال العليا القديمة كالحرية والأخاء ، تقدم القائد والمذاهب المتشاركة القائمة على عمارية أي نظام اجتماعي كالتقويض دعائمه ، قيام السلطة الاوتقراطية لجماعة من الأفراد مقام جميع الأشكال القديمة للحكومة .

فأمثال هذه العلامات سيما منها النفور من أنواع الضغط وقندان النظام الناشئ عن ازدياد القوانين والاستهانة بها . أمثال هذه العلامات لما تبيحة متحتمة لا بد منها وهي تعاضم الروح الثوروية والشدة والمقت الملازمين لتلك الروح . ملازمة لا انفصام لها .

يظهر جلياً مما تقدم أن الروح الثوروية هي مسألة تنبئية أكثر بكثير مما هي عقيدة .

ان من أوصاف الموروي عجز عقله عن الوفاق مع نظام الأمور المقرره فتشطر كبير من تعطسه لاخريب وتقويض الدعائم منآت عن هذا العجز .

وما كان الموروي عدواً لكل أنواع النظام فهو يتمرد حتى على قادة حزبه عند ما ينقلب الحزب وياتصرم . إن أي ثورة في التاريخ لم تخل من مثل هذه الحوادث . فان الموقنتياريدين كانوا في نزاع ونصال دائمين مع الجيرونديين أثناء الثورة

قد يخطر على البال أن الروح الثوروية تتطلب وجود حرية فكرية كبيرة ، ولكن الحقيقة هي أن الامر يناقض ذلك تماماً ، بل إن الحرية الفكرية الحقيقية تستلزم وجود ذكاء ومحاكمة مما لا أثر لهما في أدمغة الثورويين . إن الثورويين وإن كانوا في الظاهر يبتعدون عن فكرة الاطاعة والالقياد ، لكنهم يشعرون بأنهم في حاجة عظمى لدليل يقودهم مما يجعلهم يخدعون بسهولة لارادة زعمائهم وهكذا فإن الاكثر غلواً من متطرفينا كانوا يرضخون باحترام فيرضون بالاوامر الملكية الصيغة التي كانت تصدر عن كبير كهنة البلشفيك الذي كان حاكماً في (موسكو)

فالحقيقة التي لا مرأ فيها هي أن أغلبية الأفكار ترغب في الرضوخ أكثر بكثير مما ترغب في الاستقلال اما الروح الثوروية فهي لا تزيل هذه الرغبة أو بعبارة أصح هذه الحاجة أصلاً . ان الثوروى هو امرؤ يرضخ بسهولة ولكنه يتطلب تغيير رئيسه تغييراً متواتراً .

عند ما تكون البلاد في دور التوازن التام يحول النظام العام فيها دون تفشى الروح الثوروية عن طريق السراية العقلية فان جرثوم الثوروية لا يفعل فعله التخريبي إلا في أدوار التقلل والتبلبل عند ما تضعف المقاومة المعنوية

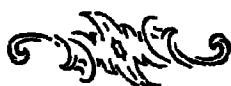
على أن كل ملاحظة عن أخطار الثورات وعدم نفعها هي في الأصل عديمة الفائدة لأن فكرة الثورية كما قلت وأكرر القول هنا أيضاً حالة عقلية أو ذهنية وليست مذهباً من المذاهب أو عقيدة من العقائد . أما العقيدة فليست سوى تعليل يصلح لدعم الحالة الذهنية . وبالتالي فإن هذه الأخيرة أي الحالة الذهنية تبقى دأمة حتى ولو قازت العقيدة

في نفس الوقت الذي تنتشر فيه الروح الثورية عند كثير من الشعوب يمتري نفوذ الحكومة فيها الضعف . إن رجال الحكومات بسعيهم وراء فكرة غير معينة وحلمهم الناس على اتباعها والرضاء بها يضيعون من نفوذهم كلما جدوا في خطتهم

فرؤساء النقابات أو الأحزاب الثورية أو الاشتراكية المتحدة مثلاً ليسوا مطاعين إطاعة تفوق تلك ، فقد رأينا أن حركة الاعتصابات كانت تسير على خلاف مشيئته قادتها ومدبريها : كما حدث في اعتصاب عمال السكك الحديدية . إلا أن أولئك الزعماء كانوا عندما يعجزون عن إملاء إرادتهم على المعتصبين وتسيير الاعتصابات طبقاً لرغباتهم يخضعون لمشيئة مرؤوسيهم فيتبعونهم لكيلا يظهروا بمظهر المنبوذين من قبل جماعاتهم

إذا كانت الدعاية الثوروية تجذب اليوم نجاحاً وتلقى اتباعاً عديدين في مختلف البلاد فلا يرجع الفضل في ذلك للنظريات التي أتت بها بل انه مسبب عن اضمحلال الوازع من نفوس الخلق عموماً إن الفئة المنورة فقط هي التي يتاح لها النجاح في مكافحة الخروج عن النظام الذي يهدد سلامة المدينة ويخشى منه تفويض دعائمها . على أن أفراد تلك الفئة إنما يتاح لهم ذلك عند ما ترقى طباعهم الى مستوى ذكائهم .

وهناك أمر تنساه جامعات بلادنا دوماً خلافاً للجامعات الانكلاوسكسونية التي لا تنساه لحظة ، وهو أن النظام والسجايا اللذين يقودان المرء الى الفوز والانتصار في الحياة لا يستندان على الذكاء بل يرتكزان على السجايا فقط



الفصل الثاني

العناصر الاعتقادية

في النزعات الثورية

عند ما يبحث عن مصادر النظريات الثورية التي تزعم أن أركان العالم يتحقق أنه يوجد وراء تلك الأشكال المختلفة من النظريات كالشيوعية والاشتراكية والنقابية (*Syndicalisme*) ونظرية استئثار العمال بالحكم (*Dictatur du Proletariat*) وما إليها - وهم اعتقادي أو سرى مشترك بين جميع تلك الأشكال وبعض مزاعم وظنون متحد بعضها مع البعض الآخر .

إن النتيجة التي يولدها ذلك الوهم الاعتقادي الذي سندرس كيفية نشأته وتكونه بعد قليل - هي أن العامل لما كان يمتد بأنه أجبر من أهل الطبقة الوسطى بإدارة شؤون الحكومة والمشروعات الصناعية فهو يرى من واجبه والحالة هذه أن يحتل مكان رجال تلك الطبقة كما هو جار في روسيا

أما العواطف التي تتركز عليها النظريات الجديدة فهي في فئة الزعماء طمع شديد وتوق عظيم للقبض على زمام سلطة يجرون من روائها مغنا . أما في الفئة الساذجة المندفعه وراء هم التي تدب بنظر ياتهم فهي مقت التفوق المتولد من الحسد بأنواعه

إن هذا الشعور بالمتفوق بأنواعه قد تجلى في روسيا بأجلى مظاهره وقد ظهر ظهور الشمس في رابعة النهار في أوائل أيام الثورة التي حدثت فيها إذ أن جماعة المفكرين الذين أظهر تقلص ظل حياتهم اليوم - أهميتهم الاجتماعية ، قد لاقوا من الظلم مثل ما لاقى أصحاب رؤوس الأموال فاضطهروا وذبحوا . إن الوقائع التي تماثل ما صنعه البلاشفة عقيب الاستيلاء على مدينة «باكو» كاسنادهم منصب رئاسة جامعتها الى بواب قديم وتقليدهم جماعة الخدم الذين يخدمون في تلك الجامعة أمر معاونة الرئيس الجديد في مهام وظيفته عديدة لدرجة تكاد لا تدخل تحت حصر

ويمكن أن يقال بوجه عام أن المطالب التي يتوق اليها القوم في أوروبة تمثل توقاناً لمناضلة التفاوت في الذكاء والثروة الذي أصرت لطبيعة على أن يكون موجوداً

فلاً أفكار التي تنطوى تحت دستور (استئثار المال بالحكم)
(٨ - اختلال التوازن)

أصبحت الإنجيل الذي تدين به كتلات المال لأنه لا ثم عنجهينهم
وتطابق مع زهوم وصلفهم . ولقد خيل لتلك الكتلات أن القوة التي
حصلوا عليها بفضل النقابات والاعتصابات هي قوة تضارع قوة الملوك
يجب على الجميع أن ينحنوا أمامها ويطأطئوا لها رؤوسهم . وعندهم
ان العمل وحده هو الذي سيقبض على صولجان الملك في الجمعية
البشرية في المستقبل

لقد نمتق أن الاخفاق الذي لاقته تجارب استتثار الشعب بالحكمة
سما تجارب الشيوعية في مختلف البلاد لم يكن ليزيل الغشاوة عن
أعين المتشيعين لتلك النظريات فلم يتقسموا قيد شبر نحو الصواب
بالرغم من ذلك الاخفاق ولم يتزعزع إيمانهم بصحتها :
فالعجب الذي يثيره تحقيق هذه القضية يتبت أن كنه سرعة
التصديق التي فطر عليها الناس لم يزل بعد مجهولاً وأعليه فلا تكون
كبة موجزة عن كيفية تكون هذه السداجة عديمة النفع في هذا المقام
ولما كان البحث لا يتناول في الظاهر سوى الكلام عن تجريد
أحد الصنوف عما يملكه في سبيل منفعة صنف آخر فانه يظهر لأول
وهلة أن المطامع المادية المحضة هي الركن الوحيد الذي قامت عليه
المذاهب الجديدة

إن هذه العقائد والانجيل الشيعوي الذي يضم أحكامها بين
دفتيه تستند في الواقع على منافع مادية ولكنها مدينة بقوتها الاساسية
للعناصر الاعتقادية التي لم تزل هي المسيطرة على عقليات الشعوب
منذ عرف التاريخ

بالرغم من الشوط البعيد الذي قطمته الفلسفة في مضمار الرقي
والقدم ، فان الاستقلال الفكري لا يزال وهما من الأوهام وخيالات
من الخيالات . لأن الانسان غير مسوق في هذه الحياة بعامل
الاحتياجات والعواطف أو الأهواء فحسب بل لا بد له من عقيدة
لكي تسيير سفينة آماله وأحلامه في الوجهة المطلوبة . فان الانسان لم
يكن يوماً بنتى عن عقيدة يؤمن بها ويوقن بصحتها

إن التصوف (Mysticism) القديم لا يزال محفظاً بتمام قوته .
وغاية ما هنالك ان مظاهره فقط قد تغيرت وتبدلت : فان العقيدة
الاشراكية تحمل اليوم شيئاً فشيئاً . كان الأوهام الدينية
واقدم سبق لي أن أبننت باسهاب في غير هذا المكان أن التصوف
أي نسبة المقدره الخارقة للمادة للقوى العليا كالألهة والقوانين أو
المذاهب هومن المطاهر التي فاقت غيرها تبارزاً في التاريخ
ولا أرى هنا فائدة من العودة الى ذكر الادلة التي استعنت بها

على تأويل جملة حوادث عظيمة كالثورة الفرنسية الكبرى وتعليل
العوامل التي سببت نشوب الحرب الكونية الاخيرة بل أقنصر على
الاشارة الى أن سلطة القوى السرية أو الاعتقادية على العقل هي
التي يمكنها فقط أن تعلق السداجة أو سرعة التصديق على الأصح—
التي جعلت الناس في جميع الأزمنة يؤمنون حتى بأبعد المذاهب
عن جادة الحقيقة والصحة

بل انك لتجد تلك المذاهب يؤمن بها ويوقن بصحتها جملة
و بدون تمحيص او مناقضة ، ففي دائرة التصوف حيث تنضج عناصر
الايان لا وجود للمستحيل

حالما تستولى العقيدة التي يأتي بها منهب جديد على العقل —
وذلك تحت تأثير عناصر الاقناع التي سأجمل الكلام عنها فيما بعد
فانها تملك على الشخص الذي استوثق منها لبه ومشاعره وذهنه
وافكاره ويصبح قياده في يدها فتقوده حيثما تشاء كما أن غايته
ومصلحه الشخصية تضمحل وتزول ، وينغو مستعداً لان يضحي
بنفسه في سبيل تغلب عقيدته وفوزها .

ولما كان الشخص المؤمن بتلك العقيدة متيقناً بأن الصواب التام
والحقيقة الخالصة متمثلان فيما يعتقد فهو لذلك يشعر بحاجة لبث
تلك الحقيقة بين الملاء ويضمر لمعارضيه كرها ومقتاً لا مزيد عليهما .

ان تأويل العقيدة وتحليلها لما كان يختلف بطبيعة الأمر حسب
العقلية المؤمنة بها فان حوادث الانشقاق والبدع أي الاحاد في الدين
سرعان ماتكثروا وتعمدوا . على أن هذه الحوادث لا تززع يقين
المؤمن بل هي في رأيه ليست الا دليلا على أمر واحد وهو فساد
عقيدة جماعة المعارضين .

فالذين يتولون الدفاع عن بدعتين متفرعتين عن عقيدة أساسية
واحدة سرعان ما يشعر كل فريق منهما بنار البغضاء والمقت تتأجج
في صدره نحو الفريق الآخر . وذلك المقت يعادل بشدة موقوته المقت
الذي نحس به كلتا الفئتين تجاه الدين ينكرون عليهما عقيدتهما
نفسها . فهذا البغض المستحكم بين المؤمنين بفرعي مذهب واحد
يكون عادة في غاية التأجج والتسمر وربما وصل بأصحابه بعد قليل
من الزمن لدرجة تجاههم يشعرون معها بمحاجتهم الى ذبح معارضيتهم .
ولقد عقدت النقابات أخيراً مؤتمراً في مدينة « ليل » يستطيع
المرء عند ما يقرأ وصف افتتاحه الذي وصفه به أحد محرري جريدة
(الماتان) أن يحكم على المشاعر التي بحس بها الذين يتولون الدفاع
عن مذهبتين تكاد لا تترك الفوارق التي بينهما . قال المحرر :

« لا يزال ماتالا أمام عيني ذلك المشهد المتعاصي عن الوصف
مشهد تلك الجلاسة التي تمل فيها الجنون والجهل بأجلى مظاهرها

كانها البحر الهاج تلاطمت فيه الأمواج وثارَت في جوه العواصف .
ولا أزال أشاهد وجوهاً بدل الغضب والغيظ معالمها وأفواهاً تقذف
من السباب ضرورياً ومن الشتائم أنواعاً ، ونبأيت تلوح في الفضاء
بل ان ضجيج المتنازعين وصراخ الجرحى وألفاظ الشتائم التي كان
يتبادلها القوم وذوو العيارات النارية ؛ كل هذه الأصوات لاتزال
أصداؤها تتجاوب في أذني ولا يزال رنينها في مسمعي ، ولا أكون
كاذباً اذا قلت أنني لم أشهد بحر الشحنةاء، والضغينة يفيض مثل هذا
الفيضان الهائل في يوم من أيام عمري . »

ومع ذلك فان الذين تبلغ الضغائن والأحقاد من نفوسهم هذا
المبلغ ليسوا الا جماعة المتطرفين في كل مذهب . أما التطرف فلا
يختار ذويه الا من الأشخاص المنحطين وضعاف العقول وعديبي
الارادة المدفعين وراء ميولهم اندفاعاً لا يستطيعون له مقاومة أو
معاكسة . ان بأس هؤلاء المتطرفين عظيم ولكن التردد والتحير
بالفان من شخصياتهم حداً هم بحاجة قصوى معهزيم يقودهم ويتولى
زمام أمورهم

أما صنف المنحطين فهو أكثر صنوف المتطرفين خطراً ، فقد
نوحظ أيام تسلّم شيوعيو هنغاريا مقاليد السلطة أن رجال الديكتاتور
(بيللا كون) كانوا شرذمة من اليهود تضم المصايين بأشنع العاهات

الخلقية (بفتح الخاء) التي ينبو عنها النظر . وقد كان المذهب الجديد الذي يسمح لهم بانزال أفضع أنواع التنكيل وأقساها بالمواطنين مهما بلغوا من الفضل والنيافة خير عون لهم وأحسن مستند يتمكنون بواسطته من الانتقام للخرى والمذلة اللذين يحكم بهما (خروج الاعضاء عن المألوف في نموها) على ضحاياه

موما كانت عتيبة من العقائد التصوفية باطلة ومخالفة للعقل والصواب بقدر ما يتسع لذلك باب الافتراض ، فاتها اذا رسخت دعائمها وتوطدت تينب اليها في برهة وجيزة أهل الجشع والطمع والاشخاص النصفني الدكاء والعاطلين في الوقت ذاته عن العمل . فبواسطة المذاهب التي يدخل احتمال أحكامها في حيز الامكان أكثر من غيرها قد أسسوا بسهولة نظماً اجتماعية محكمة الاتقان من الوجهة النظرية .

ففي الزمن الذي كانت المدنية فيه أبسط مما هي عليه اليوم لم تكن للأوهام التصوفية أو الاعتقادية نتائج أبلغ ضرراً واسوأ وقعا فقد كانت النظم التي عرفها قدماء المصريين عندما كانوا يعبدون التمساح أو الاصنام ذات الرؤوس المنحوتة على مشيل رأس الكلب تتطابق بسهولة مع تمدن موضعي غاية في البساطة عندما كانت مشاكل الحياة طفيفة للغاية والعلاقات أو المناسبات الخارجية تكاد تكون معدومة

لكن الحالة اليوم قد تبدلت تبديلاً كلياً فأصبحت غيرها بالاسم
اذ بالرغم عن التقدم الذي حدث في الصناعة وفي علاقات الشعوب
بعضها مع بعض ، فإن التمدن أصبح كثير الاشتباك والتمتعدها لهما
ففي هذا البناء الذي يتطلب حفظه وصيانتَه كفاءة علمية عظيمة لا
تستطيع الأهواء الخيالية أو الوهمية التي يحلم بها جماعة الخياليين
أن تولد سوى الخراب والدمار واشتباك (الملاحم)

ان الحاجة لايمان تصوفي هي الأرض التي تثبت عليها المعتقدات
ولكن كيف تثبت الاعتقادات دعائها وكيف تدبغ وتنتشر ؟
ان الباطل هو أيضا كالحقيقة لا يسنقر أبداً في نفوس الخلق
بواسطة الأدلة العقلية بل ان كليهما يقبلان بمجموعهما بشكل مزاعم
لا تقبل مناقشة ولا جد لا

ولما كنت قد تكلمت باسهاب عن كيفية تكون المعتقدات في
غير هذا المكان ، فساكتفي هنا بالاملاء الى ان المعتقدات تتكون
بتأثير العناصر النفسية الاساسية الآتية ، وهي التأكيد ، التكرار ،
الاعتبار أي النفوذ ، العدوى

فهذه العناصر التي عددناها لا وجود لمنصر العقل بينهما وذلك
لأن تأثير العقل على تكون العقيدة خفيف وضعيف

ان التأكيـد والتكرارهما من أقوى عوامل الاقناع فان التأكيد يخلق الفكرة ثم يأتي التكرار فيثبت هذه الفكرة في الذهن ويجعل منها عقيدة أي فكرة راسخة في الذهن رسوخاً لاخوف عليه من التزعزع بتأثير العواصف .

سلطة التكرار على الأرواح البسيطة وغالباً على غير البسيطة أيضاً عجيبة تبعث على الدهشة . فتأثيره يصبح الباطل مهما كان واضحاً جلياً من الحقائق الناصعة

وما يدعو للاغتباط — بالنسبة لمصلحة حياة الجماعات البشرية أن الوسائط النفسية التي من شأنها أن تجعل الباطل يدخل في شكل عقيدة من شأنها أيضاً أن تحمل على قبول الحقيقة بشكل عقيدة . ان الذين تولوا الدفاع عن النظم الاجتماعية القديمة التي لا تزال تدعنا وتحميننا حتى اليوم يفسون هذا الامر غالباً .

فلكى نحول الحقائق الاقتصادية والاجتماعية التي تستند عليها حياة الشعوب الى شكل معتقدات — بالنظر لانه ليس من الممكن حمل الناس على قبولها بغير هذه الصورة — يجب على رسل هذه الحقائق أن يخضعوا لحكم ما يقع عليه الاختيار من أساليب الاقناع المتفردة بمجدارتها للتأثير على أرواح الخلق بحيث أن يقابل مناصرو الحقيقة تأكيدات مروجي الباطل الشديدة والمكررة بتأكيدات مثلها في

ة والتكرار، ويجب خصوصاً مقابلة دساتير الباطل بدساتير الحقيقة
إذ وهكذا فإن فاشستي إيطاليا اتبعوا طرائق تشابه الطرائق التي
تتكلم عنها حتى تمكنوا من صد أمواج الشيوعية التي كادت تطنى
على الحياة الصناعية في بلادهم وتجعلها أثراً بعد عين والتي عجزت
الحكومة عن مقاومتها .

ان حال الكثير من الجمعيات البشرية الحديثة يذكرنا بذلك
الدور دور الانحطاط والتدنى الذي دخلت فيه روما عند ما أنكرت
آلهتها وأهملت النظم التي قامت عليها عظمتها . فتركت مدينتها
للبرابرة [الذين لم يكونوا على شيء من الثقافة وليس لهم من القوة
إلا وفرة عددهم والشدة التي كانت تتحلى في رغباتهم وشهواتهم |
فحوضوا دعماً وهدوا أركانها .

فالحضارات الكبيرة يبدأ اضمحلالها منذ الزمن الذي تحمل فيه
الدفاع عن نفسها . إن المدينت المدينة التي تلاشت من عالم الوجود
منذ بدئه حتى اليوم ذهبت بوجه خاص ضحية عدم مبالاة حمايتها
وضعفهم

إن التاريخ لا يعيد نفسه دوهاً ولكن القوانين التي تسيطر عليه
أبدية خالدة .

الْفِضْلُ الثَّلَاثُ

الاشتراكية في الاموال

جعل الأموال مشتركة بين الخلق

بين المذاهب الباطلة التي تحاول الانحراف بالنظام الاقتصادي الى جادة الضلال والتي يتخبط العالم فيها اليوم على غير هدى توجد أوهام الاشتراكية . فهذه الأباطيل بالرغم من أن مروجيها يمتلونها بأشكال مختلفة ، الا أن جميع تلك الأشكال هدهنها واحد ويجمعها كذلك دستور واحد ، وذلك المنصور هو (جعل الأموال مشتركة بين الخلق)

لقد حدث أثناء سير العالم في طريق التكامل أن كان يطرأ على نفوذ الآلهة أحياناً بعض الضعف ولكن ساطة الدساتير التي لها فعل السحر لم تضحل يوماً من الأيام . فإن الانسار مسوق في هذه الدنيا دوماً بعامل تلك الدساتير ليس إلا .

فهذه الدساتير سواء كانت دينية أو سياسية أو اجتماعية فآنها

تؤثر في النفوس على نمط واحد كما أن منشأها كذلك واحد . على أنه لا يرجع السبب في ما لتلك الدساتير من النفوذ الى ذرات الحقيقة التي تتضمنها ؛ بل يعود ذلك الى القدرة التصوفية أو الاعتقادية التي يعزوها الخلق الى تلك الدساتير .

فالجمعيات البشرية تجد نفسها اليوم أمام انقلابات عظيمة وتحولات عميقة تهدد أنظمتها وقوانينها بسبب ذلك الدستور الجديد دستور جعل الأموال مشتركة بين الناس . ان ذلك الدستور حسب قول مناصريه سيوجد للمساواة الكاملة بين الأشخاص وسيهيء أسباب سعادة وميمنة عامتين تشملان الناس أجمعين .

فهذا الوعد السحري انقلاب قد انتشر بسرعة البرق بين فئات المال في أنحاء المعمور كافة ، ويلوح للناظر أن ذلك الدستور بعد ما قضى على الحياة الاقتصادية في روسيا سينشئ معاول التخريب والتقويض في أوربة بكاملها . أما أميركة فهي وحدها قد صدته بناية الشدة لأنها شعرت بتأثيره السيء المشؤوم على سعادة الشعوب ورفاهها

ان عمال السكك الحديدية الفرنسيين عند ما اغتتموا فرصة حاول أول أيار من أحد السنين فحاولوا القيام باعصاب عام - لم يكن

لهم من غرض سوى تحقيق فكرة جعل كل شيء ملكاً للأمة
تلك الفكرة التي يحملون بها منذ أمد

إذن فهذا الاعتصاب كان خلافاً لجميع الاعتصابات التي تقسمته
اذ لم يكن الغرض منه الزيادة في الأجور أبداً . ولقد أثبتت ذلك
جمعية تضامن العمال العامة عند ما أعلنت بأن الغرض من هذه الحركة
ليس زيادة الأجور وإنما يسعى المعتصبون لتطبيق نظرية جعل السكك
الحديدية بوجه خاص ملكاً للأمة

ولكن مما لا شك فيه أنه لا يوجد أكثر من شخص واحد بين
كل ألف شخص من المعتصبين يستطيع أن يدرك كنه نظرية جعل
السكك الحديدية ملكاً للأمة وأن يتكلم عما تتكون منه تلك
النظرية وأن يبين كيف سيكون تطبيقها في المستقبل : بل لو استوضحت
بضعة أفراد من المعتصبين من الذين تفردوا من حيث كفاءتهم
واستعدادهم لأدراك شيء مما يريدونه بعض الأدراك فمن المحتمل
أيضاً أن تختلف أجوبتهم عن معنى جعل السكك الحديدية ملكاً
للأمة اختلافاً يبنياً عن بعضها . فان غاية ما يراد من ذلك العمل في
نظر الأغلبية الجسيمة من المعتصبين هو أن يستثمروا السكك
الحديدية ويستغلوها لحسابهم الخاص .

أما من جهة أمر اتباع المعتصبين لزعمائهم فهو عائد لمجرد كون هؤلاء زعماء إذ أن المعتصبين لا يسعون وراء الاستفهام والاستيضاح عن غاية الأوامر التي يتلقونها وما ترمى إليه .

على أنه في الأصل لا يجب أن ننسى أن أعظم المنازعات الدينية في التاريخ وأشدها قد حدثت أيضاً بين أشخاص لم يكونوا يفقهون من أمر المسائل اللاهوتية التي اختلف عليها زعمائهم شيئاً بل لم تكن عقولهم تقوى على إدراكها . فالتوانين الموضوعية بشأن نفسيات الأمم تفسر لنا سر هذا الحادث وتوضحه بسهولة كلية ان القاعدة الوحيدة التي تستند عليها الشروح والتفسيرات الغامضة التي يدلي بها أنصار مذهب جعل كل شيء ملكاً للأمة وحماته الرسميين هي عبارة عن سلسلة إدعاءات لا تدعمها حجة ولا يسندها برهان . ولقد لحض تلك الادعاءات أعظم أولئك الحماة كفاءة ومقدرة بالأسطر التالية .

« ان هناك تضاداً بين منفعة رؤوس الأموال وبين المصلحة الجماعية . يجب أن تكون الصناعات على اختلاف أنواعها سبباً السكك الحديدية ملكاً جماعياً يستنمر لحساب الجماعة . ولكن لا من قبل الحكومة بل من قبل (إدارة) مستقلة عن (إدارة) الحكومة يضع أساسها مؤتمر مؤلف من ممثلي الجماعة ، كما أن مؤتمراً

مركزياً يجب أن يدير الأمور المتعلقة بالمياومات وانتخاب الموظفين وترقية رتبهم . «

فيتضح جلياً ان الادعاء القائل بجعل كل شيء مشتركاً بين الخلق ليس شيئاً آخر سوى أن يقوم مقام الشركات الحالية شركات أخرى مؤلفة من موظفي السكك الحديدية .

ولكن لكي يحصل الموظفون على شيء من النفع من وراء هذا التبديل في الموظفين يتوجب عليهم أن يكونوا على جانب من الكفاءة والمقدرة عظيم يفوق كفاءة ومقدرة المهندسين والاختصاصيين الذين يدبرون في الوقت الحاضر أمور السكك الحديدية الكثيرة التعقد والاشتباك .

ان ذوي السلطة الواسعة الذين يدبرون شؤون السكك الحديدية اليوم لا يسعون لجعل بضعة من رؤوس الاموال اكثر جسامه مما هي عليه أي لا يشتغلون لنفع بعض رؤوس الاموال كما يوكد الاشتراكيون بل ليعود عملهم بقليل من الربح على المساهمين ذوي الاموال الضئيلة والمعادلين من حيث العدد لدرات الغبار الذين يملكون شبكة الخطوط الحديدية على سبيل القسمة فيحرمان المساهمين بأجمعهم من الأرباح بجعل شبكة الخطوط الحديدية مشتركة بين الناس متزيد المياومات

التي يتقاضاها الموظفون اليوم ولكن زيادة ضئيلة للغاية .
في الحقيقة ان الذين يدبرون مثل تلك الحركات والمحركين
الأول لها لا يندعون انفسهم بالتناجح التي يمكن أن تتولد عن الحركات
التي يقومون بها بل أن غاية ما يؤمله هؤلاء من وراء جعل الشركات
مشتركة بين الخلق أن يعود عليهم ذلك بالنفع . فهم اذا قاموا
باعتصابات مهلكة فاما يفعلون ذلك لكي يصبحوا بدورهم زعماء
ورؤساء ليس الا .

هل يوجد تضاد حقيقي بين مصلحة رؤوس الاموال وبين
مصلحة المجموع ؟ وهل يمكن حقيقة القول بأن العمل لا يجري لمصلحة
الجميع بل لمصلحة البعض فقط ، في الجمعيات الحالية ؟
ان الحقيقة التي لامراء فيها هي أن الامر على خلاف ذلك تماما
فان الاغلبية الجسيمة من العمال هي التي تستفيد من جهد فئة
الخواص . ان هذا هو الواقع منذ بدأت النهضة الصناعية في حين
أن بسطاء العمال لم يكونوا أصلا الموجدين لهذا التقدم والرقى الذي
يستثمرونه ويستفيدون منه .

وعدا ذلك فان العمل اليدوى والمهارة الصناعية ليسا في الاصل
من العناصر الاساسية في الطريق الموصلة الى الاثراء والانتاج أبداً

بل أن فكرة استنباط المشروعات ، وملكه الابتداع أو الاختراع والاستعداد ، وتوفر الجرأة بقدر ما تتطلب المحاطرة ، والمجازفة ، وقوة التمييز والمحاكمة ، كلها عناصر تفوق ذينك العنصرين أهمية وخطورة في تعبيد الطريق الموصل للغاية المتوخاة .

ان رأس مال الشعب انما يتألف من توفر أمثال تلك الملكات بين أفرادها . فاذا كانت روسيا بالرغم من عظيم غناء أراضيها زراعياً ومعدنياً وجسامة عدد أهلها لا تستفيد وما الا تلك الاستفادة الضئيلة قائما يرجع السبب في ذلك للتحط في الرجال الاكفاء المستولين عليها في أيام حياتها .

والا فان الاعتقاد بأن رأس مال البلاد يتألف بوجه خاص من المناجم والاراضي والمآوي والأيدى العاملة والنقود والاموال هو وهم خطر مخيف . فان هذا الرأس مال عديم القيمة من نفسه ويبقى كذلك عديم النفع مادام لوحده . والبلاد المحرومة من أهل الكفاءة محكوم عليها بالافلاس والخراب العاجل .

ان رؤوس الأموال عندنا تستثمر اليوم على أسوأ ما يكون ، بسبب نوايا العمال السيئة والاعتصابات التي تتزايد يوماً بعد يوم . فان كل اعتصاب جديد أصبح يزيد في فقر البلاد ويزيد في غلاء المعيشة ويجعل المستقبل أكثر غموضاً وظلاماً عن ذي قبل .
(٩ - اختلال التوازن)

على أن الاشتراكيين وحدهم الذين يسرون من هذه الحالة. ولكنهم سيكونون أول ضحاياها شأن المتطرفين في جميع الأطوار والأجيال.

أمام الايضاحات التي ذكرت حتى الآن والتي أصبحت من القواعد المقررة بشأن منابع الثروة، ليس لدى الاشتراكيين والنقائيين الذين وجدت بين أفراد كل فئة منهم عاطفة الانتقام التي يشعرون بها على السواء ما يقابلونها به سوى جملة تأكيدات وحجج واهية. ولقد نشرت (جمعية التضامن الاشتراكي في السبن) أيام الانتخابات الأخيرة البيان الآتي .

« في كل البلاد يوجد قوتان تتصادمان وتتعاركان وقد دبّت فيهما روح الحركة على أثر بروز تلك الجمهورية الفتية لعالم الوجود جمهورية الاشتراكيين السوفيتية :

فئة العمال من جهة :

وأبناء الطبقة الأخرى من الجهة الأخرى .

في كل مكان يهب العمل في وجه التطفل

فيجب أن يغاب التطفل ويندحر»

من العبث ان يلح المرء في الكلام حول بيان وجه التأخر في أمثال هذه المدارك والعقول : تأخرها في مضمار النضوج والتقدم

وبقاءها في دور الطفولة من حيث الادراك بل كثيراً ما كان العالم
ينقلب رأساً على عقب من جراء مزاعم من هذا القبيل
ان الالمانيين الذين اضطروا لتجربة منهج جعل كل شيء
مشركاً بين الناس تحت تأثير ضغط متطرفيهم عادوا فعدلوا عن تلك
التجربة بسرعة

وقد أنشأت جريدة دويتشه تاجس زايتونغ مرة مقالا جاء فيه
« اننا مهددون بفوضى اقتصادية تماثل الفوضى السياسية الضاربة
أطنابها في ربوعنا ، و بقدر الفرق الكائن بين النوعين من الفوضى
سكون النتائج أعم بلاءً وأسوأ وقماً . ان صنف العمال سيشهد بنفسه
نتائج الاخطاء التي ارتكبها ولكن بعد مرور مدة طويلة أي عندما
يكون الوقت قد فات . على أن هذا الصنف ليس على وشك القضاء
على مستقبل المانيا وعلى المنابع التي تعيش من ورائها فحسب بل سيقضى
أيضاً على استعداداتها التي لا تزال تعد حتى الساعة أمن من جميع
علل غنائها وراثتها . » اه



إن توتر العلاقات بين مختلف صنوف الهيئة الاجتماعية التي
أصبحت مصلحتها التامة منحصرة في الائتلاف - غدا من الخطورة
يمكن . على أن السبب في انتشار روح الخلاف بين تلك الصنوف

يرجع لعاطفة الحسد والانتقام التي تشعر بها نحو بعضها أكثر مما يرجع
لالتضاد والتعاضد الكائنين بين مصالحها .

فبالخلاف الحاصل بين أفكار تلك الصنوف نشأ بوجه خاص
عن الجهد الذي بذله الساسة الاثرا كيون الدين ما انفكوا يشيرون
عواطف طبقة العمال وكوامن صدورهم ويشجعونهم على التثبث بمطالبهم
مهما كانت مستهجنة ومخافة للصواب وما ذلك إلا لكي تصبح
مقاليد السلطة في أيديهم كما أن جميع هؤلاء الساسة بدون استثناء
أحد منهم كانوا يساندون ويدعمون جميع الاعتصابات لأن كل
اعتصاب كان بمثابة مرحلة يتقدمون بها نحو اليوم الذي تستأثر فيه
طبقة العمال بالحكم . ان الجمعيات ذات رأس المال تبدو لهم كأنها
نوع من « المسوخ » [جمع « مسخ »] قدر له أن يهلك في القريب
العاجل في سبيل منفعة طبقة العمال

ان الدمار الذي حره هؤلاء الساسة هو في نظرم ضئيل الخطورة
ولا شك . بل هم يدعون أنهم ساعون في سبيل إيصال العمال الى
تقلد زمام الحكم والاستئثار به ، وهم لا يسعون في الحقيقة إلا وراء
الاستئثار بالحكم المطلق لأنفسهم
ولو كانت التجربة قادرة على أن تعود بالعظة على الشعوب وأن
تثقف عقول أفرادها وتثير أذهانهم إذن لاعتبرت تجارب مذهب
جعل كل شيء مشتركاً بين الناس وقد أجريت في روسيا وافية كافية

فلقد جعلت السكك الحديدية والمناجم في روسيا مشتركة بين الناس ولسكن بالرغم من إجبار العمال على العمل مدة (١٢) ساعة يومياً فإن ادارتها قد اختلفت في برهة بضعة أشهر لدرجة أرغمت المسنأثرين بالحكم على استدعاء الأ كفاء الذين أقفرت روسيا منهم من البلاد الأخرى وأن يدفعوا ثمن تلك الكفآآت ذهباً وهاجاً

ان من ادعى ميزات الايمان للعجب هو كونه لا يدع المؤمن يشعر بما حوله مما يفاير عقيدته ، ولم يعهد ارتداد عن دين الاشتراكية من الاثراكيين غير الميسو أريخ إذ أنه عندما عد من روسيا ورأى اتجاه العصبة الاشرائية المتحدة شيئاً فشيئاً نحو البلشفية قام استقاله من ذلك الحزب . وقد قال هذا (المبعوث) في كتاب استقالته ما يأتي :

« انى لا أستطيع أبداً أن أفهم كيف لانجرأ العصبة الاشرائية المتحدة على امتنكار أعمال بلاشفة روسيا المتناهية في التطرف والغلو وتقيح افراطهم في ارتكاب ضروب الجنائيات واتيان أنواع المظالم وكيف أنها عوضاً عن ذلك تقابل تلك الافعال بالاعجاب وتعتبر أنها أمثلة يجب على فته العمال الفرنسيين أن تمنديها .

في الواقع أن فته النبلاء قد تلاشت من روسيا ولكن الصناعات

الوطنية الروسية قد هبطت مع تلك الفئة الى الحضيض فماد ذلك على طبقة العمال الروسيين بالضرر الجسيم وعاد على الصناعة الألمانية التي أصبحت على وشك الحلول مكان الصناعة الروسية بالنعم العميم ان البلشفية لم تعرف توليد شيء سوى المجاعة والقحط في روسيا التي كانت بالأمس أيضاً مورد غذاء تقسم كبير من أوربة . فالطرائق التي أتت بها الديكتاتورية الروسية جعلت فظائع عهد القصاص الهائل وأهوال العهد القيصري دونها بمراحل . ولقد استهدفت جميع الحريات الشخصية لأنواع الاعتداءات فلم يبق لها أثر . وفي كل يوم تساق الى طريق الأبدية المئات من العمال والمفكرين الروس من قبل نفر ماجورين من المجرين والصينيين بدون أي استجواب أو محاكمة ، ولا ذنب لهؤلاء سوى أنهم لا يفكرون كما يفكر البلاشفة . « اه

ان فوز البلشفيكي المسمى صادول ؛ (٥٠) ألف صوت أيام الانتخابات التي جرت في فرنسا مؤخراً يدلنا على مبلغ رواج البلشفية بين أفراد الصنوف العاملة

واذا وهنت عزيمة الحكومات أثناء العراك الحالي أو القادم

الذي يهدد المدنية فانه ليس عليها إذ ذاك الا أن تتخلى عن الحكم
لزعماء فئة المال .

ومما يؤسف له أنه لا يجب الاتكال في هذا الشأن علي قوة
الحكومة . فان قوة الرأي العام ستصبح أعظم فعلا من قوة الحكومة
بما لا يقاس وأنجح تأثيراً . ولقد بلغ من حنق الجمهور على جماعة
المشاغبين والمهوشين الذين كانوا يضحون بالمصلحة العامة في سبيل
أطماعهم الخاصة أثناء اعتصاب عمال السكك الحديدية العظيم ان
رفض كثير من الباعة في الولايات كباعة مواد العطارة والخبازين
بل وباعة الخمر ذاتهم - أن يبيعوا شيئاً من بضائعهم للمعتصين .
ان التنبؤ عن النتائج الأخيرة التي تجرّها هذه المعارك
والمناوشات يكاد أن لا يكون ممكناً . ونحن على يقين بأن الشعوب
سوفكون قيادها دوماً في يد نخبة أبنائها وخيارهم وصفوتهم . ولكن
ذلك الفوز الموقت فوز العناصر المنحطة يجر الى بلاء وخراب ودمار
يستحل لإصلاحه أو تلافيه كما هو جار في روسيا وهنغاريا .

ان المساء العظيم يبدو لزعماء طبقة المال قريباً جداً . وفي
الحقيقة أن ليلا حالكا سيسنولى بجيوش ظلامه على العالم بتحقيق
أحلامهم

الفصل السابع

تجارب الاشتراكية في بلاد مختلفة

ليس للتحربة فيما يتعلق بالعتيدة الدينية أى عمل أو تأثير على أرواح المؤمنين . فانه لمن المستحيل أن يسنل التبتديل أو التحوير على ضلالهم وأوهامهم فهي باقية أبداً على حالها .

أما فيما يتعلق بالعتيدة السياسية والاجتماعية فانه ليس للتحربة أيضاً تأثير يفوق ذاك على الدين رسنخ الايمان الأ كيد بهما في نفوسهم واستقر تماماً في قلوبهم . ولكنه من الممكن أن يكون للتحربة تأثير على الذين لم ترسنخ العتيدة بعد تماماً في نفوسهم ولا يزال الشك والتردد يخامر انها .

ان من الأوصاف التي تتميز الزمان الحالي عن غيره هو انحلال الرابطة التي كانت تجمع بين عناصر القواعد أو المبادئ القديمة التي قام على أساسها كيان الجمعيات البشرية . فن القلائل والاضطرابات

على اختلاف أنواعها التي ولدتها الحرب من شأنها أن تديم هذا الانحلال كما أنها ولدت في نفوس الخلق أنواعاً جديدة من الأهواء والميول وجعلت قلوبهم تتوق إلى أمور لم تتق إليها من قبل

تنقسم الأفكار المسيطرة على عقول الناس اليوم إلى نوعين من الميول والأهواء ينافضان بعضهما بعضاً على خط مستقيم . فمن جهة تسيطر فكرة القوميات وما يتعلق بها من الشعور بالحاجة إلى التفوق الدولي ، ومن الجهة الأخرى تسيطر الفكرة التي ترمى إلى تسييس الأخاء العام على الأرض بين سكان المسكونة أجمعين

ان فكرة القومية التي تعد الوطنية نوعاً من أنواعها هي عند القابضين على زمام الامور في الحكومات بأجمعهم بمثابة ضرورة تاريخية ، أي أنهم يعدونها من مقتضيات التاريخ فن التاريخ يرينا في الحقيقة أن فكرة حب الوطن كانت دوماً من قوى الشعوب التي يعتمد بها ، وان طرء الصعف على تلك الفكرة يسحل على الشعوب الانحطاط والتدني ويكتب لها الاضمحلال والغاء .

أما فكرة الدولية أي الأخاء العام بين سكان المعمور أجمعين التي تنادي بها طبقة العمال خصوصاً فهي ناشئة عن أهواء في النفس تخاف تلك الميول تماماً . إذ أنها تنادي بطرح فكرة الوطنية جانبا وترغب في مزج الشعوب بعضها ببعض بدون اكتراث بل بدون الشعور

بما هنالك من اختلاف في العليات وتضارب في المصالح اللذين من شأنهما التفريق بين الشعوب .

في الزمن الذي يصبح فيه المسيطر على العالم لبس شيئا آخر سوى الاحكام العقلية البحتة والحقائق الناصمة المجردة تمام التجرد عن كل ميل وهوى والذي يحتمل أن يكون بمد قصيا للغاية - في هذا الزمن تفقد الفكرة الأخيرة فكرة الأخاء العام بين سكان العالم كاملة خالية من كل شائبة، خالصة من كل عيب . لانه عدا عن هذا الشعور الغامض الذي يدفع صنوف العمال في مختلف البلاد نحو التآخي ، فقد رأينا أن النهضة الصناعية في العالم تقود الشعوب نحو القرب من بعضها وتوثق عرى الارتباط بينها شيئا فشيئا حيث يظهر لها من ثم ضرورة التعاون والتضامن عوضاً عن التطاحن وأفناء بعضها بعضا .

ان هذه الضرورة لا تزال في يومنا هذا عبارة عن حقيقة معطلة عديمة التأثير لأنها تتصادم مع العواطف والميول والأهواء التي هي اليوم دليل الشعوب الوحيد وقائدها الفذ في معارج الحياة .

وعلى ذلك فان الحكومات الحديثة تجد نفسها اليوم أمام اختلاف بين نظريتين على طرفي قبيض من بعضهما . إما بمنصرة الدولية

التي تمثل المستقبل وذلك يتطلب نزع السلاح من ايدي الشعوب،
أوترويج فكرة القوميات التي تتطلب زيادة التسليح ليصبح خطر
التعديت مضموناً مع ما في زيادة التسليح من النفقات الباهظة والمصاريف
الطائلة التي تنوء تحت عبئها الأمم والشعوب

إن العراك بين هاتين النظريتين المختلفين عن بعضهما تمام
الاختلاف يحتم على رجال الحكومات اتباع سياسة خاصة في كل يوم
على حدة ، لأنهم لا يستطيعون معرفة شيء من أمر غدم المجهول .
وكذلك فإن عامة الخلق الذين قعدوا الثقة بزعمائهم يدعون للفرائز
الأصلية التي تعود للظهور دوماً عند ما تتزعزع أركان النظام القديم
لاحدى الجمعيات البشرية تزعزعاً عنيفاً .

إن التقويض الذي لحق برموز الآلهة ولوم أو دناءة الذين
انتخبهم الشعب — حمل الخلق على الاعتقاد بأن العالم يجب أن
يكون ملكهم . فالقوة هي اليوم القانون الوحيد الذي يدعون له

قد لاحظت إحدى الصحف الانكليزية زمن اعتصاب عمال
المناجم الذي كاد يقضى على حياة بريطانيا العظمى — ان العقود
(كوتترات) المعقودة بين أصحاب العمل ويمثلي العمال كانت تحرق بلا
اقتطاع من قبل هؤلاء الاخيرين عند ما كانوا يجدون في خرقها منفعة
لهم و بمقتضى المبدأ الاساسى القائل بأن قوة المجموع تخلق له حقه .
على أن هذا الحق هل يخلق — بدورة — الكفاءة التي تتطلبها

النهضة الصناعية ؟ ان تجارب جعل الحكومة بيد جمهور الناس التي
أجريت مؤخراً تستطيع الاجابة على هذا السؤال
لما كانت جميع التأكيدات التي يصرح بها جماعة الاثرايين
قد دحضت وتقصت منذ زمن بعيد وهي مع ذلك لم تتأثر ولم تزعزع
قد أصبح من الضروري تحقيق تجربة الاثراية . ولقد حققت تلك
التجربة مؤخراً في بلاد مختلفة بصورة حاسمة نهائية . اما نتائجها فهي
معروفة لدرجة يمكننا أن نقنعر معها على تذكير القاريين بها تذكيراً
بدون أن نعمد الى الاسهاب أو التطويل

بالرغم من أنه لم تكن الاثراية الكاملة هي التي جربت في
مختلف الحكومات فان بعض الشعوب سيما فرنسا قد أصبحت منذ
زمن بعيد خاضعة للاغراض الاثراية في البرلمانات على أن هذه
الاعراض الاثراية كانت تصدم دوماً بمرانه وعوائق بعضها
متولد عن بنية أى خلقة امرء النفسية والبعض الآخر ناشىء عن
الضرورات الاقتصادية الحديثة . فهذا الاصدام بين المنغرات
الخيالية وبين القوانين الطبيعية المكيننة قد كلفنا باهظاً

إن النتائج الاساسية لتنفيذ الاثراية في البرلماني في مختلف البلاد
تنحصر في جعل الكثير من الصناعات تحت إدارة الحكومة الجماعية
أى جباها ملكاً للحكومة . وقد أعيدت هذه التجربة بمئاته مرة فكان
يظهر أنه ليس من ورأها إلا الدمار والخراب

وإذا كانت هذه النتائج واحدة لم تتغير في كل البلاد وفي جميع
الصناعات فليس ذلك إلا لأن إدارة الجماعات وسياستها في تدبير
الأمر من شأنها أن تقضى على أعظم القوى النفسية تأثيراً والتي
هي أصل النشاط البشري وهي: المنفعة الشخصية، الشعور بالمسؤولية
المبادأة أي التقسم بالرأي، الإدارة وبكلمة واحدة: العناصر المولدة
لجميع أسباب الرقي والتقدم التي تطورت بها الحضارات

إن النتائج التي تولدت عن الميل الاشتراكية تساعد منذ
الآن على التنبؤ والاستدلال على النتائج التي تولدها إذا أصبح
نجاحها في يوم من الأيام تاماً

لقد تنبأ كثير من المتأملين المتبصرين عن المصائب والنكبات
التي يولدها نجاح الاشتراكية الكامل. وقد كان يمكن الارتباب
بخطورة هذا التنبؤ وقتئذ لأنهم لم تكن تحققت بعد تجربة من التجارب
تحققاً كاملاً يساعدها على إثبات صحته ودعمه

أما اليوم فقد أجريت تلك التجارب من قبل عدة شعوب وكانت
النتيجة واحدة في كل مكان

ولم تجر هذه التجربة في غير روسيا لأنهم القول بأن تجربة
مجري على شعب نصفي التمدن لا تعتبر نتائجها برهاناً قاطعاً وحجة
دائمة، وبأن التجربة التي مجري على شعب بلغ قسماً وافراً من

الثقافة هي التي يمكن اعتبار نتائجها من البراهين المقبولة فقط . من أجل هذا ان تجارب الاشتراكية التي تكالمت بنجاح مؤقت في المانيا وهنغاريا وايطاليا لها خطورة عملية من الأهمية بمكان .

ولقد وجدت المانيا نفسها في اليوم التالي لانكسارها في دور هتلر وتبليل، وكانت تسير على غير هدى وتتلس الطريق تلمسا ولما كانت الحرب قد أظهرت لها الأخطار الكامنة في المبادئ التي بنت عليها بأسها وسلطانها قد أصبحت بطبيعة الامر مضطرة للتفكير عن غيرها

ولقد عرضت الاشتراكية نفسها بل جعلت نفسها تقبل قسراً لأجل ترميم البلايا والرزايا التي جرها الحكم العسكري ولما كانت المانيا لم تجد أحسن منها فقد قبلت أن تجربها وتمتعها فنقلت عليها حينئذ جميع أشكال الاشتراكية من البلشفية المتطرفة بسوفياتها وما تستند اليه من النهب والسلب والتقتيل والنذبح الى الاشتراكية المعتدلة المنجردة الا عن بعض قوانين من قوانين المذهب الاشتراكي

عند ما منيت المانيا بالانكسار كان أول ما حدث أن طرأ انقلاب عنيف على السلطة التي يرجع العهد بتوليها زمام الامور لاجيال كنييرة والتي كانت تدير أمور الدولة المتحدة المختلفة التي تؤلف الامبراطورية فسقطت عن عرشها وهبطت من قمة مجدها

في هذا الدور الأول كان الظفر حليف الأحزاب المتطرفة وتولى البلاشفة الذين يعرفون باسم (السبرتكيست) زمام السلطة بضعة أشهر وأصبحوا بفضل النهب والسلب وهدر الدماء حكاماً للبلاد وبعد ذلك شادوا بناء عهد امتثار طبقة العمال بالحكم ولقد أسس العمال في كل مكان المجالس والمؤتمرات تشبهاً بجماعة السوفييات في روسيا . فكان من جراء ذلك أن عمت الفوضى بطبيعة الحال كل مكان كما حدث في روسيا

ولقد تكلمت إحدى الصحف الألمانية الكبرى عن هذا العهد الاشرافي وأوضحت النتائج التي تنتج عنه أيضاً وافياً في الخلاصة التالية التي اقتطفها عنها ، قالت :

« إن اختلال النظام قد جعل الميراث القوي الألماني ذلك الميراث الذي كادت أربع سني الحرب لا تقوى على النوال منه — عرضة للخطر . فان الضرائب واستصفاة الأموال أي ضبطها واحتكارها قد سببت انتقال رؤوس الأموال الى الخارج انتقالاً لا ينجح معه دواء ولا يقوى أي تدبير من تدابير (الضابطة) ووسائلها على إيقافه والحيلولة دون انتقاله . أما العقارات والقبارك وما تحويه من مكنات قاتها تباع للأغراب بأثمان بخسة بالنظر لأنها لا تستطيع الجلاء عن البلاد . وهكذا فقد ابتاع الانكايز عدة مناجم في حوض الرور كما أن المصرف النيويوركي المعروف باسم (ناسيونال بنك) قد حط

رحاله في برلين وفي غيرها من المدن الألمانية الكبرى واستقر فيها . « اه

إن هذا الدور لم يطل أجله . لأن الديكتاتورية الشيوعية قد أظهرت عجزها وعدم كفايتها بسرعة كما كان من أمرها في روسيا على أن هناك في الأصل سبب آخر وهو سبب نفساني يكفي وحده لحيولة دون استمرار أجل ذلك الدور ولو لم يحل دون ذلك ما كان من أمر الديكتاتورية الشيوعية . أما هذا السبب الأساسي الذي لا تقوى عقول الاشتراكيين على ادراكه فمن الممكن تلخيصه باقتانون الآتي :

أي كانت الانظمة التي يجبر أحد الشعوب على قبولها أو التي يقبل بها هذا الشعب من نفسه لأجل معين لا بد أن تستحيل من شكل الى آخر في مدة وجيزة بحسب عقاية ذلك الشعب . إن استحالة كهنه يلاحظ حدوثها في جميع عناصر الحضارة من دين ولغة وفنون وصناعات . ولقد كرمست فيما مضى مؤلفاً خاصاً وقتته على اثبات هذا التانون الذي هو مسيطر على السياسة والتاريخ (١)

(١) سر تطور الأمم أو تطور الأمم وقوانينه النفسية . (الطبعه الخامسة عشر) .

ولقد استنحات الاشتراكية الألمانية بسرعة من شكل إلى آخر بتأثير ذلك القانون .

ويستطيع المرء أن يرى هذه الاستنحاتة عند ما يتحقق له ماستؤول إليه الانظمة السوفيتية مثلا أو بعبارة أوضح مؤتمرات العمال التي هي الركن الأساسي في صرح البلشفية

لقد نصت إحدى مواد (القانون الأساسي) الجديد على تأسيس مؤتمر للعمال « لأجل الدفاع عن مصالح العمال الاقتصادية . وأن الحكومة مجبرة أن تعرض عليه ، من باب الاستشارة ، جميع لوائح القوانين مما يتعلق بالشؤون الاقتصادية »

فيتضح للقارئ أن (السوفيتية) التي استنحاتت على هذا الشكل ليست أبداً دائرة من دوائر الحكومة طالما أنها أصبحت استشارية فقط .

إن أنظمة السوفيت الروسيين مختلفة تمام الاختلاف عما سبق . إذ أن الألوف من مؤتمرات أو مجالس العمال الصغيرة يجب عليها من الوجهة النظرية على الأقل أن تدير الشؤون الحليمية . على أنه قد ظهر في الاصل أن مثل هذه الانظمة لا يمكن تطبيقها إذ أنه لما كان كل مجلس من المجالس السوفيتية يعد نفسه مستقلا تمام الاستقلال فقد أصبحت ارادة كل سوفيتي (١٠ اختلال التوازن)

على مما يمر قل أهواء السوفيتيين الآخرين .
وحقيقة الأمر أن السوفيتية الروسية كانت تمثل أحط أطوار
الجمعيات الاولية تكاملا ولم يعد هذا الحال من الانحطاط في الواقع
مشهداً الا لدى القبائل المتوحشة .

بعد أن تلمصت المانيا من البلشفية والسوفيتية أصبح عليها أيضا
أن تحارب بعض الاغراض التي كان الاشتراكيون يحاولون التوصل
اليها . فقد كانوا يريدون بوجه خاص أن تستصفي الحكومة الاموال
وأن تضع يدها على الاملاك الخاصة وعلى جميع معامل الانتاج ،
وان تتولى هي أيضا أمر أيالاتها وادارتها

ان محاربة الحكومة الالمانية للاغراض التي كانت ترمى الى
جعل كل شيء مشتركا بين الناس قد امتد أجلها حتى اليوم الذي
أدرك فيه الجمهور أن فكرة جعل كل شيء مشتركا بين الناس تستند
على قواعد نفسية باطلة وان تحققها اذا عم كل مكان يفضي الى
خراب البلاد وافلاسها الاقتصادي .

أمل رجال الحكومة الالمانية أن يرضوا جماعة المستعمرين على
المعارضة من الاشتراكيين فاستمروا على تأييد مبدأ جعل كل شيء
مشتركا بين الناس في خطبهم ومحاضراتهم ، ولكنهم لم يفكروا

بتطبيق هذا المبدأ اللهم الا على بعض الحرف التي يمكن أن تصبح (مونوبولات) منتجة للحكومة كما هو شأن مصلحة التبغ في فرنسا مثلا.

أما الصناعات الأخرى فان الرأي العام بشأنها قد تمثل أتم تمثل في الفقرة التالية التي وردت في احدى الصحف الالمانية :

« اذا امتدت يد الاشرائية للفحم والحديد فانهما تكون قد استولت في الوقت ذاته على جميع الصناعات الاخرى . واذا ذلك نزول المنافسة الحرة والكفاءات الشخصية ، في حين انه يجب أن لا يفرغ عن ذهننا أن تولي الحكومة أمر الحرث أو التعدين أو غيره من الاعمال يزيل المنافسة التي لاتعيش الاعمال بدونها ويدعو لتفقات طائلة ويحول دون الاصدار . أما النشاط الخاص ، والمنفعة الشخصية فانهما على العكس من ذلك من القوى العظيمة التي لا يلحقها الفناء والتي تحمل الطبيعة على اخراج كنوزها الدفينة من أعماق منابعا وتعود على الشعب بالثراء العظيم والحظوة والاعتبار . » اه

ان أعظم رجال الحكم في المانيا تشبعا بالمبدأ الاشرائية كما هم أنفسهم يعترفون بأن الصناعات وتجارة الاصدار يجب أن لاتتأثر بمبدأ من مبادئ الاشرائية بل يجب أن تبقى حرة تماما .

ان البلشفية لم تجرب في روسيا والمانيا فحسب بل لقد جربت في هنغاريا ايضا . وأما الطرائق التي اتخذتها في هذه البلاد الاخرية

فقد كانت نفس المناهج التي سارت عليها فيما سبق اى هي عبارة عن قتل ارباب الحرف ونهب المصارف واستلاب الثروات الخاصة واجبار الاغنياء القدماء علي ممارسة الاعمال اليدوية ! وهكذا قد صودرت المساكن الخاصة وتركت غرفة واحد فقط لصاحبها القديم اما الغرف الاخرى فقد وضعت تحت تصرف العمال .

ان الأنظمة الاجتماعية التي قامت عليها البلشفية المنغارية قد اقتبست عن أنظمة البلشفية الروسية ، وعلى ذلك فقد وجد على رأس القائمين بهذه الأنظمة ديكتاتور يأمر بالنهب والسلب ويفرض أنواع التنكيل والتعذيب .

ولقد أفضت طريقة الحكم هذه بطبيعة الحال الى النتائج نفسها التي أفضى اليها تطبيق تلك الطريقة في روسيا ، وهكذا فان جميع المعامل والمصانع رأت نفسها بالتعاقد مضطرة لاغلاق أبوابها؛ وعم البؤس والشتاء كل مكان .

ففي ذلك الحين أصبح القوم يعتاشون (بالأكوام) التي تكدست عند ما كانت انبلاد تدار بطريقة الحكم السافطة وعند ما نفذت تلك المواد جاء دور الهزيمة . وهناك بعض أسباب بقيت مجهولة لو لم يطل بسببها أمد معا كسة دول الاتفاق في شأن تدخل سكان رومانيا الذي كان الشعب المنغاري يهتف له من صميم قواده ويملاء

اختياره ولولا ذلك لدام أجل الحكم الشيوعي مدة وجيزة للغاية .
على أن دعائه قد تقوضت عند ما اقتربت بعض الفرق العسكرية
من العاصمة .

لقد كان يبدو على بلاد الانكايز أنها في حالة مقاومة الأمواج
التي تحمل بين طياتها روح الثورة والتمرد ستفوق البلاد الأوربية
الأخرى . لكن البلشفية قد لاقت فيها مع ذلك بعض النجاح
بفضل المبالغ الطائلة التي بذلت في سبيل بث الدعوة (البروفنده)
ويظهر أن جماعة المعدنيين قد مرى بينهم ذلك المرض أ كبر
من غيرهم ، فان توعدهاتهم وتهديداتهم أصبحت متواصلة متتابعة
لا يلحقها فتور ، وهم يطالبون الآن بجعل المناجم ملكاً مشتركاً بين
الناس وهذا يدل على أنهم يريدن أن يختصوا أنفسهم بجميع
الأرباح التي تأتي من وراء بيع الفحم ، على أن تبقى نفقات التعدين
على عاتق الحكومة

هذا وان بعض متطرفي الانكايز قد ذهبوا الى أبعد من هذا
المدى : فقد ادعوا أنهم يجبرون رئيس وزراء الانكايز على الاعتراف
بالحكومة الروسية السوفيتية وعلى منع فرسة من مد يد المعونة الى

بولونيا التي يهددها جيش روسي ، ان نفوذ هؤلاء وحده يمكن أن
يفسر سلوك الحكومة الانكليزية في هذه الحالة الأخيرة
على أن ادعاءات المتطرفين هذه قد أثمرت في الأصل روح
المعارضة القوية في 'نكلترة

وقد كتبت جريدة (التيمس) مرقمقلا جاء فيه « أن الشعب
الانكليزي قد كان في جميع أدوار حياته يحفظ في قلبه الكره والملت
الشديدين الاستبداد مهما تنوعت أشكاله وألوانه ، فكما أنه لا يمتثل
الاستبداد المخالف لروح الدستور اذا كان مصدره الحاكم فهو كذلك
لا يمتثله اذا كان صادراً عن جمعية من جمعيات العمال الدائبة وراء
السلامة العامة »

ان هذا الأمر يجب أن يكون من الأمور المأمولة المنتظرة
واكن حقيقة هي أنه ما من أحد يقفه من كنهه شيئاً ، ان العدى
العقلية يمكن إيقافها عند حدها ، ولكن بقدر ما يستمر أمد بقائها
يجب أن تقسى من ورائها الخسارات الفادحة والأضرار الجسيمة

والأمر الذي يبدو اليوم على غاية من الوضوح هو أن بعض
انقلابات الانكليزية تتوق الى ربط كتلات العمل بالحكومة
البشيفية في موسكو ؛ من كان يستطيع التنبؤ وقتئذ أن انكلترة تلك

البلاد ذات المبادئ الحرة والتي اشتهرت بتمسكها بالتقاليد متصل
يوماً الى ما وصلت اليه اليوم ؟

ان فرنسا هي أيضاً حتى اليوم من البلاد التي فقت غيرها من
جهة الدفاع عن كيانها أمام التطرف الاشتراكي وغلوه ، ومع ذلك
فان العقيدة الاشتراكية مستمرة على التقدم والنجاح فيها
ان الحزب الاشتراكي الذي بلغ ما بلغ من الأضرار بنا قبل
الحرب عند ما مثل حركة التلميح والاستعداد للحرب عندنا لدرجة
جعلت المانيا تظن أن باستطاعتها مهاجمتنا دون أن تتجشم المخاطر
تقول أن ذلك الحزب آل به الأمر أخيراً الى قبول المبادئ الشيوعية
على علاقاتها (بدون استثناء شيء)

ولكي يستعيد هذا الحزب ما كان له من نفوذ وسلطة تراه يدأب
على بث الأوهام والخيالات المريضة في نفوس جماهير العامة
على أن الذين يعرفون قوة لانحاد والتكاتف ليسوا مع الأسف
سوى تلك الفئة التي تمثل قوى الطبقات المنحطة ، أمافئة المتنورين
الذين هم أقوىاء عقلا وإدراكاً فيبدواعليهم عدم الاستعداد لممارسة
الأشغال العملية أي اليدوية وبالتالي فان باعهم قصير في ميدان
الدفاع عن النفس ، في حين أنه يكفي لاقتاد البلاد من خطر

الاشتراكية وجود بضعة أشخاص من ذوي المقاومة والجلد ، ولقد قدمت إيطاليا على هذا مثلاً يخجله لها التاريخ بالاعجاب والتقدير

لقد قامت الاشتراكية في إيطاليا مدة من الزمن بنفس أعمال الافناء والتخريب التي قامت بها في غيرها من البلاد التي نفذت اليها فلما رأى الاشتراكيون الايطاليون أن مبادئهم عاشت في إيطاليا مدة بضعة أشهر خيل اليهم أن نجحهم خدا باتاً قاطعاً ، فاستولوا على دور البلديات في بعض البلدان وطرّدوا أصحاب المعامل وشرعوا في أعمال النهب والسلب واقتل والتنكيل تبعاً للطريقة العامة التي تجرى عليها الاشتراكية الظافرة ، أما الحكومة فقد ارتعدت منها الفرائص أمام بأس هؤلاء وغدت تدعن شيئاً فشيئاً لما كانوا يدأبون على المطالبة به

على أن شدة التعارف أحدثت بعد قليل رد فعل . فقد هب حزب النقاشيين الجديد الذي هو مؤتمف بوجه خاص من قداماء الخمار بين — في وجه الاشتراكية وبعده كمنح دام برهة وجيزة حالقه لفوز أودي بالشيوعية الى حلة بينة من المعجز ووهن المزيمية ان النقاشية قد ظفرت لا سبب آخر سوى أنه كان على رأسها رجل من أولئك الافذاذ الذين يتصفون بالعزم واخزه والجرأة النادرة

والذين يندر اليوم وجود نظيرهم بين القابضين على زمام الحكم في العالم .

لقد كان هذا الزعيم — وهو المسيو موسوليني ؛ حائزاً على خاصيتين من أعظم الخصائص التي يكتسبها المرء من وراء الدراسة في الكتب وهاتان الميزتان إحداهما في طبعه أي في سجيته والاخرى في محاكمته وملاحظته

إن الاطلاح التي هزها السنيور موسوليني من أركانها فجعلها تتحد وتجنب بأن أرجع الامور الادارية الى حالة بسيطة للغاية والتي في تشبكها الذي يزداد نمواً يوماً فيوماً ما يهدد حياة الجماعات البشرية الحديثة — أمام تلك الاطلاح المتحددة التماسكاً ربما غلب الديكتاتور موسوليني على أمره في : اية الأمر ولكنه يترك وراءه عملاً على غاية من النفع

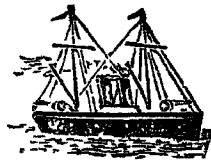
ان أعظم مزية للمسيو موسوليني هي رغبته في هدم أركان طريقة الايتاتيزم الاقتصادية التي يدافع عنها الاشتراكيون بكل ما أوتوا من قوة [أو بكل حرارة ورغبة كما يقول الفرنسيون] والتي تزرع اليوم كثير من البلاد تحت عبئها الثقيل

ولقد بسط آراءه بمراحة ووضوح تامين في احدى خطبه التي ألقاها أمام ممثلي الغرفة التجارية الدولية في روما واليك بعض النذ من ذلك الخطاب :

إن المبادئ الاقتصادية التي ترغب فيها الحكومة الإيطالية الجديدة بسيطة. وأنا أعتقد أن الدولة يجب أن تعدل عن الوظائف الاقتصادية سيما ما كان منها من جنس (المونوبول) تلك الوظائف التي كثيراً ما أظهرت الدولة عجزها عن إيفائها حقها. وفي يقيني أيضاً أن حكومة تتطوع لتخفيف الارتباك الذي ألم بمجماهير الناس من جراء الأزمة التي دهمتهم بعد انتهاء الحرب فيجب أن تدعى للاجتهاد الشخصي اأخرية العلمى ، وعليها أيضاً أن تعدل عن جميع القوانين التي من شأنها التدخل في الشؤون ووضع العراقيل والعوائق في سبيل الأعمال. فهذا المدول يستطيع ولا شك إرضاء حزب اليسار المتعصب نظرياً (ثورة الشعب) في البرلمان ولكن ليس من ورائه — كما أظهرت التجارة — إلا الحاق الضرر البالغ بالمنصالح الاقتصادية ونوايا اقتصادية

أنا لا أعتقد أن مجموعة تلك القوى التي يمكن أن تسمى سواء في الصناعة أو الزراعة أو التجارة أو المصارف أو في أعمال النقل بكامة إجمالية وهي (رأسمالية) على وسك الزوال والاضمحلال كما يؤكد ذلك بعض أهل النظريات من غلاة الاشتراكيين ومتطرفيهم ولا غتبط بمبدأ قنديتهم. منذ زمن بعيد أثبتت التجربة التي حدثت أمام أعيننا والتي هي من نوعها أعظم ما عرف التاريخ بصورة غاية في الوضوح أن جميع القواعد الاقتصادية التي تففل شأن الاجتهاد

الشخصى الحر والنشاط الذاتى عرضة فى أجل قريب لافلاس هو على كل الأحوال مدعاة للحزن على الاجتهاد الشخصى لا يحول دون توحيد الصفوف . و بقدر ما يكون الدفاع عن المصالح الذاتية مشفوعاً بالامانة والاخلاص يصبح الاتحاد أقرب منالاً وأسهل حصولاً « اه
واقدم استنسخت هذه الكلمات لانه لا يمكن التعبير عن الحقائق الناصعة التى أدافع عنها منذ زمن بعيد بأصدق وأوجز من هذه الصورة . ان وجود رجل فى أورة بلغ من كفايته وقوة عزمه ما جعله ينهض لتطبيق تلك الحقائق لما يدعوا للاغتباط . واذا قدر النجاح للعمل الذى قام به فىكون قد ساعد على انقاذ حضاراتنا من خطر الاشتراكية الذى ينهددها بخراب وتهديم لن تقوم لها بعده قائمة



الكتاب الثالث

عدم التوازن المالي ومناجع التروية

الفضل الأول

مقرر أوربة في الزمن الراهن

ان جميع القابضين على زمام الامور في الحكومات المختلفة سيما منهم حكم الامبراطورية البريطانية لا يفتأون عن طلب اعادة بناء الصرح الاقتصادي في أوربة وتجديد رُكائنه .

فكي تتمكن معرفه السرفى هذا المحدث قد البامت (دزينة) من مؤتمرات كانت حقيقه بصوره ندعوها بحزن والرثاء .

ان اوزير للاكيزى السق المستر لويدي جورج الذي هو صاحب مشروع هذه المؤتمرات احقيقى والحاث الفذ على عقدها كان ينسى دوما في جميع خصنه التي لا يحصيها عد أن يجهر بالدستور التي وجده لأجل ذنئ المحدث . لكنه في خطبه التي القاها كان

يطلب ويلج في الطلب الحاحا مشفوعا بالعند والصلابة أن تتنازل
فراسة عن قسم من مال التعويض الذي لها على المانيا بل أن توجّل
قبض هذا المال كلما حل موعد دفعه المرة تلو المرة الى أن تسأم التأجيل
والتسويق فتتنازل عنه بكامله .

ولقد احتاط هذا لوزير اللبيب للأمر فاجتنب عرض أي دستور
يسير بموجبه القوم عندما يقومون لتحديد كيان أوربة الاقتصادية،
اذ لاشك بأنه لم يكن يجمل أن مثل هذا الدستور لا وجود له .

ان تجديد الكيان الذي يطلب القيام به يتعلق في الحقيقة بتوفيق
الاعمال توفيقاً لا يمكن البت بكيفيته مع بعض الضرورات الاقتصادية
التي هي من البساطة بمكان عظيم ولكنها لا تلقى بوجه عام أي اهتمام
أو اعتبار

ان قوة هذه الضرورات تظهر بوضوح عندما تستنصى أسباب
ال فقر الذي كانت بلاد كثيرة في أوربتمن ضحاياها والفوضى التي ولدها

﴿١﴾ المنابع الحقيقية للثروة

ماذا يعنى البرنامج الذي ينص على « إعادة بناء صرح أوربة
الاقتصادية » والذي ما انفك سامه الجيل الحالى عن ترديده لحظة
واحدة ؟ ألا يمكن تفسيره بكل بساطة بهذه الحقيقة التي تنص على
أن الامم لا تستطيع الحياة بسون أن تؤسس بين المحصولات التي

تنتجها وبين المواد التي تستهلكها وتفنيها بعض المناسبات والروابط؟
أن ثروة البلاد والعالم على حالته الراهنة أصبحت بوجه خاص
تتعلق بكمية المحصولات التي ينتجها الشعب من تربة البلاد أو من
معاملها. والذي يفضل مما تنتجه عما تستهلكه بوسعها أن تبادله
في المخرج مقابل المواد الضرورية لأغراض الحياة مما لا تنتجه
أرضها.

ان الإنتاج بسعر يجعل الاصدار ممكناً ليس هو كل ما يطلب
بل يجب علاوة على هذا إيجاد مشترين لذلك المحصول إذ ان
هذا الامر من العوامل الجوهرية في القضية. فإذا كانت البلاد
تصنع من المواد كمية تزيد على الكمية التي تستطيع بيعها فان
معاملها تضطر لان تحدد الكمية التي تفتجها فيقع العمال في أزمة من
البطالة بنتيجة ذلك كما هي الحالة التي وقعت فيها انكلترا تماماً فقد
غدت (انكلترا) تفتس عن زين حتى في روسيا

ان هذه الضرورت التي تقضى بالمبادلة التجارية تظهر مرة
أخرى مبلغ ازدياد الشعوب ببعضها. كما انها تظهر أيضاً أى الاوهام
تضل فيها على غير هدى تلك البلاد التي تجعل بلادها مكتنفة
بسيلاج من الجمارك. والعالم اليوم في هذه الحالة من الفقر والفاقة بحجة
أنها تريد حماية صناعاتها الوطنية فهذا لعمل السوء لا يتأتى عنه

بالمقابل سوى نتائج سيئة أيضاً لا تلبث ان تصيب الصناعات المحمية
بالشلل في آخر الامر فتقضى عليها شر قضاء

ان منابع الثروة التي ألمت اليها في الأسطر السالفة توضح
بسهولة لماذا وقعت بعض الشعوب كالنمسا مثلاً في وهدة عميقة من
البؤس . إذ أن الكيلوغرام من الخبز الذي كان يباع في « فينا »
ذاتها بـ (٥٠) سنتياً فيما مضى - عند ما يندو ثمنه اليوم ستة آلاف
فرنك تقريباً فهذا لا يدل على أن الثقة بالأوراق المالية التي أصدرها
المصرف النمساوي أصبحت ضعيفة للغاية فحسب بل يدل أيضاً
و بوجه خاص كذلك أن (قابلية) الانتاج عند العامل النمساوي
عدت أخط بكثير مما يكفي لتعويض الكمية التي تقضى الضرورات
باستهلاكها . فن الوهم إذن أن نظن - كما كان من أمر جمعية الأمم
أن مثل تلك الحالة يمكن أن تتحسن عن طريق اقراض النمسا ببعض
المبالغ من المال .

لينح رجال الحكم في النمسا سلطة تكفي لأن تساعد على
اقتصاص المبالغ الهائلة التي تنفقها دواوين الحكومة والتي تكاد تبتلع
كامل دخل الحكومة إقاصاً عظيماً وليحمل العمال على تزويد الكمية
التي ينتجونها باعطائهم أجوراً مناسبة، فعند ذلك نكون قد أوجدنا

لكل من هذه القضايا أنجح حل وأحسن تدبير. وفي استطاعتنا أن نتحقق سلفاً أن القروض المالية لن تنجح في رفق ذلك الفتق بوجه من الوجوه . فنبشأ رددوا على الاسماع مالمهه الطريقة من التأثير الناجح .

يستنتج مما سبق أن الشعب الذي نقد العملة والنقد ولكن باستطاعته أن ينتج من أرض بلادوه ماملها المواد الضرورية للقيام بأود حياته ولصنع البضائء التي تقيس مبادلتمها بغيرها . يمكن أن يصبح أغنى بكثير من الشعب الذي يملك بعض الذخائر من الذهب أو من الفضة ولكنه لا ينتج سوى كمية غير كافية من البضائع . إذ أن الذخائر المعدنية تنفذ بسرعة إذا لم تعوض . ان الفقر الذي أصاب الاسبانيول الذين كانوا يظنون بأنهم أغنياء لأنهم امتصوا كل الذهب الموجود في أميركة هي مثال جلي في هذا الصدد .

أما ألمانيا فهي على العكس من ذلك عبارة عن شعب قد أضع الذهب الذي كان موجوداً لديه ؛ لكن موقفه الاقتصادي مع ذلك لا يزال على ما هو عليه من الجودة بفضل المحصولات التي ينتجها .

ان هذه الطريقة التي تكون بها الثروة عن طريقي الانتاج والمبادء تتصادم اليوم ببعض عوائق مختلفة وهي عوائق صناعية في أغلب الأحيان اكنها تبعث على الخوف والرهبه دوماً .

فالموافق من الدرجة الأولى هي أن عدد المشترين قد قص
قصاً جسيماً في جميع أقطار العالم. ففي النمسا والروسيا لم يبق من
مشترى، أما البلاد الأخرى من العالم فقد قل فيها عدد المشترين .
وعدا ذلك فإن إصدار البضائع بسعر يساعد على بيعها قد
أصبح عسراً تبعاً لسقوط قوة ابتياع العملة في عدة بلاد كفرنسة
وإيطاليا مثلاً

وهكذا فإنه لأجل الحصول في انكلترة أو في أميركة على بعض
الكميات من المواد الأولية التي يساوي ثمنها في فرنسة مئة الف فرنك
تقريباً من الضروري إنفاق مبلغ ثلاثمائة فرنك على وجه التقريب .
ولما كانت كلفة المواد بهذه الدرجة من الارتفاع فإن أمر بيعها يصبح
عسراً . كيف لا وإن المشتري هو في الأصل في حالة ضيق شديد
بسبب مؤثته . إذ أن التبدلات الدائمة التي تطرأ على قوة ابتياع عملته
تجعله عرضة للخسارات الجسيمة في حالة ادخاره لمبلغ كبير من العملة
أو في حالة تعامله بالعقود التجارية ذات الأجل المعين

فيري من هذا أن الامم أصبحت اليوم أمام شروط صعبة لكي
تضمن لنفسها البقاء ودوام العيش بسبب الاضطرابات التي تكاثرنا
للقارى عنها .

ان الشعوب الزراعية التي كانت تعيش مما تنتجه أرضها والشعوب

(١١-اختلال التوازن)

الصناعية التي كانت نحيا عن طريق مبادلة البضائع التي تصنعها؛
لغيرها مما هي بحاجة اليه ، أصبحت جميعاً اليوم في حالات مختلف
اختلاقاً كلياً عن الحالات السابقة .

إن فرنسا وهي البلاد التي تمتاز بكونها زراعية تستطيع عند
الاضطرار أن تعيل نفسها بواسطة تربتها أما انكثرتا فهي لا تستطيع
ذلك أبداً إذ انها لو أحيطت بجدار لا يمكن اختراقه واجتيازه لم
استطاعت أن تعيش من محصولات تربتها أكثر من شهر واحد
بكل جهد في حين أنه لو أحاط فرنسا جدار مثل هذا فإن تربتها
تقدم لها ما يكفي لاعتائها مدة عشرة أشهر على أقل تقدير

إن شروط البقاء هذه التي هي بهذه الدرجة من الاختلاف في
الاشكال والتباين في الصور، يمكن أن توضح لنا بعض النقاط من
سياسة انكثرة . إذ انه يتحتم عليها أن تحصل على المحاصيل من
الخارج وبتنا كانت البضائع لا تتيسر مبادلتها الا ببضائع أخرى أيضاً.
فهي مضطرة لأن تفتش على مشتريين في جميع الجهات

منابع الندوة الصناعية

لما كانت الشعوب على اختلافها تنتج منذ الحرب قليلاً وتبيع بأسعار رديئة فقد وجدت نفسها مضطرة، لكي تضمن البقاء لحياتها أن تلجأ لشتى الأنواع والطرائق والوسائل فأول ما لجأت إليه من الطرائق هو إيجاد أوراق مالية جعلت التعامل بها اجبارياً ولما كانت هذه الطريقة تبدو في أول أمرها كأنها من الوسائل التي تنجح نجاحاً دائماً فقد اختارت العمل بها كثير من الحكومات من الجلي أن العملة المصنوعة من (الورق) لا قيمة لها سوى الثقة التي يكنها الجمهور في صدره أزاء الحكومات التي أصدرت تلك الأوراق . وتعلمنا التجربة أن هذه الثقة تتناقص كلما زاد عدد الأوراق الموضوعة للتداول وكلما حصل بطء في تأدية قيمتها قدماً وفي الاصل أن قيمة العملة الاعتيادية أي قوة اقتناعها يجب أن تتناقص بالتدريج الى أن تصل الى الصفر فإذا كانت هذه القيمة مهما كانت ضئيلة تستطيع الثبات فوق الصفر فإن الحكومة التي أصدرت مثل هذه الاوراق النقدية باستطاعتها أن تستبدلها دوماً بعملة أجنبية جيدة . على أنه في الحقيقة ما الذي يهمها اذا كانت تدفع ورقة بقيمة ألف فرنك لكي تحصل على فرنك فضى ما دامت

هذه الورقة التي هي بقيمة الف فرنك لا تكافئ سوى ما يبادل نققات
الطبع

إذا كانت إحدى الحكومات حائزة على قدرة (نظرية) تمكنها
من صنع أوراق نقدية لا يمكن أن تبلغ قيمتها الصفر في يوم من الأيام
• مهما تقربت من هذا الرقم فلها (أي الحكومة) تستطيع أن تحصل
بواسطة أوراقها الرديئة على جميع ذهب العالم

من الجلي أن مثل هذا الافتراض لا يمكن تحقيقه بالفعل فإن
التجربة تظهر كما أظهرت في الزمن الذي أصدرت فيه فرنسا الأوراق
المالية المسماة (آسينيا) ^(١) أن إصدار كمية غير محدودة من العملة
الاعتيادية يفضي إلى تجريد هذه العملة من كل قيمة. وهذا ما حدث
في روسيا وبولونيا والنمسا وغيرها .

أما ألمانيا فلما كان سقوط قيمة المارك الورقي غير ناشئ بوجه
من الوجوه عن زيادة جسيمة في المواد المستهلكة مقابل الانتاجات
كما هو الامر في البلاد الأخرى . بل كان ذلك السقوط ناشئاً عن
سبب واحد وهو أن الحكام في ألمانيا كانوا يبدون أن يجرحوا الأوراق
المالية عن كل قيمة لكي ينفودفغ أموال التعويضات الحربية
• مستحيلاً

(١) هي أوراق عالية أوجدت في قرن ثامن عشر وألغيت عام ١٧٨٧ للترجم

ولما كان الامر على هذه الصورة فان قيمة العملة الصناعية في المانيا لم تبلغ الصفر في يوم من الايام بالرغم من أن المانيا كانت تصدر منها عدداً لا حد له .

وفي الحقيقة ان اصدار عدد لا حد له من الاوراق المالية يمكن الذين أصدروها من مبادلة أوراقهم التي لا قيمة لها بعملة حسنة غيرها أو ببيضائع ومواد أخرى ولكن هذه العملية لا يمكن أن تدوم مدة طويلة . واذا امتدت فان البلاد التي أصدرت تلك الاوراق تصبح حالا من البلاد التي لا يوجد لديها أوراق نقدية مقبولة : وما من واسطة تلحاً اليها حينئذ — كما هو الحال في روسيا — سوى واسطة تجارية واحدة وهي أن تبادل محصولاتها بغيرها من المحصولات مباشرة فتكون بذلك قد عادت الى اتباع طريقة المقايضة التي كانت سائدة في لازمنة الغابرة

ولو تعمقنا في البحث قليلاً لعلمنا أن طريقة المقايضة كانت في غير الازمنة القديمة أيضاً هي الواسطة التجارية الصحيحة اذا كانت احدى البلاد تجتاز أزمة مانية اضطررتها لأن تعوض ما فقدته من العملة الذهبية أو الفضية بأوراق مالية فان طريقة اصدار العملة الورقية تكون ذات نفع في هذه الحالة فقط . فان الاوراق المالية التي استعويض عنها بالعملة الحقيقية لا تكون حينئذ الا عبارة عن

قرض لم يعين أجل دفعه : وتفقد هذه الاوراق قيمتها بالدرجة الاولى
اذا زيد في عدد ما أصدر منها ثم اذا حدث البطؤ في دفع ما يقابلها
من النقد كما ألمعنا الى ذلك قبل أسطر
فيجب على الحكومات اذن أن لا تنسى أبداً أن الاوراق
المالية التي يكون التعامل بها اجبارياً هي عملة عن عملة تفتى قيمتها
مع مرور الزمن كما انها تميل دوماً الى الهبوط نحو الصفر



الْفِضْلُ الثَّانِي

عوامل الرّوة قديماً وحديثاً

كانت منابع الثروة الرئيسية في العالم القديم عبارة عن زراعة ضعيفة وتجارة بطيئة وغير ثابتة . وكانت الفكرة المقبولة وقتئذ هي أن الوسيلة التي يتوصل بها الشعب الى الغنى والثراء تنحصر بشن الغارة علي من في جواره ونهبهم واستلاب أموالهم .

أما في أيامنا فإن ارتبساط الشعوب بعضها ببعض وهو الذي أخذ يزداد باضطراد قد بدأ يززع أركان تلك الأفكار القديمة التي كانت تقول بفائدة الغارات على أنها وان لم تززع من عقول جميع الناس بعد فقد بدأت دعائها تنقوض في عقول بعض الاقتصاديين . ولقد أثبتت حوادث عديدة أن الأمم تربح من تبادل المحصولات التي تنتجها أكثر بكثير مما تربح من وراء اهلاك بعضها بعضاً . كما أن التجربة أظهرت أيضاً أنه لأجل ايجاد طرائق لترويج البضائع وفتح منافذ تجارية لها عند أمة من الأمم لا يأتي غزو تلك البلاد والاستيلاء عليها بأي نفع أو فائدة . وهكذا فإن

تجارة المانيا مثلاً قد راجت أكثر ما يكون في بلاد نظير بلاد
الولايات المتحدة الاميركية

ان هذه الحقائق التي قررناها وان كانت جليلة ظاهرة لكنه
سبق لى أن نعتها في غير هذا المكان بنعت الحقائق المعطلة التي
لا قوة فيها ولا نفوذ لها لأن جلاءها ليس من شأنه أن يجعلها من
القوة بحيث تتمكن من السيادة والسيطرة على الدوافع الحسية أو
السرية كحسد والحقد والشعور بالحاجة والتفوق الدولي أو السيادة
العالية وما إليها من المشاعر التي تكفي لأن تأخذ بيد الشعوب نحو
بعض الحوادث الجنونية والمشاريع الخطرة

ومع ذلك فإن أربع سنوات طافحة بحوادث القتال والتخريب
والتمهيد قد منحت بعض الحقائق التي كانت عديمة القوة والتأثير
فيما سبق شيئاً من القوة والسلطة . فقد أثبتت بوجه خاص ان
الحروب التي ترمى الى الفتوح لا تستطيع أن تغني أحداً وان
تجمله في مصاف المثرين كيف لا وأن الحروب التي خرجت منها قد
عادت على الغالبين الضافرين بخراب وافلاس ان لم نقل أنها
يربوان على ما أصاب المغلوبين فتبهما يعادلان ما لحق بهؤلاء
على أقل تقدير .

ان الشعوب أصبحت اليوم تركز جميع جهودها في سبيل
ترميم ما تخرب من بلادها ودية الديون التي تراكت عليها وتجديد
رؤوس الاموال التي فقدتها .

فأي المنايع ستنفجر لها عن أنهر الثروة في الازمنة القادمة
ان هذه المنايع التي هي ذات طبائع متنافرة ستكون جميعاً تابعة
لحكم القاعدة الاساسية التي نلخصتها في الدستور الآتي
ان ثروة الشخص أو الشعب أكثر ما تكون تعلقاً بالسرعة التي
يتداول الناس بها رأس المال الذي هو قيد تعمر في

ان هذا الدستور هو قريب جداً من القانون الذي يقاس
بموجبه عظم الجهد أو العمل في علم الآليات (الميكانيكيات)
ومن المعلوم أن عظم الجهد يعادل نصف الناتج عن ضرب الكتلة
بمربع السرعة .

وكذلك الامر في علم الاقتصاد فن (الكتلة) متمثلة برأس
المال الذي هو قيد التصرف ، والسرعة الآلية هنا هي السرعة التي
ينقل بها رأس المال المذكور بين أيدي الناس .

اذا كان رأس المال الابتدائي ضئيلاً فلا أهمية لهذا الأمر كثيراً .
فان رأس المال مهما كان ضئيلاً لا يلبث اذا كان التعامل به سريعاً
حتى يفوق رأس المال الجسيم اذا كان التعامل به ايسر سريعاً بطيئاً .

ان التشابه مع الميكانيك موجود هنا أيضاً . فن الطلقة النارية ذات الكتلة الصغيرة والتي هي مزودة مع ذلك بسرعة عظيمة تفوق من حيث القضاء على الحياة الكتلة المعدنية التي هي أعظم ثقلاً بمئة مرة ولكنها تنطلق بسرعة ضعيفة . ان علم الرماية الحديث قد تغير وتبدل من جراء العمل بهذا القانون كما أن هذا القانون يميل بطبيعة الحال الى تحويل وتبديل الصناعة أيضاً

إن القوانين السالفة عدت نجعلنا ندرك الثروة بشكل جديد . ففي العالم القديم كانت خزينة البلاد تتكون من ادخار قطع النقود الذهبية أو الفضية الموضوعة ضمن صناديق محكمة الاغلاق حيث كانت لا تخرج منها الا نادراً .

ولما حدث التطور الجديد خرجت الاموال الكنوزة بكاملها من الصناديق وألفت كتلة متحركة تختلف عظمتها كما قلت سابقاً بحسب سرعة انتقالها بين أيدي الناس .

ولكي تثبت هذه الافكار في الازهان ونجعلها ترسخ فيها نفرض أن تجراً يملك رأس مال قدره الف فرنك كرسها لا يتبايع بعض الكميات من البضائع ، ثم باع هذه البضائع مقابل ربح يعادل ١٠ في المئة . فاذا تكررت عملية البيع هذه عشر مرات

في الاسبوع الواحد فن رأس المال يصبح في آخر الاسبوع مضاعفاً .

واذ استمرت هذه العمليات فان التاجر يصبح بمد متوجيزة أغنى من الرجل الذي يملك رأس مال يبلغ (٥٠) الف فرنك اذا كان هذا الرأسمال غير متحرك أو كان يأتي بدخل ضئيل .

فيستنتج بطبيعة الحال من هذه الحسابات الابتدائية أن خطورة الربح التجاري أو الصناعي لا تتعلق بالربح الحاصل في كل عملية بل تتعلق بوفرة عدد هذه العمليات ويستنتج من هذا أيضاً أنه كلما تكرر الربح كلما نقصت كميته . أما تناقص كمية الربح فاتها تسهل بدورها سرعة انتقال رأس المال بين يدي المتداولين لأنها تضمن للبضاعة أن يبتاعها أكبر عدد ممكن من المشترين

وعلى ذلك فإن كلا من المشتري والبائع يربحان كلاهما من وراء سرعة تداول رأس المال وعلى هذا المبدأ تأسست مخازن (الخروضة) العظيمة مكان الدكاكين الصغيرة التي كان البائع فيها مضطراً لان يبيع بأسعار مرتفعة بالنظر لقلّة ما يبيع .

ان الامثلة التي أشرت اليها من شأنها أن تساعد على التعبير عن الدستور الذي تكلمنا عنه سابقاً بالصورة الآتية : —
ان ازدياد سرعة تداول رأس المال تعادل ازدياد هذا الرأسمال .

ان هذا الدستور سيحكم العالم الصناعي الحديث حكماً سيزداد
بشدة مع مرور الزمن . فما هي وسائل تطبيقه والعمل به
ان العوامل التي تستطيع أن تعمل سرعة تداول رأس المال قد
درست كثيراً من قبل الاميركيين والالمانيين في الازمنة التي
تقدمت نشوب الحرب . وهذا هو السبب الحقيقي الذي جعل
اتساع تقم الاقتصاديات عند الالاميين المذكورين يتخطى درجة
نمو الاقتصاديات عندنا :

بعد أن تغدو ضرورة التسرع في الاستحصال وفي ترويج
المواد المستحسلة أي في ايجاد منافذ لها من القضايا المسلم بصحتها
يستطيع انراء اذ ذلك أن يدرت حلالاً مبلغ ما في اتقان طرائق
الاستحصال واصلاح الآلات والادوات واتساع تقدم وسائل النقل
من الالهمية والخطورة .

لست هنا لأخص تأثير العوامل المتلفة في حصول مايسمونه
بالاشتداد الصناعي والتجاري أي في توفر السرعة في الاستحصال وفي
رواج المستحصل . ومع ذلك فن هناك عملاً من تلك العوامل
وأعنى به العامل في ازدياد المحصول الزراعي أشير اليه أثناء اتقالي
من هذه النقطة ذلك لأن أهميته ستتحلي أكثر من غيرها أثناء
دور الجذب والقحط الذي أصبح يتهدد العالم

لقد كان المحصول الزراعي في فرنسا قبل الحرب ضعيفاً بدرجة ضعف المحصول الصناعي الذي كانت تنتجه وقتئذ . فلم يكن يزيد محصول المهكتار في الأراضي المزروعة قمحاً عن (١٢) هكتولتر بينما الأراضي الألمانية برغم أنها من حيث الصفات والخصائص دون الأراضي الفرنسية كانت تقدم ضعف تلك الكمية ، وما ذلك إلا بفضل استعمال الأسمدة .

ان عدم كفاية الدراسة الفنية عندنا سواء في الزراعة أو في الصناعة هي من الأسباب التي جعلتنا دون الألمانين فيجب تقض هذه الدراسة من أساسها وتجديدها واصلاحها من جديد .

لقد نشر المهندس المسيو لواره مقالا هاماً في مجلة (الأكسبانسيونيه كونوميك) اتي فيه بأمثلة جلية عن مبلغ الاختلاف الذي يحدث في كمية المحصول اذا حصل عليه بواسطة قوة الساعد أو بواسطة قوة المسكنات تبعاً لدرجة تمكن وتضلع العامل أو محرك المسكنات من المعلومات الفنية .

ولقد ذكر محرر المقال القاريء بوجه خاص بالمثل المشهور الذي يروى عن تاييلور (١) وذلك أن تاييلور جعل أحد العمال لا يقوم

(١) هو رياضى انكليزى كبير ولد عام (١٦٨٦) وتوفي عام (١٧٣١) المترجم

بأية حركة من الحركات التي لا فائدة منها وذلك بطريقة خاصة فاستطاع العامل بهذه الصورة أن ينقل (٤٧) طنّاً من الحديد الصلب إلى إحدى الشاحنات في حين أن رفق هذا العامل الذين لم يتبعوا تلك الطريقة لم يتمكنوا في المدة ذاتها من نقل أكثر من (١٢) طنّاً من الحديد .

وجاء الكاتب بعدئذ بأمثلة تكلم فيها عن العامل ذات العدد الكهربائي التي استضاعت بفضل اتباعها لأفضل الطرائق أن تزيد في الكمية التي تنتجها أكثر من الضعف ، ثم بعض المعامل الأخرى التي جتهدت فتمكنت من انقاص النفقات التي تنفقها على صنع البضائع بنسبة (٤٠) في المئة وأبان كيف أن عمل تلك المعامل يساعده على أن تزيد في أجور العمال زيادة كبيرة ، وقال أيضاً أن المعامل إذا رغبت في زيادة أجور العمال ولم تزد في الوقت نفسه في الكمية التي تنتجها فإن ذلك لا يفضي إلا إلى ازدياد النفقات التي تنفق على صنع البضائع . فيصبح صاحب العمل حينئذ عرضة لمنافسة أصحاب المعامل الأخرى الذين هم أوفر وأكمل عدة . وتقدموا بضائمه كاسدة ليس لها من مستر .

وقد لاحظ محرر مقال الذي نحن في صده بعد ذلك أن استعمل الفحم ضمن طرائق خاصة يمكن أن تنقص الكمية التي تستهلكه بنسبة (٣٠) في المئة . وقد ذكر القارئ أن في سباق

سأقي السيارات الذي أقيم عام (١٩٠٥) في معرض لياج كان الفرق بين العمل الذي قام به الأول وبين العمل الذي قام به الثاني كالفرق بين الحسین والمثمة على الرغم من أن الآلات والأدوات التي تتألف منها تلك السيارات كانت واحدة لافرق بينها على الرغم من أن الوقود التي استعمل فيها كان واحداً ومتساوي الكمية أيضاً قد أصبح من الأمور الجلية التي لا يختلف فيها أن الضرورة غدت تحتم على العمال وعلى رؤسائهم أن يتمكنوا من المعلومات الفنية وأن يتقنوها وأمسى هذا الأمر من الأهمية بمكان قصي ؛ كما أنه عند ما تحتم الضرورة على صاحب العمل أن ينقص النقصات التي ينقها على البضائع وما إليها تندر إذ ذاك اليد العاملة شيئاً فشيئاً وتصبح أجرها غالبية أيضاً

ولما كان شطر كبير من الديون التي علينا خارجياً فأننا لانستطيع أن نسدها الا بواسطة ما يفضل عن المحصول الزراعي والصناعي في بلادنا

ان جميع هذه الملاحظات تظهر أن رأس المال المادى المؤلف من الدراهم أو من المعامل أو من المحاصيل يمكن أن يزداد ويكبر بصورة عظيمة عندما (يضرب) ببعض أضعاف شخصية ساطلق

عليها اسم « اضعاف القدرة العقلية » والعامل المختص بسرعة الاستحصال والذي أبنت مبلغ أهميته فيما سبق إنما يتعلق بتلك « الاضعاف » ووفرتها أو قلتها .

فمن الجلي الواضح والحالة هذه خلافاً لأحلام القائلين بمبدأ المساواة من الاشتراكيين أن ثروة الشعب ستختلف في المستقبل بأكثر مما كانت في الأيام الخوالي أيضاً حسب عدد المبرزين في العلوم والصنائع والتجارة بن أفراد ذلك الشعب بوجه خاص .

ان البلاد التي لا يزال تقدم مبدأ الاتيائيزم (١) فيها بتأثير الاشتراكيين يصيب الجهود الشخصية بالشلل متحد نفسها في حالة من التدني يسحق كياناتها سحاً أمام البلاد التي هبط فيها عمل الحكومة وتدخلها بالشؤون لى أدنى الدرجات وصعدت جهود أبناء البلاد فيها الى أقصى الحدود الممكنة كما ميركا مثلاً

تقد اضطررنا الأحوال ان تقتصر في هذا الفصل على بيان ما للسرعة في إيجاد القيم والأثمان من الشأن الخطير .

وإذا درسنا تأثير السرعة في التطور العالمي الحالي يصبح من

(١) هو مبدأ يرمي الى جعل كل شيء بيد الحكومة ويترك التصرف بكل الشؤون لها بالذات - المترجم

السهل علينا أن تثبت ونبرهن على أن مدينتنا ستجد نفسها يوماً بعد يوم محكومة من قبل هذا العامل (أي السرعة).

فهذا العامل بوجه خاص هو الذي يميز القرن الأخير عن جميع القرون التي تقدمته أثناء عدة آلاف من السنين التي مرت على التاريخ .

فمنذ أيام (سزوستريس) الى أيام (قيصر) الى أيام (لويس الرابع عشر) الى أيام (نبوليون) كان صنع المحاصيل وانتقال الأشخاص بل والافكار ذاتها أيضا يجري ببطء زائد .

ولقد جاء اكتشاف الفحم الحجري الذي يسمى بموجد السرعة باعثاً على جعل الانتقالات السريعة وتشييد معامل تصنع كميات هائلة من المواد - في حيز الامكان

ان الحياة الجديدة أصبحت مرتبطة باستحصال الفحم الحجري ارتباطاً محكماً ، وسيقف الدم الذي يجري في عروق البشرية حالاً عندما ينضب هذا الينبوع وتند جميع الكميات الموجودة من الفحم الحجري في العالم ، فإذا حدث اعتصاب طويل الأمد من قبل المدينين في انكلترا فان هذا الاعتصاب يكفي لأن يجعل جميع النهضة الاقتصادية والاجتماعية في تلك البلاد عرضة للخطر ، ان
(١٧- اختلال التوازن)

مكانة الفحم الحجري وخطورة أمره في حياة الشعوب المادية والمنوية
تسوغ لنا تخصيص فصل خاص له في هذا الكتاب
أى كان عنصر الثمن المعتبر اليوم فإن الجهود العلمية متجهة
نحو تزييد سرعة تقاسمه ، بل يمكننا أن نقول أن عمل السرعة هذا
يرمى الى إطالة أمد الحياة فيما اذا قبلت الكرامة التي سبق لي أن
جعلتها في قالب دستور عام في غير هذا المكان وهي كما يأتي : ان
أمد الحياة لا يتعلق بعدد الأيام بل يرتبط بتنوع المشاعر المتكاسمة
أثناء تلك الأيام



الْفِضْلُ الثَّلَاثُ

امر السب الظاهرة

عندما هلك جاك دي شابات مرشال فرنسة وزعيم الاقطاعية المسماة (لاباليس) أمام « بافيا » وذلك عام (١٥٢٥) خلف وراءه شهرة الجندي الباسل فقط ولم يترك وراءه شهرة الفيلسوف أبداً . الا أن أبناء الأجيال التي جاءت بعده قد جعلوا — وخدم — من هذا المحارب الشريف أبا لفلسفة تمتاز بكونها جاءت بحقائق لا جدال فيها ولم يشعر الناس الا نادراً بمحاجتهم للتدابيح في سبيل الدفاع عنها .

ان الحقائق المعروفة باسم (حقائق لاباليس) هي عبارة غالباً عن أهم الخلاصات التي تنطوي تحتها زبدة ما نلم به ويدخل في نطاق معرفتنا وأن المرء لا ينهب في ركوب متن الشطط بعيداً ولا تتجاوز مغالاته الحد عندما يؤكد بأن أعظم مراحل الرقي والتقدم التي اجتازها العلم عبارة عن استحالة بعض فرضيات لم تتأكد صحتها في بادئ الامر الى شكل حقائق من نوع حقائق

لا باليس أى الى شكل حقائق جلية طاهرة للعيان أتم ظهور . وقد سبق لى أن أبنت أن هناك مبدأ من المباديء الجوهرية في بحث الحرارة الديناميكية لم يهتد اليه الاخصائيون في علم الطبيعة (فيزيك) الا بعد ان استعملوا كل ما حياهم الله به من ثقافة وحنافة ووقفوا عليه كامل جهودهم مدة (٥٠) عاماً . أما هذا المبدأ فيمكن ارجاعه الى شكل حقيقة على نمط حقائق (لا باليس) بأن يقال أن النهر لا يصمد نحو منبعه .

والأمر على هذا النمط في كثير من العلوم . وقد أكد في المدة الأخيرة مرشال من أشهر رجال هذه الرتبة عندنا أن الحقائق الوحيدة التي تنفع في الحرب هي عبارة عن حقائق لا باليس ان نفس هذه الملاحظات تلاحظ في جملة علوم تبدو عليها سمات التساوة والجفاف في الظاهر وتعلم من المجلدات الضخمة عدداً غير قليل نظير علم الاقتصاد اذ أن هذا العلم يتضمن عدداً عظيماً من الحقائق على نمط حقائق لا باليس كما هو شأن المبدأ الذي يبني عليه أساس قاعدة العرض والطلب مثلاً فان أخطر طاهية تدركه جيداً عندما ترى أن سعر البيض الذي تبتاعه من السوق يزداد كلما تقدم البيض نحو الندرة .

وهكذا فإن أكثر النظريات الموضوعية في علم الاقتصاد تصبح بهذا الشكل البسيط حلماً بمجرد المرء عن الحجاب الكثيف الذي يسدله عليها المفسرون والمؤولون

ان الغرض من استهلال البحث بهذه التوطئة هو جعل القارىء على استعداد كاف عند البحث في شأن قضية من القضايا التي تزعزع اليوم من حياة الشعوب المالية الأركان ونفى بها قضية « السحب » أو « القطع » أو بعبارة أصح « الصرافة الصغرى (١) » فقد تراكت فوق هذه القضية شيئاً فشيئاً آصار وأحمال مشحونة بالأخطاء فندت برغم بساطتها الكلية من الحوادث والاعاجيب الغامضة وأصبح الناس يخالون أنها تتأثر بقوى سرية لا يمكن ادراكها او بمقاصد ونيات مظلمة لشردمة من القوميين أو المحميين المالكين

لتقبل أن فيلسوفاً سبق له أن تنقف بمقائيق لا باليس وتقنى بها أقدم على ايضاح قضية « السحب » وشرح غوامضها بالرغم من الحواجز المظلمة التي تختفي وراءها هذه القضية فكيف يتاح له أن ينصح في مسعاه .

(١) تزيد هذه الكلمات ما يقابل كلمة *Chang* الفرنسية

ان ذلك الفيلسوف اذا ما قام باختبار سريع بدون أن يستضيء
بانوار أحد من الاقتصاديين يستطيع أن يلاحظ بسهولة ان الخسارة
في « السحب » أي تناقص قوة ابتياع النقد تمحول حسب درجة
الثقة التي يظهرها الناس نحو البلاد التي هي مصدر ذلك النقد . فاذن
يجب علينا الكي نحصل في سويسرة أو في انكلترة على حاجة يبلغ
ثمنها في فرنسة مئة فرنك أن ندفع ثلاثمئة فرنك أي اذا كان الفرنك
قد فقد من قوة ابتياعه الاسمية الثلثين فهذا يدل على أن الثقة بقدرتنا
على الأداء أي ما يسونه بالاعتبار المالى قد تناقصت تناقصاً بيناً
ليس الا .

فالسحب عبارة اذن عن (ترمومتر) نفسى يقيس قوة المنتج
ازاء البلاد التي يبيعها بضاعته .

فيستنتج من هذا التعريف بوضوح أن الدستور القائل (بجعل
أسعار « السحب » ثابتة مستقرة) والذي تكرر اللفظ به أكثر من
مرة من قبل كثير من الاقتصاديين هو ضرب من ضروب المستحيلات
فالسعي حول جعل أسعار « السحب » ثابتة كالسعي حول جعل
الدرجة التي تبينها آلة من آلات القياس كالترموتر متلا ثابتة في
مكانها لا تتغير بتغير الظروف والاحوال .

اي الاسباب تعمل في تغيير تلك الثقة الي يدل عليها اهتزاز

السحب في ترمومتر الاسعار من صعوداً وهبوطاً ، اننا اذا ما اكدنا بأن النفقات الخاصة او نفقات احد اصحاب بيوتات الصناعة او نفقات الحكومة اذا بقيت مدة طويلة تر بوعلى الواردات فتما نكون بذلك قد ذكرنا حقيقة من حقائق لا باليس

اذا اضطر المديون للزيادة في عدد القروض لكي يتمكن من اداء الديون التي عليه فان الثقة تتناقص ايضاً بقدر تلك الزيادة .

عندما تكون الحكومة هي القائمة بهذه العملية فان القروض تأخذ اشكالا متبدلة من شأنها ان تخفي طبيعة تلك القروض وحقيقتها بعض الاخفاء . واكثر تلك الاسكال استعمالا هو الورق النقدي والورق المصرفي الاجباري التداول الذي لم يعين لادائه قديماً اى تاريخ اوزمن .

من الجلى ان مثل هذه الاوراق هي عبارة عن قروض ليس لها من ضمانه سوى الثقة بالحكومة المستدينة فلذا زادت هذه الحكومة في عدد اوراقها فان الثقة تتناقص شيئاً فشيئاً الى ان تصبح في النهاية كالمدم . فهذا الدور الاخير الذي هو آخر الادوار التي تمر على الاوراق النقدية في حياتها والذي لا مناص من الوصول اليه هو

الذي وصلت اليه النمسا والروسيا وبولونيا وامثالها . أن سقوط كامل قيمة الورق التقدي يدل بطبيعة الحال على زوال كامل الثقة انتي كان حائزاً عليها فيما سبق .

ان ترمومتر الثقة المبني على « السحب » حساس جدا . وهكذا فانك تراه في فرنسا يكابد سقوطاً اعتيافاً عندما يفوه النواب في قاعة البرلمان (وآيات العظمة والزهو مرتسمة على جباههم) بتصريحات تبعث على اساءة الظن

أما كون الصرافين (سبه كولاتور) يستغلون مثل هذه الظروف لكي يشددون حركة هذه « السحب » بشكل يضمن لهم بعض المنافع فهو من الامور التي لا مجال للشك فيها . ولكن تأثير هؤلاء الاشخاص هو دوماً محدود وفتى اى سريع الزوال . كما ان الاهتزازات التي تحدث في (منحني الثقة لا تقوى على تغيير الوجهة التي تسير فيها)

اننا نكابد اليوم آلام العواقب التي نتجت عن ذلك الدستور الضار القاتل (بان المانيا ستدفع) نقد دنانا الى انفاق مبالغ طائلة في البلاد المتخربة بلا جدوى . والغريب انه لم يخطر على بال احد وقتئذ عندها كانت المانيا تصدر من الاوراق المائيه كفيه لا يحصيها عد لكي تجرد المرء الورقى عن كل قيمة بأنها (اى المانيا) - تنجح

في التلصص من الدفع في حين انه ربما كان باستطاعة المسيو (دي لا باليس) ذاته ان يتنبأ عن ذلك سلفاً . لكن ساسقنا لم تجدتهم نفوسهم بشيء من هذا .

في عداد العوامل التي تسبب سقوط اسعار « السحب » والتي هي دوماً عبارة عن تناقص درجة الثقة يمكننا ان نذكر ايضاً كعامل في ذلك اختلال الموازنة التجارية اي اختلال النسبة بين كيتي الواردات والصادرات .

وقد قدمت البرازيل على هذا مثلاً من احسن الامثلة في هذا الباب . وذلك ان ما كانت تصدره الى اوربة اثناء الحرب كان يزداد بسرعة في حين ان ما كانت تستورده الى بلادها كان يتناقص في كل يوم . ولما كانت اوربة في حاجة وقتئذ لجملة اصناف من البضائع بالرغم عن انه لم يكن لديها ما تبيعه فقد غدت سيول الذهب تتدفق الى البرازيل وصعدت اسعار « السحب » فيها بسرعة كلية .

وعند ما وضعت الحرب أوزارها لم تكن أوربة في حاجة لا لبيع أى شيء من البرازيل . أما هذه فقد كانت بالعكس مضطرة لا لبيع كمية كبيرة من المواد من الخارج لكي تعوض الكميات الهائلة التي فقدت من عندها . وعندئذ أصبحت وارداتها تزداد كثيراً على صادراتها فلم تمض برهة وجيزة حتى هبطت أسعار « السحب »

عندها وسيستمر هذا الهبوط الى أن تزيد احتياجاتها لدرجة تكفي لتعويض الكميات التي تستوردها . على أن هذه البلاد قدر لها في الأصل أن تكون من الذكاء بحيث لا تفكر في إقامة العوائق الجمركية في طريق البضائع التي تستوردها من الخارج كما كان شأن كثير من الشعوب اللبية الأخرى .

عند ما تقدر كامل قوة الناس بقيمة العملة الصناعية كالورق النقدي مثلا تكون البلاد التي أصدرت هذا النقد الذي غدا عديم القيمة خالية الوفاض تماماً من الذهب أو الفضة هل يمكن القول آتئذ بأن تلك البلاد لا تملك شيئاً يطلق عليه اسم النقد ؟

كلا ان القول بذلك غير جائز في حال من الاحوال ولا أكون كثير الاعداء والتكرار اذا قلت مخالفاً لرأي بعض علماء الاقتصاد بأن الذهب هو عبارة عن بضاعة تماثل جميع أصناف البضائع الأخرى ويمكن استبدالها بأصناف كثيرة من البضائع الأخرى ولا شك بأن قتل بعض البضائع أقل سهولة من قتل الذهب والفضة لكن قوة ابتياع تلك البضائع تضاهي من حيث الشدة قوة ابتياعها

ان أي بضاعة يمكن الاتجار بها ككيس من القمح أو من الفحم الحجري مثلا هي اذن عبارة عن نقد لا فرق بينه وبين ذلك الوزن

المحدود من الذهب الذي يؤلف قطعة قيمتها (٢٠) فرنكاً لان مبادلة ذلك الكيس بكميات معينة من البضائع الأخرى ميسورة ولقد سبق لي أن ذكرت القارئ بأن الشعب الغني هو ذلك الشعب الذي توفرت لديه كمية من البضائع الميسورة المبادلة تزيد عن مقدار ما يستهلك . كما أن الشعب الفقير هو ذلك الذي لا يملك من البضائع التي هي على هذه الشاكلة كمية كافية والذي هو لذلك مجبر على الاستدانة من الشعوب الأخرى . وهو في ذلك الحال لا يستطيع أن يدفع للبائع ما يتوجب عليه دفعه له بصفة بضائع بل يدفع له ما في ذمته بصفة أوراق هي في الحقيقة عبارة عن بضاعة وعود غير أكيدة

كلما كان الشعب غنياً بالبضائع التي يمكن الاتجار بها تقصت حاجته للذهب أو للفضة . وإذا استعمل هذا الشعب الذهب أو السفائح [أي البوالص جمع بوليصه] أو الأوراق المصرفية أو التحاويل (شك) وما إليها في سبيل تسهيل أمر مبادلة البضائع فلا حرج عليه ولا بأس ان الثقة لا دخل لها في أمر مبادلة البضائع ببضائع أخرى . لأن المشتري يقتصر على معاوضة البضاعة ببضاعة أخرى تضاهيها من حيث القيمة أما مباشرة أو بطريقة غير مباشرة . فهو يدفع في الحقيقة قدماً وان يكون الذهب أو الفضة لا يتدخلان في العملية

ان التحولات التي تطرأ في كل يوم على قوة ابتياع العملة غدت تولد ارتباطات هائلة في انتظار تأسيس الموازنة التجارية في مختلف البلاد أي في انتظار تعادل ما تستورده البلاد مع ما تصدره

ان البلاد التي احتفظ النقد فيها بقيمته تضطرب أحياناً من جراء هذه الميزة اضطراباً قد يعادل اضطراب البلاد الأخرى التي هبطت قيمة أوراقها المالية هبوطاً كبيراً وعند ما تضطر لأن تدفع ثمن البضاعة في انكلترا أو في أميركا ثلاثة أضعاف قيمتها بسبب هبوط أسعار « السحب » عندنا فكأن انكلترا أو أميركا قد زادت في أسعار مبيع البضائع ثلاثة أضعاف

ولما كان هذا الترفع الصناعي في الأسعار يجعل المبيع عسراً بطبيعة الحال فإن عدداً كبيراً من المعامل الأجنبية تضطر لإغلاق أبوابها.

وإذا كانت البلاد التي لم يهبط سعر النقد فيها لا تستطيع إصدار ما تفتحه بسهولة فإنها تبتلع كثيراً إذا استوردت من الخارج لأنها لا تدفع فضل هبوط الأسعار « السحب » في الخارج سوى ثلث أو نصف ثمن الحاجة الأصلي وهكذا فإن انكلترا تمكنت في المدة الأخيرة من الحصول على كميات حسيمة من السكر من فرنسا بسعر يقل كثيراً عن سعر السكر في انكلترا ذاتها. وكذلك استطاع أيضاً بعض الأجانب في فرنسا وفي ألمانيا أن يحصلوا على عقارات وبعض معامل ذات شأن مقابل ثلث قيمتها الأصلية

ان (الانكاسات) التي تنشأ عن اختلاف قوة ابتياع النقد الواحد في بلاد مختلفة لا تؤثر على التجارة فقط بل على جميع العلاقات المتبادلة بين الشعوب. لنفرض أن فرنسياً يسوح في ايطاليا وفي سويسرة قد أقام في لوكندات تتناول عن الشخص (٣٠) فرنكا في اليوم الواحد . فهذا السائح عليه أن يدفع في لوكندات متعادلة ما يعادل عشرة فرنكات يومية في ايطاليا وستين فرنكا في سويسرة لاختلاف أسعار « السحب » ولهذا السبب ذاته يعادل ثمن الحاجة التي تباع في فرنسة بعشرين فرنكا (١٠) فرنكات في ايطاليا و (٦٠) فرنكا في كل من سويسرة وانكلترا واميركا

ان من النتائج التي تستخلص مما سبق هي أن جميع السداد التي هبطت أسعار النقد فيها تحصل على نفع من وراء الاصدار لا من وراء الاستيراد . أما البلاد التي لم يهبط سعر النقد فيها فاتها فنتفع على العكس من ذلك من الاستيراد لا من الاصدار

ومما يؤسف له أن هاتين العمليتين: الاستيراد والاصدار تتمين واحدهما الاخرى . ولهذا لا يمكن أن تنفصلا عن بعضهما . فالشعب الذي يقتصر على الاصدار أو على الاستيراد سرعان ما يلحق به الافلاس والخراب

و يرجع السبب في ذلك بوجه خاص الى أن الموازنة بين

الواردات والصادرات لم يبق لها أثر عند أكثر الشعوب بسبب انخلل والتشويش اللذين أصبحا في الامور المالية عامين فبعض الشعوب لا تستطيع الاصدار بكية كافية لان قيمة بضائعها زادت عما كانت عليه ثلاثة اضعاف وذلك بسبب الخسارة التي لحقتها من وراء «السحب» والبعض الآخر لا يستطيع الاستيراد لا لسبب آخر غير هذا الارتفاع الذي حدث في الاسعار

كيف ستتهي حالة مثل هذه ؟ ولقد زادها جماعة الاقتصاديين قتناً وظلاماً ، اذ أخذوا يهزمون ويهرفون حول جعل قيمة المارك ثابتة لا تتغير أو اصدار كمية لا يحصيها عد من الاوراق المالية ومع ذلك فيخيل الي أنهم اذا ما أمعنوا النظر قليلا فيما يقولون وتبصروا في الامر بعض التبصر يتضح لهم بسرعة كلية أنه لما كانت مبادلة البضائع ببضائع أخرى غيرها ميسورة فإن قضايا النقد تقدر كل مالها من أهمية وخطورة حلما تصبح كميات البضائع التي هي برسم المبادلة من الوفرة بحيث تكفي لتأسيس الموازنة بين الكميات المنتجة والكميات المستهلكة وعندئذ لا يبدو النقد الاعتباري سوي علامة أو اشارة اتقاقية أو اصطلاحية نظير تحويل (شك) أو ما يسمى (بالقبوضة) التي هي عبارة عن كتابة اقرارية بوصول مبلغ ومن الجلي أنني لو أرسلت الي أحد التجار الاحانب مثلا بعض الكميات من الحديد برسم مبادلتها بكميات تعادلها من القمح حسب أسعار السوق

في العالم فان كل عملية من عمليات « السحب » تزول اذ ذلك وتفقد ولا يبقى لها من أثر

ليس أمر الأوراق النقدية وتبدلات أسعار « السحب » التي نبحت عنها من الأمور المستجدة التي ظهرت لعالم الوجود في هذا الجيل فقط بل لقد كان لفراصة أيام الثورة الفرنسية الكبرى أوراق تسمى (آسسينيا) تاريخها معلوم لدى الجميع

ولقد استعملت الأوراق النقدية من قبل الحكومة البريطانية أيضا عند ما كانت تحارب نابوليون ، ودام التداول بالأوراق التي أصدرها « مصرف انكلترة » جبريامند شباط عام (١٧٩٧) حتى أيار عام (١٨٢١) أي مدة (٢٤) سنة

وهكذا تمكن الانكاييز من الحصول على السعة المالية التي تتطلبها القضاء على سلطة نابوليون وتحطيمها ، أما أوراقهم هذه فانها لم تقعد من قيمتها المعدنية أكثر من (٢٥) بالمئة أبداً ، ولقد فقدت من قيمتها اثنين بالمئة فقط عام (١٨١٧)

ولقد استعملت الأوراق النقدية اميركا أيضا وذلك في حربها التي ناضلت فيها في سبيل التحرر من رق العبودية

ودوام تداولها اجباريا من سنة (١٨٦٢) حتى عام (١٨٧٩)

وقد فقدت تلك الأوراق في السنين الأولى (٥٠ في المائة) من قيمتها المعدنية ، ولما انتهت الحرب زال هذا الهبوط بعض الزوال بسرعة بل لقد زال تماماً قبل إلغاء قانون التداول الجبري

كيف نجح الانكايز والأميريكون في استبقاء سعر الأوراق النقدية التي أصدروها معادلاً قيمتها الأصلية ؟ ان نجاح تجارهم الذي أعاد الثقة هو الذي أفضى الى هذه النتيجة ليس إلا

ان هذه الأمثلة تثبت أن تبدل أسعار « السحب » الذي غدا يضغط كثيراً على أسعار الميشة في الوقت الحاضر - مرتبط ارتباطاً وثيقاً بأمر إصلاح الحالة الاقتصادية في أوربة وإعادتها الى ما كانت عليه في الزمن السابق . ولا نكون كثيري الاعداء والكرار اذا قلنا أن هذا الإصلاح يمكن ارجاعه الى هاتين النقطتين : (١) الانتاج بأسعار تساعد على بيع البضائع التي هي أهل للأصدار (٢) زيادة إنتاج المواد الزراعية التي هي عبارة عن قدونه جميع أنواع النقد إن لم يكن في بلاد كثيرة ففي فرنسا على الأقل . وإذ ذاك تستطيع الشعوب أن تؤسس الموازنة بين الكميات التي تستوردها من الخارج وبين الكميات التي تنفقها فتنتهي الفوضى المالية حالا وتغدو أترأ بعد عين

ان الأربعة عشر مؤتمراً التي انعقدت بالتتابع مدة أربعة أعوام
في سبيل إيجاد طرائق أخرى لحل هذه القضية قد بقيت عاجزة .
فلقد أنفق المؤتمرون في هذه المؤتمرات كثيراً من (الفصاحة) ونزراً
بسيراً جداً من (العلم) وأقل منه أيضاً من (العقل الرشيد الراجح)



الفصل الرابع

كيف يمكنه تحويل الدين مع مرور الزمن

بين الأوهام التي استهدفت لأضرارها الشعوب الحالية يمكننا أن نذكر الأوهام المختصة بجسامة مبلغ الدين الألماني .

أن تحديد المبلغ الصحيح لهذا الدين عسر وصعب لأنه يمكن أن يتحول ضمن نسب عظيمة وذلك حسب طرائق الدفع والتباطيء بالدفع وما إلى ذلك . ولقد أتينا فيما يلي على بعض حسابات من شأنها أن تبين مبلغ جسامة هذه الفوارق والاختلافات . ولكي نعمد إلى البيان بأجلى ما يمكن نقول : لنقبل أن دين المانيا الذي تم تحديده مبلغه في آخر الأمر وجعل (١٣٢) ملياراً هو مئة مليار فقط بقائمة (٥) في المئة ولنفحص ما يمكن أن يصير اليه مبلغ هذا الدين باختلاف آجال الدفع .

ولذلك لنفرض أن المانيا تسدق كل عام ملياراً واحداً فقط من أصل دينها وتر بطريقتة الأرقام (!! اثرية) كيف يزداد مبلغ دينها .

أن هناك دستوراً يعرفه الجميع تقريباً يبين أن الدين الذي يبلغ مئة مليار يصبح كنية بعد مضي ١٠ أعوام (١٥٠) ملياراً و (٣١٢) مليوناً . وبعد مرور (٢٠) سنة يتدو مساوياً ل (٢٣٢) ملياراً و (٢٦٤) مليوناً وبعد (٣٠) سنة يسمى معادلاً ل (٣٦٥) ملياراً و (٧٥٥) مليوناً ثم بعد (٤٠) سنة يصل إلى (٥٨٣) ملياراً و (٢٠٠) مليوناً ، وبعد (٥٠) سنة يبلغ (٣٩٧) ملياراً و (٣٩٢) مليوناً .

وعلى ذلك فإن مبلغ الدين يزداد عشرة أضعاف تقريباً بمضي (٥٠) عاماً ويرتفع إلى رقم لواجتمعت جميع خزائن العالم لما استطاعت عندئذ تسديده .

والآن لنفرض ان المانيا أرادت أن تسد دينها الاصلى البالغ مئة مليار والذي تبلغ فائدته ٥ في المئة فيتوجب عليها أن تدفع خمسة مليارات و (٤٧٧) مليوناً في كل عام

وإذا فرضنا أن هذا الدين لا فائدة عليه فيكفي حينئذ أن تدفع مليارين سنوياً مدة (٥٠) عاماً لكي تسده على الكامل .

ولنشر هنا الى ملاحظة هي من الاهمية بمكان وذلك أن جميع مطالب المانيا المتعلقة بتأجيل موعد الدفع اذا تحققت تفضى الى

نقص قيمة دينها الحقيقية اتقاصاً كبيراً بسبب الضياع الذي ينتج عن (العوبة) « الفوائد المركبة » .

وفي الحقيقة أن قيمة مبلغ يعادل ملياراً واحداً في الزمن الراهن ليست سوى (٥٨٤) مليوناً و (٦٧٩٠٠٠) فرنك إذا كان هذا المليار سيدفع بعد (١١) سنة . وبتأخير دفعه (٢٠) سنة تسقط قيمته الحالية الى (٣٧٧) مليوناً ثم الى (٨٧) مليوناً فقط إذا كان موعد الدفع قد جمل بعد ٥٠ عاماً . وإذا كان موعد الدفع قد تأجل لبعد أربعة قرون تتدنى قيمة المليار الحالية الى ثلاثة فرنكات فقط .

فهذا التناقض الذي طرأ على دين قدره الف مليون فرنك فجعله يصبح عبارة عن ثلاثة فرنكات لهومن أحسن الامثلة التي تبين الدور الذي يلعبه الزمن في الشؤون المالية . فبفضل وساطة الزمن يقسو من الممكن أن تنقص قيمة مبلغ من المبالغ ضمن نسب جسيمة او ان تزيد على العكس من ذلك تزايداً لا نهاية له . ولقد حسب مبلغ ما يصير اليه فرنك واحد جرى عليه حساب (الفائدة المركبة) منذ أيام يسوع المسيح حتى اليوم فوجد ان قيمته تفدو معادلة لقيمة كرة من الذهب يزيد حجمها عن حجم الكرة الارضية

وهكذا فانه بفضل هذا التأثير الذي يفعله الزمن يستطيع المرء أن يحصل على عقار تزيد قيمته كثيراً على سعة المشتري المالية في

الوقت الحاضر ، ان الدين يمكن أن يسدد بسرعة كلية بواسطة أقساط سنوية ضئيلة المقدار فيما إذا استمر الدفع بدون انقطاع ، وتستند إحدى بيوتاتنا المالية المعروفة باسم (الكردي فونسيه) على هذا المبدأ في معاملاتها

ولما كانت الحياة الذاتية قصيرة الاجل جداً ، فان مبلغ القسط السنوى يزداد اضطراراً كلما كان تسديد الدين يجب أن يتم بأكثر سرعة ، أما اذا كان المستدين جماعة وحياة الجماعة أبدية لا يلحقها العدم من الوجهة النظرية فان مبلغ القسط السنوى يمكن أن يصبح ضئيلاً بقدر ما يراد ولهذا السبب استطاعت الحكومات أن تستدين مبالغ جسيمة وأن تسدها بسهولة ، وكل ما هناك أن تلك الحكومات كانت تعتمد الى جعل موعد تسديد المبالغ التي لا يمكن تسديدها فوراً — بعيداً جداً

ان الأرقام التي أتينا على ذكرها أعلاه تبين من الوجهة النظرية جسامه الديون التي تراكم على المانيا من جراء أقل تأخير في تسديد ما عليها . ويجب على المرء أن يستسلم للاوهام استسلاماً لا يتخيله عقل لكي لا يرى مبلغ ما هو مستحيل امكان الحصول على مثل تلك المبالغ من المانيا

ومع ذلك فاننا افترضنا في حساباتنا السالفة أن الدين يبلغ مئة مليار بينما المبلغ الذي قبل في الوقت الحاضر يعادل (١٣٢) ملياراً وقد كان مبلغ الدين الالماني في أول الامر أعظم من هذا المبلغ بكثير : ثم انقص المبلغ المذكور المرة تلو المرة بتأثير تضيق الحكومة الانكليزية وضغطها .

وإذا كانت فرنسا تحنق على انكاثرة فلأن هذه اضطرتها لأتقاص مبلغ الدين الجرمانى . ففي أول الامر تقرر أن يكون مبلغ الدين عبارة عن (٢٥٩) مليار مارك وذلك في (بولونيا) ثم تقرر في (مؤتمر باريس) الذي عقد عام (١٩٢١) أن يجعل (٢٢٦) ملياراً على أن تدفع في خلال (٤٢) سنة وبعدها أنزل الى مبلغ (١٣٢) ملياراً على أثر مؤتمر الذي عقد في لندرة وفي هذه المرة أيضاً وبعد انعقاد مؤتمر لندرة أنقص المبلغ أيضاً وجعل (١٣٢) ملياراً أما الدفع فقد قسم في هذه المرة أيضاً كما هو الحال في كل مرة - على أقساط سنوية

ان رجال الحكومة الانكليزية الذين سببوا هذا الانقاص لتوالي أخطاؤا في الحقيقة خطأ عظيماً بانارة سخط حليفة قوية لاجل بعض أرقام كان يجب أن لا يخفى عليهم ادراك الوجهة الخيالية فيها فهل كانوا يظنون حقيقة أن شعباً يعد (٦٠) مليون نسمة يمكن أن يدفع للدين غالبوه غرامة سنوية باهظة مدة نصف قرن؟ والمسئور

« اسكويث » وزير البيطاني الاول سابقاً في هذا الصدد آراء لا
يجال للحدال : سدادها وقد أتينا على ذكرها فيما يلي :

قال الاز .

« ان ا سوررن أن باستطاعة تلك (الحفنة) من الرجال
المالين في ا : حول اموائد مهما أوتوا من المعرفة والفظنة ومهما
لمنوا من ا - . ياسية - أن تتنبأ عما سيحدث في صدد دفع
الموجبات . لأن حتى مضى عشرين أو ثلاثين أو أربعين سنة
ان : بنهابهم دما المذهب أنهم شربوا كأس السداجة وسرعة
ء دبو حتى المائة كما أنهم يبرهنون على نقص في قوة التفكير
را : ، والسداجة ونقص التفكير من العيوب التي لا تشرف رجال
كربات ، في الزمن الراهن » اه

الذي يجب معرفته هنا هو أنه لا فائدة من التنقيب عن النتائج
التي ترد على مختلف الشعوب الاوربية اذا دفعت المانيا ما عليها
من مال التعويض ما دامت (أي المانيا) قد تملصت من كل ما من
شأنه أن يجعل دفع مثل هذه التعويضات ممكناً باصدارها عدداً من
الأوراق المصرفية كفت وورته لجعل قيمة هذه الأوراق قريبة من
لصفر . ولقد رأينا في غير هذا الفصل على أي الشعوب مستقر في الحقيقة
نققات الحرب

الفضل الجليل

اسباب غرور المعية

يتصور جمهور الناس أن الحوادث تنشأ دوماً عن سبب واحد فقط ولا أهمية في نظره كثيراً لأن يكون هذا السبب صحيحاً حقيقياً بل يكفي أن يكون بسيطاً . ان الحوادث التي نشعر بها مرتبطة ببعضها ارتباط حلقات السلسلة فهذا الارتباط الذي هو على غاية من الاشتباك والتعقد ليس من الأمور التي يسهل سبر غورها على الجماعات ، بل أن المسترعين الذين يسرون في هذه الحياة منقادين لعواطف الجماعات ومشاعرها ليس سبر غور هذا الارتباط بأسهل عليهم من الجماعات ذاتها

ان الافكار البسيطة التي تملأ أدمغة جمهور الناس تدفعهم الى تطلب طرق ابتداءية لحل أعوص القضايا وأصعبها . عندما تزداد أثمان البضائع والمحاحيات أو أسعار أجور السكن هل يوجد - في الظاهر - أسهل من معالجة هذا الأمر بوضع (تعريف) خاصة تحدد تلك الأسعار ؟ لقد أظهر عدد كبير من التجارب أن النتيجة التي

كان يحصل عليها من وراء تطبيق هذه الطريقة كانت تأتي مخالفة تماماً للفرض الذي كان الأمل معقوداً عليه ؛ ولكن التجربة قلماً تشترك مع العناصر التي من شأنها إقناع الشعوب وإلقاء الحقائق في عقول أفرادها

فلكي يصنعى الناس لفكرة من الأفكار البسيطة ويقبلون بها يكفي أن تكون هذه الفكرة مشحونة بالآمال، ملأى بها في البلاد التي يسود فيها الرأي على غير هدى تحصل الأفكار البسيطة بسرعة مهما كانت مخالفة للصواب على قوة يبلغ من شأنها أن الحكومات ذاتها تصبح عاجزة عن تدليلها والتغلب عليها، فتخرج من مناوشتها بخفي حنين ويتولد لها عن هذه المناوشات ضعف كبير جداً ومن حيث النتيجة تصبح المناهج التي تسير عليها الحكومات عرضة لتغيير وتبدل مستمرين

ان دراسة وجيزة لقضية غلاء المعيشة من شأنها أن تؤيد ما جاء في الجمل السالفة عن خطر الأفكار البسيطة يتخيل جمهور الناس بل وبعض الذين نالوا قسطاً من الثقافة أيضاً أن غلاء المعيشة يرجع الى أسباب بسيطة كجشع « الوسطاء » مثلاً ، وبلغ تمكن هذا الاعتقاد في الأذهان حيناً من الدهر حدّاً

جعل جمعية تضامن العمل العامة تقرر القيام باضراب عام لسكي تجبير
الحكومة علي اتخاذ العقوبات الصارمة نحو التجار

في حين أن هذه القضية التي يبدو حلها للمقول القليلة التأمل
والتبصر على غاية من البساطة هي بالعكس على غاية من التعقد
والاشتباك وسيحكم القراء في هذه القضية عند ما يطالعون أسبابها
الرئيسية التي أتينا على تعديلها فيما يلي :

« تأثير مطالب المنتج وادعائه » : — ان ارتفاع الأجور
وازديد الأرباح التجارية زمن الحرب قد زاد بوجه خاص في عدد
وسائط الأبتياح التي يتمكن بها المستهلكون من الحصول على ما يريدون
فجعلهم أكثر قدرة على الأبتياح من ذي قبل بينا الإنتاج يتناقص
ويقول ، و بسبب قانون العرض والطلب الذي لا يمكن أن ياحقه فناء
أو تزعة رأي التحار أن ينتفعوا من ازدياد سعة زبائنهم المالية
فزادوا في أثمان البضائع وما إليها

ولسكي تقرر الحقائق في الأذهان بمثال على غاية من الجلاء
والموضح لنفرض أن هناك جزيرة محمية من كل تدخل أجنبي بواسطة
حواجز جمركية شديدة تقارب شدتها درجة المنع البات ، وفي هذه
الجزيرة سوق من قبيل الأسواق الأسبوعية يرد اليه أسبوعيا مئة
أرب بينا عدد المشترين يبلغ المئتين

فبسبب قانون العرض والطلب الذي أُلغنا إليه في الأسطر
السالفة والذي هو قانون لا يقهر ولا يباد يزداد سعر الأرناب التي هي
عبارة عن البضاعة المعروضة ارتفاعاً إلى أن يسقط من عدد الطالبين وهم
(٢٠٠) مئة شخص لا تعود سعتهم المالية تساعدهم على الابتياح
بالسعر الذي وصل إليه ثمن الأرناب

فيقوم هؤلاء المئة الدين أغضبهم اخفاقهم في الحصول على
الأرناب بأضراب لكي يحصلوا على زيادة في الأجور التي يتقاضونها
تساعدهم أيضاً على ابتياح الأرناب

فلما يحصلون على مبتغاهم ويفوزون بالزيادة التي طلبوها يعودون
إلى السوق عندما تفتح في الأسبوع التالي بأمل أن يحصلوا على
الأرناب المبتغاة ، لكنه لما كان يجب دوماً أن يسقط من عدد
المشترين مئة بالنظر لأن السوق لا تستورد في كل أسبوع سوى مئة
أرناب فقط - فان السعر يصعد في هذه المرة أيضاً ويزداد صعوداً إلى
أن يصل إلى حد لا يستطيع معه ابتياح الحيوان المبتغى سوى مئة شخص
فقط ، فهذه النتيجة تظل في كل مرة علي ما هي فلا تتبدل ولا تتغير
مهما ارتفعت أجور التواقين إلى الحصول على أرناب

وعند ما يصل ثمن الأرناب إلى حد لا يقوى على احتماله أحد من

جراء المنافسة التي يقوم بها المشترون يفضب الجمهور ويطلب وساطة
الحكومة

أما هذه فلما كانت لاستانس كثيراً بقوانين العرض والطلب
ولم تتقور وابط الألفة بينها وبين تلك القوانين فاتها تضع (تعريفة)
تحدد بها السعر لأقصى الذي يجب أن لا يتعداه باعة الأرناب

أما نتيجة هذه الطريقة فن ظهورها آتي اذا انها في الأصل
مخالفة للغاية المبتغاة على خط مستقيم، وهكذا فلا تكاد (التعريفة)
تعلن رسمياً حتى ترى المثة أرناب التي تعرض أسبوعياً قد اختفت
من السوق وقلت الى « المحباً » الكائن في مؤخر الحانوت وهناك
تباع بأسعار باهظة تزيد عن الأسعار السالفة أيضاً ويبرر هذه الزيادة
الفاحشة ما يتعرض له الباعة من أخطار المطاردة

ليس هذا المثل خيالياً كما يمكن أن يظن بل هو أبعد ما يكون
هن الخيال فهو يلخص الحوادث التي يتكرر وقوعها آلاف المرات منذ
أوائل الحرب والتي لم تقتف مع ذلك أحداً ولم يمتد بها فرد من الأفراد،
ان القوانين الحايطة الموضوعية بذن انتخمين التحاري المحالف للحق
والنظام وبشأن أهور السكن وما اليها تدل على أن رجال التشريع
عندما يواجهون بعض الحوادث الاقتصادية لا يدركون من كمنها شيئاً
ويكاد عدم فهمهم لها أن يكون تاماً

قانون الثماني ساعات : لما كان الانتاج لم يعد كافيًا في جميع الجهات وبما أنه أصبح من الضروري أن تبذل المساعي لتزييده وانما هو قام الاشتراكيون فعملوا الحكومات على قبول القانون الذي تحظر مواده تشغيل العمال أكثر من ثماني ساعات في اليوم . فكان من نتائج هذا القانون المباشرة أن زادت أسعار المعيشة ازدياداً قحشاً وأنرى باعة الخور فاصبحوا من ذوى الثروات الطائلة

ولقد كان لهذا القانون المحرّب نتائج أخرى أيضاً فقد اضطرت السكك الحديدية والسفن التجارية أن تضاعف عدد مستخدميها وازدادت أجور النقل لهذا السبب ازدياداً جسيماً وبلغ الازدياد حدّاً اضطر ولاية الامور لأن يستثنوا عمال الشحن البحري من التمتع بقانون الثماني ساعات عند ما رأوا أن تجارتنا البحرية قد فنيت على الكامل من جراء المنافسة الاجنبية

تهدم مبدأ الايتاتيزم وازدياد الفساد في الشؤون الادارية : -
ان تهدم مبدأ الايتاتيزم تحت ضغط الاشتراكيين وازدياد الارتباك الادارى الذي نجم عن تهدم ذلك المبدأ قد أوجبا انفاق مبالغ جسيمة فعدت الحكومة مجبرة على وضع ضرائب جديدة ونشأ عن ذلك من حيث النتيجة ازدياد أسعار المعيشة

ينتسب عندنا لبعض وزارات مستقلة عن بعضها عدداً بخصيه

عد من الموظفين . لكن التفاهم بينهم لم يتم في يوم من الأيام . فبدون اتحاد هؤلاء الموظفين في العمل لا شك بأن اتحاد أقل تدبير في بلادنا هذه غير ممكن . اذا كانت المراكب التي جعلت ملكا للحكومة تسافر من (بيزرت) الى فرنسا وهي خالية بينما تتفنن في جانبها جبال وتلال من الحبوب كما معنا الى ذلك بموجب تقرير قدم الى مجلس النواب فاذلك الا لأن الموظفين الذين يعطون للمراكب الامر بالسفر لا يوجد بينهم وبين الموظفين الذين يستطيعون اعطاء الامر بتحميل تلك المراكب أي علاقة أو ارتباط

كتب السيوج (ج . بوردون) مرة يقول :

« لا توجد هناك وحدة في المناهج ولا أثر للانتظام في الوسائط الاجرائية . فالوزارات والمصالح أي الادارات يتناول بعضها على بعض . أما الاختلاط والتشبيك بينها فعلى أشدها وبين كل آونة وأخرى تصادم وتلاطم وكل منها تشل حركة الأخرى وتعرقل أعمالها ومساعدتها . ولئن كان الأشخاص الموجودون على رأس المصالح من ذوي الطوية السليمة والنية الخالصة قاتم قلدوا وظائف لا تلتئم مع اختصاصهم ولا تتطابق ، وهم في عراش ونضال مع مباراة المصالح المنافسة لهم ومزاحمتها كما أنهم ينالون أضرار وشايات الموظفين الذين ينقادون لآراء وأفكار تخاف الآراء والافكار التي

يسرون عليها فيسعون بهم عند ولاة الامور، اضعف الى هذا تشوه صورة الكفاءات في سلم المراتب والدرجات . والالغاء الذي أخذ يصيب الأوامر من جراء أوامر مخالفة لها ، وتعاكس هذه بدورها مع آراء بعض ذوى السلطات وغدوها عرضة لانتقاداتهم واعتراضاتهم وتراكم البلاغات والمناشير التي يناقض بعضها بعضا ، وامتناع الموظفين الذين تتعلق هذه البلاغات بهم حتى عن تكليف انفسهم عناء قراءتها والاطلاع على ما تحويه . ولهذا ترى أنه لا يزال علينا أن نفتش ونتقّب عن أسرار هذه الادارة . » اهـ

وبالرغم من أن الامور بالغة من الاتضاح والجللاء أقصى حد فاننا لا نزال نتمسك بالطرائق التي تتبعها . أن السير على طريقة جعل كل شيء بيد الحكومة لا بد من ان يقود جميع البلاد التي لا تعرف كيف تخلص من اتباع تلك الطريقة الى الدمار وخراب الديار . ولقد ألف المسيو (غستون جابي) وهو من أعضاء مجلس الشيوخ كتاباً جمع فيه عدداً كبيراً من الوثائق والمستندات، وتعرض في مؤلفه للبحث في شأن القضية التي نحن في صدد الكلام عليها فأتى بالارقام التالية فكانت من البيانات التي لا تقبل المعارضة قال المؤلف المذكور :

كانت خزينة السكك الحديدية التابعة للحكومة عام (١٩٢٢)

تحت عجز يبلغ (٤٣٠) مليوناً. أما استثمار الاسطول التجاري الذي جعل ملكاً للحكومة فكان يأتي بما يبادل (٣٠٠) مليوناً وأما حصر الدخان فيعود على خزينة الحكومة بمبلغ يقرب من ثلث مبلغ الرسوم التي تتقاضاها انكلترة عن الدخان بالرغم من ان الادارة في بلاد الانكلترا تتعاطى صنع هذا الصنف .

اصدار عدد محدود من الاوراق المالية وارتفاع الاجور : -
لقد درسنا في الاسطر السابقة منشأ طريقة تكثير عدد الاوراق المالية الجبرية التداول تكثيراً مفرطاً . فلهذه الطريقة نتائج مختلفة سنحت لي فرصة التدقيق فيها مراراً مختلفة في هذا الكتاب . أما هنا فاني لن أتكلم سوى عن تأثيرها في غلاء المعيشة
فمن النتائج الأولية لهذه الطريقة أي طريقة اصدار عدد غير محدود من الاوراق المالية كونها جاءت مساعدة على انهاض رواتب المستخدمين وموظفي السكك الحديدية (١) وجميع العمال

(١) كان العامل في السكك الحديدية يتناول قبل الحرب (١٨٠٠) فرنكا فاصبح الان يتقاضى (٦٠٠٠) فرنك ويستريح شهرين في العام وبشتغل ثمان ساعات في اليوم ويحمال على الماش في ال (٥٥) من سني حياته أما النفقات التي تكبدها الشركات سنوياً على الموظفين فبعد أن كانت تصادل (٧٥٠) مليوناً ارتفعت اليوم حتى غدت تساوي ثلاثة مليارات . فتتج عن ذلك أن الشركات غدت اليوم تحت عجز يبلغ أربعة مليارات ويظن أهل الخبرة أن مبلغ هذا العجز سيزيد مليارين تقريباً بعد برهة وجيزة . وفي هذا سيرسبح نحو الافلاس

فنتج عن هذا أنه أصبح بإمكانهم أن يزيدوا في نفقاتهم بينما
الواجب يقضى عليهم بأن يخفضوها بالنظر لعدم كفاية المحاصيل في
كل مكان

ان الاستمرار على إصدار عدد غير محدود من الأوراق المالية
كان من شأنه أن يقلل الثقة بأوراقنا المصرفية في الخارج بسرعة كلية
ففي انكلترا وأميركا وسويسرا لا يقبل الفرنك أبداً الا بما يعادل
ثلث قيمته الأصلية تقريباً

نتائج غلاء المعيشة : — ان نتائج غلاء المعيشة أكثر من
أن يمكن تمديدها هنا ، فبعض هذه النتائج بعيد المدى ، كتناقص
عدد المواليد ، وبعضها آتى كتناقص صفات عدد كبير من الأشياء
المصنوعة وغدوها أبسط مما كانت عليه

ولما كانت مراعاة الاتقان والجودة في صنع الأشياء غدت تكلف
نفقات كبيرة وأصبحت سعة كثير من المشتريين المالية محدودة إذ
غدا يحيط بمحديثي النقى جيش من المقتريين حديثنا قام على إقراض
جماعة الطبقة الوسطى قديماً — فقد أمسى من المتحتم على أصحاب
العامل أن يجعلوا مصنوعاتهم أبسط مما كانت عليهم وأن يقللوا كثيراً
من عنايتهم باتقانها واختيار الجيد من مواردها الأولية لكي
(١٤م - اختلال التوازن)

يتمكنوا من تخفيض أسعار المبيع، أما فيما يتعلق بصنف الثياب وأدوات المفروشات (موبيليا) فإن اتباع البساطة في صنعها واطصاص الصفات الكاليمنها قد بلغ حدا سيؤول بعد برهة وجيزة الى جعل اصدارها الى الخارج مستحيلا

قيمة الوسائط التي اقترحت لمعالجة قضية غلاء المعيشة ان الاخفاق الكامل الذي لقيته الوسائط التي جربت لمعالجة غلاء المعيشة تثبت اثباتاً كافياً الى اى حد وصل اغفال بعض القوانين الاقتصادية الاساسية. ويستطيع رجال التشريع عندنا أن يتحققوا في كل يوم أن القوانين التي تنقاد اليها الامور في سيرها وتقلبها متسلطة على كامل نياتهم وأغراضهم

ان الوسائل القانونية التي جربت لمعالجة غلاء المعيشة هي الآتية (١) إنباض مبالغ الأجرور . (٢) وضع (تعريفات) لتحديد أسعار البضائع (٣) أخذ العقوبات الصارمة ضد المضاربين والتجار . لكن جميع هذه الوسائل التي عولجت بها قضية غلاء المعيشة لم يكن من ورائها الا وقوع بعض الازدياد في الغلاء . أما تحليل حدوث هذه النتيجة المنعكوسة فنه سهل ميسور .

أما فيما يتعلق بإنهاض أجزور العمل فقد أبنت قبل اسطر أن هذا الانهاض مهما كان مقداره لا يأتي بنتيجة أخرى غير انهاض

أسعار البضائع أيضاً . ولقد بلغ من دعم التجربة لهذا الزعم وتأييدها لصحته ان غدا الاسهاب في شأنه عديم الجسوى والززوم .
أما (التسعير) الذي لا يفتأ يلجأ اليه بعض المشترعين الذين هم في الحقيقة ذوي أفكار لم تسنر كثيراً فإنه يعود على غلاء المعيشة بالتأثير نفسه الذي ينجم عن إتهاض أجور العمال . فهو يرفع الأسعار ولا يخفضها أبداً .

ولو كانت التجربة ، لامطالب ذلك ان رأي العام الأعمى هي التي تقود رجال التشريع عندنا في معارج الطرق إذن لتذكروا أن مجلس الثورة الفرنسية بعد أن جرب هو أيضاً طريقة تحديد الأسعار عاد فعدل عنها واعترف أمام الملأ بخطئه .

أما الوساطة الثالثة لمعالجة غلاء المعيشة أي اتخاذ العقوبات الصارمة نحو الباعة الذين يبيعون بآثمان فحشة ، فهي متمادية في الخيال أكثر من الواسطتين السالفتين . فلقد تعرت في الحقيقة (كما أبنيت ذلك فياسلف بمثال صريح محكم) بأذيل ذلك القانون الأبدي قانون العرض والطلب الذي يعين أثمان الأشياء بمعدل عن تدخل المشترعين وتوسطهم .

أما فيما يختص بالقوانين التي فكر ولاية الأمور بتطبيقها على

عبئة الربح من التجار قتها جميعاً لا تستطيع أبداً تخفيض سنتيم واحد من أسعار سلعة من السلع لا في زمن الحرب ولا فيما بعد الحرب . وكان الباعة يعرضون للبيع كمية قليلة من السلع (المسعرة) لكي يتظاهروا بالأذعان للأُنظمة والقوانين . أما تلك الكمية فقد كانوا يقسمونها على الطالبين فيعطون كلا منهم ندرأً يسيراً بعد انتظار كان يدوم ساعات طوال أمام دكاكين الباعة . أما الشطر الأوفر من السلع فقد كان يباع بعدئذ في طي الخفاء للزبائن الذين ترقضى نفوسهم الحصول عليها لسعر يزيد عن السعر المحدد .

وأما من خصوص القوانين الجديدة وبخاصة تلك التي تتعلق بتحديد أحور السكن فقد كان من نتائجها الآنية أن أصبح تشييد الأبنية وأعمار العقارات من الأمور النادرة بينما أزمة أجور السكن تزداد يوماً عن يوم . أما الذين اقترحوا تلك الأُنظمة فقد برهنوا على أن العمى قد بلغ من بصيرتهم حداً لا يمكن تصوره وإدراكه . أما الفأوها فسوف لا يتوجب الا بعد تجارب تمود بالخراب والافلاس أى عندما يتحقق ولاة الأمر أنه لم يبق بين الناس من يقم على تشييد النور وبناء المساكن مثلاً .

أما وقد اتسبنا الى هنا من اظهار مبلغ الوهم الذي قامت على أركانه الوسائط المقترحة لمعالجة قضية الغلاء فقد بقي علينا أن

نفحص ماذا كان لا يوجد هناك وسائط تفوق الوسائط السالفة تأثيراً
ان الوسائط التي هي على هذه الشاكلة لا يمكن أن نعد منها
سوى ثلاث (١) جمعيات المستهلكين المتعاونة . (٢) الغاء الرسوم
الجمركية . (٣) تزييد الانتاج .

ان تأثير الواسطتين الأولين آتى ولكنه ضعيف . أما تأثير
الواسطة الثالثة فهو بعيد الا أنه عظيم هام . بل ان هذه الواسطة
الثالثة هي الوحيدة التي يمكن الاعتداد بها اعتداداً حقيقياً . ومن
السهل إثبات أمرها بدون أن يكون هناك حاجة للشروح والايضاحات
المطولة .

أما عن الجمعيات المتعاونة فلا يجدى الكلام الكثير فعماً
مادام نجاحها ضعيف دوماً في فرصة . وتستطيع هذه الجمعيات ولكن
من الوجهة النظرية أن تعود على الجمهور بالربح من وراء الفرق الجسيم
الكائن بين الثمن الذي يدفع للمنتج وبين الثمن الذي يدفعه المستهلك
والذي خفض بوجه عام بقدر النصف منذ أيام الحرب . ان فكرة
التضامن والنظام اللذين يتطلبهما تحقيق المشاريع التي ترمى الى
التعاون مقودين مع الأسف في فرنسا .

إذا تحققت سهولة الاستيراد التي تفتج عن الغاء تلك الرسوم
الجمركية التي تكاد فداحتها تحول دون مرور البضائع والسلم

وما إليها ، اذا تحقت هذه السهولة فانهتمدو واسطة تفضل الطريقة
السالفة من حيث تخفيض أسعار المعيشة . ولسكن سلطة كبار المنتجين
في البرلمان عظيمة لدرجة حكم علينا معها أن نبقى لمدة طويلة خاضعين
نوع من أنواع (الحماية) دونه كل الأنواع .

ان حكمانا الذين يظهر عليهم أن الخوف من هجوم سيل المنتوجات
الألمانية يكاد يقدم اطمئنان النفس وراحة البال قد ذهبوا في
خوفهم ضحيتهوم اقتصادي . أما الانكليز والاميركيون والايطاليون
قد استطاعوا التلص من هذا الوم . وهم (أي حكمانا) لو تمنعوا
قليلا في هذا الأمر لتحققوا بدون شك أن الألمانيين اذا تمكنوا
من صنع بضائع جيدة بأسعار تساعد على رواجها فان سيلها سيتدفق
نحو اسواقنا مهما كانت الحواجز التي يخطر لنا أن نضعها في سيلها
فهي أول الأمر تبتاع انكلترة و بلجيكا وموسرة واضرابها تلك
البضائع بسعر دون قيمتها الحقيقية بمبلغ كلي وذلك بفضل أسعار
« السحب » ثم تعود تلك البضائع الينا بعد أن تتراكم عليها الزيادات
الهائلة وذلك من قبل البلاد التي لامفر لنا من الاتجار معها الا اذا
أحطنا أنفسنا بجدار من (بلاد الصين) مع ما يجره علينا هذا الجدار
من الافلاس الأكد .

ان الاستيراد الذي لا يرافقه اصدار يعادله ويعوضه لا يمد في الأصل كما سبق لي أن ألفت النظر الى ذلك، سوى عملية وقتية لا يستمر أجلها طويلا . لأن البضائع لا يمكن أن تسد قيمتها في النهاية سوى بضائع أخرى . لكن مما لا شك فيه هو أن المكافئة أو النفوذ المالي يساعد على الاستماضة عن البضائع بأوراق مالية وهذه عبارة عن وعود ليس إلا . لكن مثل هذه العملية لا يمكن أن تستمر كثيراً . إذ أن الاستيراد الذي لا يقابله اصدار ليس سوى نوع من أنواع القروض والشعب لا يستطيع أن يستمر على العيش على حساب القروض .

فلكي نرم ما تخرب من ديارنا ونسدد ديوننا ونخفض أسعار المعيشة، لم يبق من الوسائط التي عددناها قبل أسطر سوى واسطة واحدة لم نتكلم عنها بعد وهي ان ننشط الانتاج في بلادنا وبخاصة الانتاج الزراعي تنشيطاً كبيراً وبأسعار تجعل الاصدار ممكناً .

ان التعبير عن الدستور من السهولة بمكان ، الا أنه يجب تكريس مجلد خاص لا لأجل إثبات اهميته وخطورته واظهارها إظهاراً كافياً ، فقط - بل لتبيين ما في تحقيقه من الصعوبات أيضاً . بالرغم من أن فرنسا تتنازع بكونها بلاد زراعية فان استثمار الزراعة فيها لا يزال في حالة ردية جداً بلغ من رداقتها ما جعل فرنسا

مضطرة لاستيراد كميات من القمح والسكر والفواكه والبطاطا وما
اليها بمبالغ جسيمة .

أما انتفاعنا من مستعمراتنا فلا يزيد على انتفاعنا من بلادنا
ذاتها فلقد كانت هذه المستعمرات قبل الحرب في حوزة الأيدي
الأجنبية من الوجهة التجارية . ولقد نشرت الجورنال دوجنيف
مؤخراً مقالا فأسهبت في الكلام حول عظمة أمبراطور يقنا الاستعمارية
وبوجه خاص حول عجزنا عن الاستفادة منها والانتفاع ، ذلك
العجز الذي يبعث على الدهشة والعجب . ومما قالته : « ان الأجنبي
هو الذي يجر مغنا من المستعمرات الفرنسية . ولقد تركت فرنسا
لمزاحمها ما يزيد على النصف من تجارة تلك المستعمرات كما هو الحال
في الديار التونسية بل لقد كانت في أغلب الأحيان تترك لهم ما يربو
على الثلاثة أرباع . أما في الهند الصينية فلا يعود عليها سوى الناث
من السخل والخمس مما صدر الى الخارج . » اه

ان جميع هذه الأشياء وأشياء أخرى كثيرة على شا كلتها
يجب أن تذكروهماد الكلام عنها ويقرر بلا فتور ولا كلل . أما
مستقبلنا فهو يتعاق بكه وجهد تقوم بهما باصرار سعيأ وراء وجهة
معينة لارائه لنا فيها سوى الذكاء والفتنة أن العمل اذا أدير ادارة
حسنة فهو الضمانة التي تكفل المقدرات السعيدة والمستقبل المملوء

باليمن والفلاح . أما التقاعس والعجز ومماحكات الأحزاب والجماعات
ومنازعاتها فكلها تؤدي الى الانحطاط الذي تطنى لجج بحره الطامى
فتفرق جميع الشعوب التى لم تهتد الى التوفيق بين المناهج التى تتبعها
وبين الضرورات الجديدة التى ولدتها الحوادث وأخرجتها لعالم
الوجود .



الكتاب الرابع

اختلال التوازن الاقتصادي في العالم الفيضك الأول

القوى الجديدة التي تدير العالم

لما كان التوصل الى علل الامور الاولى غير ممكن فان جوهر القوى المادية أو طبيعتها الباطنة لا يزال المسدودا عليه ستار من الغموض فلتعريف هذه القوى أصبحنا مضطرين لأن نقول انها (بواعث للحركة وعلل لها)

ان الطبيعة الباطنة للقوة المحركة التي تدفع الاشخاص للحركة لا تزال كذلك مجهولة غمضة غموض طبيعة القوى السادية فيجب والحالة هذه أن تقلد العلماء بأخذ الحيطة فنطلق على البواعث المختلفة لأفعالنا وأعمالنا اسم (القوى) ليس إلا

فهذه القوى يمكن أن تكون باطنة وبعبارة أوضح متولدة عن

ذاتنا : كالتقوى الحيوية والقوى الحساسة والسرية أو التصوفية والفكرية
كما أن تكون هذه القوى مستقلة عنا كالوسط والتأثيرات الاقتصادية
ففي امتداد الادوار التي سبقت التاريخ كانت القوى الحيوية
سببا منها الجوع ، هي وحدها تقر بياً المسيطرة على حياة البشر . فلم
يكن للبشرية من مثل أعلى تستطيع الوصول اليه سوى الاقتيات
والتناسل .

وبعد أن (تكسبت) الأجيال أصبح أمر الحياة سهلاً لبعض
السهولة عن ذي قبل ، وظهرت لحيز الوجود بعض علام الجماعات .
فقب زوال القبيلة الرحلة ظهور القرى ثم المدن الى أن ظهرت في النهاية
الامبراطورية

ففي ذلك الحين فقط استطاعت المدينيات العظمى أن تبرز
للعالم وتشييد أركانها فيه . ولقد كانت هذه الحضارات على صور مختلفة
وذلك حسب الوجهة التي كانت القوى تدفعها نحوها

ولقد ولدت الحاجات الحيوية وبعض عناصر القوى الشعورية
كالطمع بعض الحضارات في شكل عسكري تشابه المدينيات التي
جاءت بها روما (السلطنات) الاسيوية العظمى

ولما رجحت كفة القوى الفكرية من حيث النفوذ والقوة ظهرت
المدينة اليونانية مع ما جاءت به من آلات الفكر والفن الفريدة .

ولما ظهرت القوى الاعتقادية أو التصوفية لحيز الوجود دخل العالم في عصر (القرون الوسطى) الذي جاء بالمعابد العظيمة والحياة الدينية الشديدة .



يتضح مما سبق أن الحضارات العظمى التي ظهرت على سطح الكرة الأرضية كان لها بواعث وأسباب مختلفة . ولكننا إذا أمعنا النظر نجد أنها تشترك جميعاً بوصف واحد خاص وهو كونها تأثرت بأنواع شتى من (الألوهية) التي هي حائزة على سلطة عظيمة سامية . ولقد ساد الاعتقاد زمنًا طويلاً بأن الآلهة عبارة عن محصلة لمشاعر الأشخاص وحاجاتهم وأحلامهم ومخاوفهم وآمالهم ، وفضلاً عن ذلك فقد اعتقد الناس أيضاً أنها وحدها خليقة بأن تقبض على زمام الأمور في العالم وإن من شأنها هي فقط أن نجيب على الـ (لماذا) التي لا يدخل عندها تحت حصر ، والتي نرددها المحلوقات المحاطة باتسياء مريضة تبعث على الخوف والزعبول وتفهم لها حقيقة ولاكنها .

ففي ذلك الزمن الذي كانت السيادة فيه للقوى التصوفية أو الاعتقادية لم تستطع أي جماعة من الجماعات كبيرة كانت أو صغيرة أن تتصلص من تلك السيطرة بوجه من الوجوه . ولقد بلغ من شأن تلك القوى أن أعظم المدينيات شأنًا ومهما خصوصاً ما يطلق عليه اسم

البوذية والنصرانية والاسلامية قد سميت باسم الالهة التي أوجدتها
إن الشعور بالحاجة للتصوفية أمام المعتقدات من العناصر الثابتة في
الطبيعة البشرية التي يظهر انهم من الثبات، درجة لا يمكن لأي العوامل
أن تقوى على زعزعتها . وعند ما يزول اعتقاد الشخص بالآلهة التي
يتمثلها في باله يجعل على الفور مكان يقينه بتلك الآلهة يقين آخر بالوهية
غير شخصية إما بشكل عقائد أو دساتير . وترى اتباع هذه العقائد
يعززون اليها نفس القوى التي كانوا يعزونها للآلهة القديمة . وفي الحقيقة
أن هذه النهية الدينية اليوم من الشدة بما يعادل شدتها في أبسط
الازمنة المنصرمة وأقربها الى الفطرة الساذجة ، وغاية ما هنالك أنه
بالكاد طراً على شكها بعض التبدل ليس إلا

وهكذا فن المعتقدات الحديثة كالاشتراكية (والسبيريتيزم)
والشيوعية وما اليها تستند على ذات الاسس والدعائم النفسية التي
استندت عليها العقيدة القديمة . وان لها كذلك رسلا وحواريين كما
أن لها أيضاً شهداء . هذا وقد سبق لي أن أسهبت الكلام كثيراً
في مختلف المؤلفات التي وضعتها عن تأثير التصوف الاساسي في
التاريخ لدرجة لم يعد في الرجوع اليها هنا من فائدة

لقد انضمت على القوى الحيوية والحساسة والتصوفية التي قادت الشعوب أثناء سيرها في طريق التكامل مدة من الزمن لوحدها تقريباً نقول انضمت الى تلك القوى بعد حين القوى الفكرية التي لم تمض برهة حتى كان لها شأن وأي شأن . فقد حولت هذه القوى جميع شروط حياة الشخص وبقاءه ولكن تأثيرها على العواطف والميول والمعتقدات لا يزال ضعيفاً لسوء الحظ . أما الذكاء الذي هو أبعد ما يكون عن أن يحصر الضغائن التي تفصل بين الشعوب وبين الصنوف المختلفة في الشعب الواحد فقد طفق يعمل لأغراض تلك الضغائن وما كان منه إلا أن زاد في تسعير نار الحروب التي لا تفتأ تفرق بين الافراد ففدا بلاؤها أعم وضررها أشمل وأصبحت ضحاياها تربو عن ذي قبل وتزيد

ان القوى التي عددناها فيما سبق تتصف جميعاً بوصف خاص وهو أنها موجودة فينا بالذات وانها قابلة للتغير والتبدل أن كثيراً أو قليلاً حسب الأهواء المنبعثة عن أغراضنا ومعتقداتنا

ولكن بعض القوى الجديدة غدت تلد كما أشرت الى ذلك في بدء هذا الكتاب أمام أعين أبناء الازمنة الحديثة وتلك القوى هي القوى الاقتصادية التي لا تأثير للأهواء والمعتقدات عليها .

وهكذا فن البشرية بعد أن كانت أمورها أثناء قلب الأزمنة

التاريخية عليها تدار من قبل مجموعة من الأوهام كالأوهام الدينية والسياسية والاجتماعية ، قد وصلت الى دور جديد غدت فيه القوى الاقتصادية مسيطرة على جميع الخيالات والأوهام وقد أصبحت هذه القوى التي كانت فيما سبق ضعيفة التأثير لما كانت الشعوب منفصلة عن بعضها بمسافات غير ممكن اجتيازها ، تقول لقد أصبحت هذه القوى من النفوذ والسلطة بحيث غدت تتحكم كما نشاء بمقررات الشعوب وتضطرها على الخروج من عزلتها وافرادها وخالقت بينها أيضاً نوعاً من الارتباط يزداد توكناً ونمواً يوماً بعد يوم ، وسيؤول أمره أخيراً الى القضاء على الضغائن والاحقاد التي تكنها الصدور .

ان الخراب الاقتصادي الذي ألم بأوربة عقيب انكسار الألمان هو مثال محسوس يبرهن على (الارتباط) الذي أخذ يستحك بين الشعوب .

كما أن انكثرة التي رأت هبوط صادراتها الى درجة النصف منذ ما أضاعت زبنها الجرمانيين ترها الآن تطلب مخرجاً من المأذق الحرج الذي وقعت فيه والحالة السيئة التي أهدت بعنقه ملايين من عمالها في هاوية سحيقة من (البطالة) والبؤس

وإذا كنا نعود بكثرة في هذا الكتاب الى الكلام عن الدور الذي تلعبه القوى الاقتصادية في العالم فذلك لأن تأثيرها يزداد تماخفاً في كل يوم . فهي الآن في عراك مع القوى التي تقود العالم فيما سبق . هذا ولا شك في أن فريقي التبصر من المشرعين وجماعة المسلمين للأوهام سيحدثون بلبلة وتقلقاً في حياة الشعوب ولكن تأثيرهم لن يبقى مستمراً . وستكون سيادة العالم في المستقبل بيد قوى اقتصادية جديدة منبعثة هي ذاتها عن قوى مادية . على أن هذه القوى الاقتصادية لم تكن تخطر على البال فيما مضى لكنها غيرت حياة الشعوب وبلدتها وسنين فيما يلي عمل هذه القوى وتأثيرها



الْفِضْلُ الثَّانِي

الفحم الحجري وزيت البترول

القوى الجديدة المنبثقة عنهما ومكاتها الاجتماعية

ان عمل القوى المحركة الجديدة التي بقيت مجهولة حتى زمن قريب جداً من يومنا - قول قريباً جداً لأنها ليست أعرق في القدم من زمن فاوليون ؛ ان عمل تلك القوى غدا من الاهمية بدرجته أصبح المرء معها لا يستطيع أن يتصور تمدناً خلوا من تلك القوى

بل ان الحكومات الجديدة أصبح قياس سلطتها يقتصر شيئاً فشيئاً على مقدار غناها بالفحم الحجري أو زيت البترول . واذا كانت الحكومات محرومة من مولدات القوى هذه فلا محالة من خضوعها يوماً للحماية الاقتصادية : حماية الحكومة التي تملك مثل تلك المولدات . ويقتصر الأمر على الحماية الاقتصادية أولاً ثم لا تلبث بدئذ أن ترى نفسها مضطرة للتدخل بالحماية السياسية لتلك الحكومة .
(م - ١٥ اختلال التوازن)

ان مكانة القوى المحركة العظمى التي لا يزال العالم حديث العهد بها تظهر بشكل أوقع في النفس عندما نعبّر بالأرقام عما تولده من القوى الآلية (الميكانيكية) ثم عندما نقايس الناتج بالقوة التي كان الانسان والحيوان يستطيعان توليدها فيما سبق

ولقد ثبت لي بعد عدة حسابات أجريتها يطول بي المقام اذا عدت هنا الى بيئاتها أن الـ ١٩٠ مليون طن من الفحم التي كانت تستخرجها المانيا سنوياً من مناجمها في الايام التي تقدمت نشوب الحرب يمكنها أن تحدث عملاً آلياً يعادل العمل الآلي الذي يتمكن من احداثه (٩٥٠) مليون عامل : وزيادة عن هذا أن ذلك العامل المسمى بالفحم الحجري حائز على مزية عظمى يتفوق بها على غيره وهي أنه يأتي مقابل (٣) فرنكات بعمل لا يطلب العامل البشري لقاء القيام به أقل من (١٥٠٠) فرنكا (١)

(١) لقد أثبتت القواعد التي استندت عليها في حساباتي هذه في كتابي الذي دعيته (الدروس النفسية المتخاضة من الحرب) . ولقد اختار المسيو (لوكورنو) ذكرها في كتابه المسمى (علم الميكانيكا) والمسيو لوكورنو عضو من أفاضل الاعضاء في ا카데미ة العلوم ، لكن النتائج التي حصل عليها حضرته تختلف قليلاً عن النتائج التي استخدمتها أنا ، وما ذلك الا لأن الأرقام التي حصل عليها من سعر الفحم الحجري في المانيا قبل الحرب كانت أعظم من الارقام التي استندت عليها هذا ، ولا بد بطبيعة الحال من تعديل الارقام التي استخدمتها حسب اسعار الفحم الحجري في الوقت الحاضر

ولنصف على ذلك ايضاً أن (٥٠٠٠) عامل من عمال التعدين اذا اشتغلوا مدة سنة واحدة فآتهم يتمكنون من استخراج مليون طن من الفحم الحجري ، وهذا الطن يكفى القيام بالعمل الذى يقوم به خمسة ملايين عامل .

أن تزييد ثروة البلاد من الفحم الحجري يزييد في الحقيقة زيادة جسيمة في عدد سكانها . أن مقداراً كبيراً من الفحم الحجري مع عدد قليل من السكان أفضل من مقدار جزئى من الفحم الحجري مع عدد كبير من السكان .

بل من الواجب علينا في الأصل أن نلاحظ أن الفحم الحجري هو ايضاً من العوامل الحقيقية في إيجاد السكان ولقد أبان العلامة الاستاذ « لونا » أن المدن الانكليزية العظمى قد شاهدت ازدياداً هائلا في عدد جمهور السكان ؛ وكان هذا الازدياد مضطرباً مع ازدياد محصول الفحم الحجري في جوار تلك المدن فمدينة غلاستو مثلالتى كانت تعد (٨٠٠٠٠٠) نسمة من السكان عام (١٨٠١) اصبح اليوم فيها (٨٠٠٠٠٠٠) نسمة ، كما أن شفيلد التى لم تكن اذ ذاك سوى بلدة اقطاعية صغيرة تعد الآن (٣٨٠٠٠٠٠) نسمة أما (ليفربول) فبعد أن كان عدد سكانها عام (١٧٠٠) يساوى (٥٠٠٠) صعد اليوم الى

٧٥٠٠٠٠٠ جماهير السكان الجديدة هذه دليل على ازدياد السكان بازدياد الفحم الحجري. كما أن هذه الجماهير تصبح محكومة بالموت جوعا اذا طرأ على الفحم الذي كان السبب في ولادتها والذي يقوم بأودها الآن كارثة أرضية (جيولوجيك) أفنته وأزالته من عالم الوجود

ان أبسط نظرة من بصرنا اذا ألقيناها على ما يحيط بنا يمكن أن تبين لنا الى أى درجة بلغ استعمال الفحم الحجري أو المحصولات المشابهة له نظير زيت البترول من المكافئة في المدينة الحديثة ومبلغ استنادها على استعماله . وكل منا يعلم جيدا أن هذه المحصولات اذا تلاشت واضمحلت تقف قطارات السكك الحديدية عن المسير . لكنه يجب علينا أن نورد هنا بعض التقاويم (ستاتيستيك) لكي نظهر أن قطارات السكك الحديدية ليست هي التي تستنفد الشطر الاكبر من الفحم . إذ أن القطارات تنفق (١٨) في المائة فقط من مجموع مقدار الفحم الحجري . في حين أن الصناعات وتدخل فيها صناعة اخراج المعادن وتنقيتها تطلب ٤٧ في المائة . كما أن الاستعمالات البيئية تستنفد ١٩ في المائة ومعامل « الهلب » المشتعل تنفق ما يعادل ٧ في المائة

ولقد كانت مكانة الفحم الحجري وزيت البترول جد عظيمة أثناء الحرب ولولاها لما كانت لنا مداقم ومهمات حربية وأقوات، ولما استطاعت أميركا أن تيجتاز المحيط لكي تشترك في الحرب ان الفحم هو في الجبل الحاضر ضروري لجميع الشعوب حتى أن الشعوب التي لا يوجد عندها فحم حجري بدرجة كافية كإيطاليا مثلا يظهر أنه قدر لها أن تصبح خاضعة للبلاد التي تملك كمية عظيمة من الفحم كانكثرة خضوع العبد لسيده

ومعلوم لدى الناس جميعاً أي واسطهاتلة من وسائل الضغط هي تلك الواسطة التي جمعت غناء بلاد الانكايز بالفحم في يدانكارة تضغط به الشعوب التي يضطرها القدر لان تبثاء منها ما تقبل به صناءتها وهكذا فان بريطانيا العظمى قد أجبرت فرنسة أثناء انعقاد مؤتمر (سبا) على أن تدفع لها ١٠٠ شيلين من الطن من الفحم الذي كانت تبثعه لمواطنيها بـ ٤٠ شيلين فقط ويرجع السبب في ذلك لبعض الضرائب والمكوس الفادحة التي كانت تضعها على البضائع الصادرة . هذا وان منافسة الفحم الاميركي وحدها هي التي قضت دابر هذا الاحتكار الذي أظهر بوجه خص ما أضعف تأثير الخلفات أمام المصالح الاقتصادية

ان المكانة التي بصيها الشعب انتغلب على الشعوب المتسائط عليها قد تبلغها بعض الشعوب بفضل ثروتها من الفحم الحجري ،

ويستطيع المرء أن يرى ذلك بجلاء إذا ما أتى نظرة على تاريخ المانيا الصناعي والتجاري فإن نهضة المانيا العظمى التي لم تبدأ قبل عام ١٨٨٩ قد كانت بوجه خاص نتيجة ازدياد عظيم في محاصيلها فلما أصبحت تنتج محاصيل أكثر غزارة من الفحم الحجري غدت مصنوعات فياركا ومعاملها أوفر مادة مما كانت بدرجة قصوى، ولما غدت مصنوعات فياركا أعظم وأوفر مما كانت أمست مضطرة لان تزيد في اصداراتها وبالتالي لان توجد لنفسها منافذ جديدة : وهكذا ففي عام (١٩١٣) بلغت صادراتها رقما جسيما يساوي (١٣) مليارات .

وعلى ذلك فقد قضت عليها الضروة أن تصطلم بالمنافسة الانكائزية في كل مكان . وأملت المانيا أن تقضى على تلك المنافسة وتقطع دابرها فأوجدت عمارة بحرية وعسكرية قوية جداً واستمرت تهيء أسباب الحرب الى أن انفجرت تلك القنبلة . فيتضح من هذا أن نزوة المانيا من الفحم الحجري كانت اذن سبباً من الاسباب غير المباشرة في نشوب تلك الحرب التي زعزعت أركان العالم .

لكي نبحت كيف يكون المستقبل الاقتصادي لاحدى

الأهم بصورة قريبة للصواب ما أمكن يكفي أن نعلم مقدار ما تنتجه تلك الأمة من مادة الفحم الحبرى . ان الولايات المتحدة تنتج من هذه المادة ما يقرب من الـ (٦٠٠) مليون طن سنوياً ، وبريطانيا العظمى تنتج (٣٠٠) مليوناً [وهو رقم يعادل ما كانت تخرجه ألمانيا قبل الحرب] أما فرنسا فاتها تنتج من أصل (٦٠) مليوناً التي تحتاج اليها مقدار (٤٠) مليوناً فقط : أما اسبانيا التي هي في الدرجات السفلى تقريباً من سلم الصناعة في العالم فاتها تنتج أربعة ملايين ونصف المليون فقط لا غير .

ان جميع هذه الحوادث التي ذكرت القارىء بها تبين أن العروة من الفحم التي تحدد قوة الشعوب من الوجهة الصناعية هي التي سنعين كذلك موقف تلك الشعوب السياسي فالبلاد التي تضطر لاقتياع الفحم الحبرى التي هي بحاجة اليه من الخارج وتتكبد النفقات الطائلة في سبيل نقله لى بلادها لاتتمكن فباركها اقتصادياً من صنع شيء من الاشياء وبالتالي لا يصبح لديها ما تصدره الى الخارج . وعلى ذلك فتصبح مضطرة لان تقصر جهودها على صنع الاشياء التي تتطلب قوة محركة عظيمة : كصناعة الساعات والاولائل الفنية وأوائل النزين و(المودة) وما الى ذلك ، وأن

تنصب وتعكف على اكمال واصلاح الزراعة التي هي القاعدة الضرورية
لدوام بقائها .

وعلى ذلك فستكون منفعة الشعوب اللاتينية التي هي من
الكفاءة الصناعية بدرجة وسطى في حصر جهودها بالاعمال الزراعية
وبصنع أدوات التزيين وأوائله . فهذه الضرورات هي نتائج تلك
القوانين الاقتصادية التي أظهرت للقاريء مبلغ قوتها .

ان الاكتشافات العلمية الحديثة ستساعد يوماً على الاستعاضة
عن الفحم الحجري بصفته منبعاً للقوة المحركة بغيره من المنابع .
ولقد قادتنى الاختبارات والتنقيبات المتعددة التي قمت بها في مخبرى
(لا بوراتوار) مدة عشر سنوات لان أثبت أن أى مادة من المواد
كقطعة صغيرة جداً من النحاس مثلاً هي عبارة عن ءفضلة أو خزانة
عظيمة الاتساع تكنز ضمنها قوة لم تكن تخطر على البال فيما مضى ،
ولقد أطلقت على هذه القوة اسم (القوة الكامنة في الجزء الفرد (١))
على أننا لا نتمكن في الوقت الحاضر من الحصول الا على مبلغ دقيق

(١) لقد أثبت وشرحت هذه التنقيبات والاستقصات في كتابى الذى
دعيت (تطور المادة) وقد أعيد طبع هذا الكتاب (٢٧) مرة وهو يتضمن
(٦٨) رسماً قد صورت في مخبر المؤلف

جداً من تلك القوة ولكن إذا نجح البشر في المستقبل في تجزئة المادة وتفريق جواهرها الفردة عن بعضها بسهولة فإن وجه الأرض يقبل ويصبح غير ما كان . إذ أنه عندما يصبح تحت أمرة الانسان منبع لانهاية له من القوة المحركة وبالتالي منبع لانهاية له من الثروة فان القضايا السياسية والاجتماعية الحالية لن يبقى اذ ذلك ما يدعو ل طرحها على بساط البحث



وفي انتظار تحقق هذه الامور التي قد يكون موعد تحققها بعيداً بعد ، يجب علينا أن ننظم برنامج حياتنا حسب الساعة التي نحن فيها فنسعى جهدنا لان نستعمل القسم الضئيل الذي نملكه من الفحم الحجري في أحسن الطرق وأن نفتش عن واسطة من شأنها أن تسد النقص في محصولنا من الفحم الحجري

أما فيما يتعلق بأمر الانتفاع من الفحم الحجري نقول أن الانتفاع منه لا يزال ناقصاً يعوزه الاتمام إذ أن (١٠) في المئة من الحرارة الناتجة عن احراق الفحم تضيع على الكامل

ان الوسائط التي يمكن الاستعاضة بها عن الفحم الحجري لا تزال في الوقت الحاضر قليلة العدد . إذ أن العالم لا يملك

بعد من القوى التي تعادل الفحم الحجري سوى زيت البترول
وشلالات المياه

أما زيت البترول فهو اليوم يقوم أحسن قيام مقام الفحم الحجري
إذ أن كيلو غراماً من البترول يحصل (١١٦٠٠) حريرة (كالورى)
في حين أن الكيلوغرام من الفحم الحجري لا يحصل بوجه من
الوجوه سوى (١٠٠٠٠) حريرة . وانك لترى البواخر الانكليزية
الجديلة غدت لا تستعمل سوى زيت البترول في موضع الوقود

ان زيت البترول الذى يمتاز كثيراً عن الفحم الحجري
بسبب سهولة نقله واستعماله غدا استعماله كل يوم في ذبوع مستمر .
أما في أثناء الحرب فقد كان لاستعمال زيت البترول الشأن الأهم
والفضل الأهم . ولقد أكد الكثيرون من القواد أن الفضل في
السرعة الكافية التي أمكن بها نقل الاعتاد الحربية والجيوش
التي أقتنت (فردون) يعود لزيت البترول ليس الا

ان ما سبق بيانه يوضح لنا لماذا لعب البترول ذلك الدور
الهام على مسرح السياسة الانكليزية : كما أن الانكليز انما أقدموا
على القيام بتلك الحروب في الشرق لكي يستولوا على منابع بترولية
جديدة ليس الا

ان انكاثرة تملك في الوقت الحاضر على القسم الاكبر من امتيازات البترول في أوربة وآسيا وافريقيا وفي قسم من المكسيك لكن منابع البترول تنضب بسرعة ويتكهن العارفون بأن منابع البترول ستجف على الكامل بعد أجل قصير .

ولقد أجرى القوم في أميركا بعض حسابات تبين لم منها أن البترول الذي ينبع في الاراضي الاميريكية سينضب بعد (١٨) عاماً هذا ولما كانت أميركا تفتش على البترول في كل مكان ولا تجد في طريقها دوماً سوى انكاثرة قد استنتجت من ذلك بان الامبراطورية البريطانية تريد أن توقف سير النهضة البحرية القائمة في الولايات المتحدة وهذا الامر يهددنا بحرب قادمة

يمكننا أن نذكر في عداد المواد التي يمكن الاستعاضة بها عن الفحم وزيت البترول الفحم الابيض ونعني به القوة المحركة التي يمكن أن تحدثها مياه البحيرات والسيول و (الجمودات) وذلك عند ما تسقط من (مساواة) عالية الى مساواة منخفضة بتأثير قتلها

ويؤكد فريق من الاخصائيين ان استثمار قوى جميع شلالات بلادنا يأتي بقوة تعادل قوة (٢٠) مليون طن من الفحم الحجري ،

وهو رقم يوازي مقدار النقص السنوي الذي كان يحدث قبل الحرب على أننا لا ننتفع اليوم إلا بما يعادل مليونين اثنين فقط ولأجل أن نحصل على الـ (١٨) مليوناً الباقية يتطلب ذلك نفقات هي من الجسامة بحيث أن رأس المال مع (فائدته) المضافة عليه ربما أنها مبلغاً يربو على المبلغ الذي يتطلبه ابتياع الفحم من الخارج .

ونلاحظ بهذه المناسبة أن الفحم الحجري الأبيض يلعب منذ الآن دوراً اجتماعياً هاماً في بعض الولايات . ولما كان قتل هذا الفحم غير ممكن فيجب أن يستعمل بشكل كهربائية ضمن دائرة غير بعيدة كثيراً عن مكان استحصال الكهرباء . ان هذه الكهرباء التي تجرى في أسلاك دقيقة تحرك الموتورات الصغيرة ، وهذه (الموتورات) تشغل مكاناً اقل سعة من المكان الذي تشغله المكينات الكبيرة التي تدار بواسطة الفحم . فنتج عن ذلك أن أهل البلاد ذات الفحم الحجري الأبيض نفيير (هوت لوار) و (جورا) و (البيره نه) وغيرها على وشك العودة الى العمل في المساكن وترك العمل بالنظر بسهولة استعمال الموتور الكهربائي الصغير في المناوي الشخصي . وهو تطور اجتماعي بكل معنى الكلمة هذا!

الاقبال الذي أخذت طلائعه تظهر على هذه الصورة

الْفَضِيلُ الثَّلَاثُ

موقف ألمانيا الاقتصادية

في ذلك السن السعيد من الصفر حيث لا يمكن تمييز الامور الغريبة العجيبة عن الحقيقية الصحيحة ولا الامور الممكنة عن غير الممكنة وضمت الاعراض (الصدف) في يدي كتابا وقع نظري فيه على قصة الخطوب والكوارث التي لاقاها أحد الطماعين الحديثي السن الذي باع ظله أو خياله من أحد الشياطين لقاء جملة منافع اختبأت قائمتها في ضباب خواطري

ولما فكرت بامعان بدمضى زمن في هذه القصة ظهر لي أنها تتضمن معنى عميقا لا يستبعد أن يكون خفي عن مؤلف القصة . أليس من الجلي في الحقيقة أن لكل من الحوادث والشخصيات البارزة والقوانين والسلطنات ظل يجعلها مضاعفة وأن قوة كل منها كامنة في هذا الظل ؟

ان هذه الظلال هي التي كانت لها السيادة والسيطرة في التاريخ . فان أفراد الجيوش الرومانية لم تكن هي التي حكمت العالم مدة تلك القرون . وقد استمر يحكم العالم حتى اليوم الذي تفهقر فيه ذلك الظل الحاكم أمام ظلال أخرى أقوى منه بأساً وأشد ساعداً . وكذلك الحضارات العظمى قد كانت جميعها محكومة من قبل بعض الظلال .

أما في أيامنا هذه فن الظلال غدت تصطمم بجدار قلزى [النحاس الاحمر] من الضرورات الاقتصادية . ومع ذلك فان قوة تلك الظلال لاتزال عظيمة جدا . ويستطيع المرء أن يلم بصحة هذا الامر اذا ما أتى نظرة سريعة على موقف ألمانيا الاقتصادية .

ان في عداد نتائج الحرب التي لم يسبق لأحد التكهّن عنها فيما مضى ضياع النقود الذي أصاب مختلف الشعوب الاوروبية سيما منها ألمانيا

إننى لم أطالع أصلا تلك المجلدات الضخمة التي كرسها بعض الاساتذة الاجلاء للكلام عن علم الاقتصاد . ومع ذلك فأنى اشك في أنهم تكلموا في تلك المجلدات عن حوادث العملة المشابهة للحوادث

التي فعانها في الوقت الحاضر
لقد اشتدت أزمة الدراهم مرات عديدة فيما مضى من الأزمان
وتعددت حوادث الافلاس الذي لحق بالحكومات . ولكن تلك
الحوادث كانت (وقتية) سريرة الاقتضاء لا ثابت حتى تزول .
اذ أنه عند ما كانت العملة التي هبطت قيمتها تفقد كامل قوة
الابتياح — كما حدث للأوراق المالية المسماة (آسينيا) في أواخر
أيام الثورة الفرنسية كانت ترفع من التعامل وتستبدل بغيرها . أما
ذوو الأبراد فقد كان نصيبهم من جراء ذلك الافلاس ولا شك .
ولكن شكاوى أولئك (الأبراديين) الذين غنوا قراء لم تكن
لتعنى أحداً من الناس أبداً ؛ كما أن عويلهم ونحيبهم كان يبقى عديم
الصدى . وكل ما هنالك أن طبقات اجتماعية جديدة كانت تحمل
مكان أولئك ، وكان العالم يستمر في سيره

إن الأمور قد غدت اليوم مشتبكة متعقدة على غير ما كانت
بالأمس تماماً . فان بعض الشعوب التي تجردت عن دراهمها العادية
كألمانيا مثلاً لاتزال مستمرة على العيش بدون معاناة أى ضيق أو
عسرة بل وبرقه ورغد أيضاً . أما البلاد الأخرى نظير الولايات

المتحدة مثلا فان العراقيل غلت قائمة في سبيل تجارتها بالرغم من وفرة عملتها المعدنية حتى أن طبقات بكاملها من ابناء البلاد أمست تلامس البؤس ملامسة

فهذه الحوادث التي تبدو فريدة في بابها في الظاهر يتضح أمرها وينجلي تماما عند ما ينقطع الناس عن الخلط بين الثروة الحقيقية وبين ظل الثروة. إذ أنهم يتحققون عندئذ كما سبق لى أن أعدت ذلك اكر من مرة — ان العملة الذهبية أو الفضية هي عبارة عن بضائع يمكن استبدالها ببضائع أخرى بكل سهولة

لما كان كل من الذهب والفضة والحديد والصوف والقطن يستطيع أن يقوم مقام الآخر وكما رأينا ذلك عند ما درسنا المنابع الحقيقية للثروة ، فان البلاد التي تفقد عملتها المعدنية اذا استطاعت أن تستمض عن عملتها المفقودة بعملة معنوية غيرها تصلح للمبادنة كالكمح أو الفحم الحجري مثلا فان أمر قدها للعملة المعدنية لا يندو من لأهمية بمكان عظيم .

والأمر الوحيد الذى يمتاز به العملة الذهبية أو الفضية عن غيرها هي كون أمر مبادلتها ميسور في كل البلاد بينما البضائع غير المعدنية مقبولة في البلاد التي هي بحاجة لمثل هذه البضائع فقط .

إن هناك بعض أسباب معروفة جداً لدي العموم للرجة لاجابة
بعضها لاعادة الكلام بشأنها هنا حملت جملة شعوب منذ نشوء الحرب
على ايجاد عملة صناعية ليست الا من قبيل سندات البيوتات المالية
أما هذه (الاوراق) فلما كانت تادية قيمتها غير ميسورة عند
الارادة فقد كانت لا تفرق بشيء عن صكوك القروض التي لا يوجد
عليها تاريخ يحدد تادية القيمة فبفضل العملة هذا يقدم لنا خلا عن
(الضمانة) ايس إلا ، فهو عبارة عن ثقة الدائن تجاه المستدين .
فمثل هذه الثقة تتحول وتتبدل بطبيعة الحال بمرور الاعوام وتتقرب
بالتدريج نحو الصفر ، كما يري اليوم في ألمانيا ، واذا كانت درجة
الصفر لم تلحق بها بعد فلأن قيمة أوراقها مهما هبطت لا تزال ظلا
منعكساً عن أمل

ار جميع هذه الابحاث التي تكلمنا فيها عن طبيعة العملة
الحقيقية لا يمكن أن تؤثر على العقل الا بشرط أن تؤيدها الوقائع التي
جري تطبيقها عليها :

أما هذه الوقائع فتمها صحيحة - كفة للدرجة القصوى اذ أنها
يتبين — كما ذكرنا القارىء بذلك فيما سبق — ان بلاداً غاطسة
(هـ - ١٦ اختلال التوازن)

حتى الاعناق في بحر من الذهب لا يبعد أن تقع في ضيق ، بينما بلاد
أخرى لا تملك شيئاً من الذهب بالكلية في حالة سعيده تنعم في
رغد من العيش وتزفل في حلال من البحبوحة والرخاء

أما فيما يتعلق بالحالة الاولي أي حالة توفر ثروة احتياطية
من الذهب لدى أمة من الأمم فن الولايات المتحدة يصح أن تعتبر
مثالاً يثبت جيداً أن الذهب ليس ثروة حقيقية أو هو على الأقل
ليس عبارة عن ثروة يمكن أن (تروج) وأن تصبح بذلك بضاعة
من البضائع التي يمكن مبادتها .

ولكن بسبب الفاقة التي غدت عامة في جميع الجهات فإن كثيراً
من المواد لم يعد يوجد لها من مشتر . وهناك مواد غداء عدد مبيعاتها
في تقص مستمر بمقدار ذلك الصعود الذي حدث في اسعار «السحب»
فزاد في ثمن ابضائع الواردة من انكاترة و اميركا ثلاثة أضعاف بدون
أن يحصل باعتبارها على أي نفع من هذا الارتفاع الذي حدث في
الأسعار .

ومما لا شك فيه أن باستطاعة الامريكيين أن يضحوا بجميع
ذهبهم في سبيل ابقاء البضائع من انخارج . ولكن مؤوتهم من
هذا المعنى سرعان ما يصيبها النفاذ حينئذ ولما كان لا يتيسر

للأمريكيين ان يعوضوا الذهب الذي أنفقوه بسبب النقص المستمر
الذي يحدث في عدد الذين يتعاونون من عندهم فيصبحون هم ذاتهم
خالي الوفاض من العملة المعدنية

من الجلى انوضح أن المانيا بدأ بها على تزييد اوراقها المالية
تزييداً لا حدود له ، قد حرمت نفسها من واسطة ثمينة من وسائل
المبادلة ، ولكنها لما كانت تملك غير تلك الواسطة ، فان حالتها
العامة استمرت جيدة ، وفي الحقيقة لم تصنع المانيا يوماً كمية من
السنن ولم تشيد عدداً من المعامل يضاهي ما صنعته وشيدته في
الزمن الراهن أما معاملها التي لم تضر الحرب بواحد منها . فاتها لم
تكن يوماً زاهرة عامرة مثل ما هي اليوم . ثم ان محصولاتها المصنوعة
بسعر منخفض تكاد تغطي على العالم . اما البحرية الألمانية فنها
تعود الى التأسس من جديد لسرعة كلية ، ولن يمضى عليها زمن حتى
تراها قد سبقت بحريتنا وقدهتها . واتقد رادت الاعمال التجارية
وتتوزن البيع والشراء في مرفأ هامبورغ عام (١٩٢٢) ع كانت
قبل الحرب .

ان جزءاً من هد الملاح الحقيقي قد نتج عن النظريات المالية

التي هي بدون شك مناقضة لدروس جماعة الاقتصاديين القديمة ،
ولكن هاك النتائج التي ترمى اليها تلك النظريات : (١) تمويل
الصناعة الالمانية وجعلها أغنى مما كانت . (٢) أن يباح لألمانيا
التخلص من دفع الشطر الاكبر مما يخصها من ديون الحرب

ان جميع الاقتصاديين يعرفون منذ أمد بعيد أن زيادة اصدار
الاوراق المائية يفنى بسرعة الى زوال قيمة تلك الاوراق الكامل .
ولكن الأمر الذي لم يتكهنوا عنه ولم يروه ، والذي استطاع
الالمانيون أن يشاهدوه بنظرم الثاقب ، هو أنه اذا كانت تلك
الزيادة تخرج الى اغراب ولافلاس فانها اذا حدثت عند شعب
صناعي واستمرت زمناً كافياً يندو بإمكانها أن تؤسس ثروة وأن
تمكن بدون شك ثروة وهمية فرضيه الا أنه يمكن تحويلها وقلها الى
قيم حقيقية ليست خيالية ابداً

فبفضل هذه الثروة الخيالية التي أوجدت عن طريق طبع عدد
غير محدود من الاوراق المائية نجحت المانيا اثناء أربع سنوات
في إيجاد عدد كبير من قطارات السكك الحديدية والمعامل والبواخر
واستطاعت ابتياح المواد الاولية الضرورية لصناعها . ان جميع
البضائع التي تصدرها والتي دعت قيمة صنعها للعمل قوداً ورقية

قد سلمتها للخارج مقابل دولارات أميريكية أو جنيهات انكليزية .
فالأمر الذي عادت به هذه العملية على المانيا هو أنها مكنتها
من استبدال الاوراق النقدية التي لم تكن لها قيمة حقيقية سوى
نققات الطبع الضئيلة بعملة ذهبية أو فضية
ان عمليات صنعية مثل هذه لا يمكن ان يستمر اجلها مدة طويلة
بطبيعة الحال ، ولكن المانيا استطاعت اثناء دوام استمرار تلك
الاعمال ان تنهض بشؤون الملاحة وبمعاملها وبتجارها نهوضاً عظيماً
لا يستهان بشأنه .

لا فائدة هنا من اطالة الكلام على ما نعتقد في صدد ذلك
الموقف الاقتصادي الذي افسح المجال لعدة مجادلات ومناحرات
وتج عنه كثير من الاخذ والرد . بل سأكتفي باغبات النظر ان
ان الآراء التي ابتهاها فيما سبق هي نفس الآراء التي يبيها جميع
الدين زاروا المانيا حديثاً وتنطبق بوجه خص على آراء الاستاذ
(بلوندل) الذي درس هذه القضية دراسة خاصة . وقد أراء
الاستاذ كيف قام ببناء المانية اقتصادية خرج بناء المانيا الرسمية
انقلسة .

ويبين مؤلف في كتابه ان الخلات الكبيرة التي تصنع المواد
الكبالية والسكرية والكهر بائية وما اليها تدفع عن المواد التي تصنعها

رسوماً قد تزيد أحياناً عن (٥٠) بالمئة ثم اضاف المؤلف على ذلك ما يلي :

كيف يعمل الالمانيون اذن وعلمتهم على ماهي عليه من الرذاعة وسقوط القيمة في الظاهر للحصول على المواد الاولية التي تنقصهم؟
لما كانت نفقات المواد المصنوعة مرتفعة ارتفاعاً ضئيلاً فهم يبيعون ما يصنعونه ضمن شروط تساعد على القيام بمنافسة ناجحة في البلاد التي تكون اسعار العملة فيها مرتفعة ، ولكنهم يجتنبون كثيراً جلب الدراهم التي يربحونها الى المانيا ، بل هم يدعونها في الخارج لأمر (الوكالات) لاجنبية في الظاهر والتي هي في الحقيقة المانية بحجة ويرجعون من تلك (الوكالات) التي تستطيع ان تساعد على نوال المواد الاولية التي هم بحاجة اليها فهذه الطريقة تساعد على التملص من القوانين الجديدة التي وضعتها المانيا فيما يتعلق بالرسوم والضرائب . وهكذا فان الاموال التي يجب تقاضي رسوم عنها موجودة في الخارج اذ يوجد في الولايات المتحدة (١٤) مليوناً من الالمانيين وبمساعدة هؤلاء الالمانيين تمكن المانيو المانيا من وضع شطر من ثروتهم في العالم الجديد . كما انه يوجد في اعظم بقاع العالم شائناً لوف الالمانيين وهم في حالة جيدة للغاية . بل ان الحكومة ذاتها تعترف بأنها غدت لا تتمكن من مراقبة النزوات

التي يملكها ابناء البلاد بعد ان وضعوها في امكنة آمنة . ان من
الغاطات الرئيسية التي ارتكبتها عام (١٩١٨) هو اننا لم ندرنا وقتئذ
بانه يجب 'ستيفاء الضمانات علي الفور وانه يقتضى حلا وضع نظام
يكفل مراقبة مصنوعات المعامل ومراقبة الوارد والصادر . يرينا
لألمانيون اليوم خزائن وصناديق فارغة قد حولوا عملة المارك التي
كانوا يملكونها الى دولارات وجنيهات (سترلينغ) انكليزية
و (فلورينات) هولندية . هـ

يمكننا ان نضيف على ماسبق بأن من الاسباب التي جعلت
الموقف 'اقتصادي في ألمانيا على شكاه 'خالي هو التخريب والتدمير
الذي قامت به حيوشها (ألمانيا) ضمن نظام معين في كامل المؤسسات
الصناعية الكائنة في شمالي فرنسا . فقد أتمى الألمانيون معامل
خراج المعادن وتنقيتها وأبادوا معامل انكهربائية والآلية
('ميكانيكية) وامنجم وما اشبه ذلك بعد ان استنوا على عددها
ويستطيع المرء ان يقدر مبلغ جسيمة تلك التخريبات عند ما يلاحظ
ان فرنسا قد انفتحت حتى لآن (٨٠) ملياراً في سبيل تجديد بناء
قسم من الأبنية التي تخربت .

'فيلسوف (بورتر) من 'الاسفة هـ العصر المشهورين ،

وقد ألفت كتاباً فيما نشر من قبل مكتبة الفلسفة العلمية التي أسستها
ولما عبت عليه ذات يوم تردده في الاستنتاج أجباني بقوله :

— ان أكثر الأشياء لا تتضمن نتائج

ولا شك بأنه كان يعنى بهذا القول ان النتيجة عبارة عن
خاتمة وان المرء لا يتمكن غالباً من الحصول على نتائج معينة مادام
سير الحوادث مستمراً لم يقف عند حد .

وهكذا فن جرس الساعة التي تؤذن بحلول موعد استخلاص
النتائج من الصفحات السابقة لم يبق بعد أما الشعوب فلا تزال
تعمدها بعض الظلال . لكنها تملص الآن شيئاً فشيئاً من سلطة
تلك الظلال تحت تأثير بعض القوى الجديدة وهي تلك النواظ
العظمى التي غتت تدبير نظام هذا العالم



الفصل الرابع

الارتكان النفسية للأضرب الاصيرية

كان علم النفس يتألف حتى سنوات معدودات من يومنا من أبحاث نظرية مجردة عن النفع العملي . فكان رجال الحكومات يتخذون بعض الحقائق التجريبية التي انتقلت عن السلف عن طريق الرواية و (التقليد) والتي كان عجزها وعدم كفايتها يبدو أن كما تبدو الشمس في رابعة النهار — كدليل يستنبرون به في أعمالهم

أما الحرب وجميع الحوادث التي تتبعها فقد جعلت علم النفس في المنزلة الأولى من العلوم المفيدة النافعة إذ كيف يتاح للحاكم أن يحكم شعبه وللقائد أن يقود جيشه ورئيس المعمل أن يدير أمور معمله معهما كان بسيطا ، إذا كان كل من هؤلاء يجمل ذلك الفن انتهى يتاح للعارف به أن يتصرف بمشاعر الأشخاص أو ميولهم وأهوائهم ويعلم كيف يكون قيد تلك العواطف والميول وكيف يدير أمرها

تقدم سبق لي ان ذكرت قرأني ماراً بان الالمانيين قد خسروا الحرب لأنهم انكروا بعض القواعد الاساسية في علم النفس ولم يرعوا احكامها ، كما ان ذلك المرشال المشهور الذي استأصل شأقة الحركة الثورية التي هبت ربيعها في فرنسا عام (١٩١٧) وتسربت الى بعض قطعات الجيش فكادت أن تؤول بالحرب الى عقبي مخربة متلفة بتلك القواعد النفسية

بل ان الامريكيين لم يكادوا يخوضون غمار الحرب حتى رأيتهم ايقينهم التام بجلال فائدة علم النفس وتطبيقاته يسارعون الى الاتضاع منه فيضعون بين أيدي الضباط مجلداً أضخما عاجلوا فيه جميع الحوادث والاحواك التي يحتمل أن تعترض سبيل الضباط أثناء قيادة الجيوش وادارتها وبينوا لهم فيه كيف يكون اتحاد القمن والثورات وكيف يحرك نشاط المخاربيين وهمتهم اذا طرأ عليهما الفتور والضعف وكيف تكون أثاره عوامل المحبة والحماسة في نفوسهم الى غير ذلك من الأمور .

أما الاساتذة عندنا فلمهم لا يشهدن بهذه المكانة لعلم النفس . ولقد سبق لي أن ذكرت قرأني في غير هذا المكان بأنه لا يوجد بين الدروس العديدة التي تدرس في (مدرسة العلوم السياسية)

درس واحد كرس لتدريس علم النفس

لما كانت الكتب التي تبحث في علم النفس العملي أو التطبيقى من الندرة بدرجة عظيمة فإن الكتب القليلة المصنفة في هذا العلم لم تصمم مترجمين وناقلين الى اللغات الاخرى كما أنها لم تصمم قراء كثيرين . ولهذا السبب ولا شك قد ترجم كتابى الذى دعيت به (سر تطور الأمم) والذي نشر منذ (٢٥) سنة — الى لغات كثيرة وقد كان فى عداد مترجميه كثيرون من رجال الحكومات ذوي المنزلة الرفيعة بين أبناء قومهم (١)

وإذا كنت آتى على ذكر هذا الكتاب برغم قدمه فذلك لأنه يتضمن بياناً عن بعض مبادئ علم النفس يمكن تطبيقها دوماً اذ لا ينتفع بها عند حكم الاشخاص وتأويل حوادث التاريخ وتعليلها فحسب بل هي كما سنبين ذلك بمد قليل ذات نفع فى القضايا

(١) لقد نقل هذا الكتاب الى العربية من قبل قحى بشا زغلول وهو يومئذ وزير الداخلية فى القاهرة ، وترجمه الى اللغة اليابانية البارون (موتونو) وزير الامور الخارجية فى الحكومة اليابانية ونقله الدكتور عبد الله جودت بك مدير المصاحف الصعبة فى تركيا الى اللغة التركية كما أن الميوزى روزمونت رئيس الولايات المتحدة سابقاً كثيراً ما أعاد على الاسماع. إن هذا المؤلف الصغير لم يكن يفارقه أبداً

اليومية على اختلاف أنواعها كوضع ضريبة من الضرائب مثلا .
ولما كان قل جميع المبادئ التي عرضتها في ذلك الكتاب
الى هنا غير مستطاع فاقصر هنا على تذكير القاريء ببعض تلك
المبادئ فقط .



ان الأمم ذات الماضي التاريخي الطويل تكون ذات طبائع
نفسية ثابتة نبوت سماها التشريحية أى الخلقية (بالفتح) تقريبا .
وتنشأ عن هذه الطبائع أنظمتها وأفكارها وآدابها وفنونها .
ان الطبائع النفسية التي تتألف من مجموعها روح الشعب
تختلف كثيراً في بلاد عن أخرى كما أن الأمم على اختلافها تشعر
وتعقل وتمارض بصورة متباينة في ظروف وأحوال واحدة
ان الأنظمة والمعتقدات واللغات والفنون لا تستطيع التحول
من شعب الى شعب بدون أن تكابد تحولات عميقة بالرغم من
جميع المظاهر التي تؤيد العكس .

ان جميع الافراد الذين ينتسبون لعنصر منحط يوجد فيهم تشابه
عظيم جدا . أما في العناصر الرفيعة فالأمر بالعكس اذ يختلف
الافراد عن بعضهم اختلافاً مضطرباً مع مبلغ تقدم تلك العناصر في

الحضارة . فلا يسير الاشخاص المتمدنون اذن نحو التساوى بل هم يتقدمون نحو تفاوت وعدم تساو مستمر انمو . فالساواة هي (شيوعية) الاجيال الاولى أما التفاوت فهو التقدم ان الدرجة التي بلغ اليها الشعب في سلم المدنية تبدو خصوصاً عند ما ينظر لعدد الادمغة الراقية التي يملكها ذلك الشعب

ان هذه القوانين الاساسية يمكن تطبيقها ، وأكرر القول هنا أيضاً ، وعلى جميع عناصر الحياة السياسية والاجتماعية ولكي نضرب على هذا مثلاً محسوساً لنفحص حالة من الحالات الثابتة المحسودة ونعني بها فرض ضريبة على الدخل تكون موافقة يمكن القبول بها من الجلي الواضح أن ضريبة مهما كانت هي دوماً من الامور المكروهة وتوكلن تنفيذها ينفو مستحيلاً عندما تصطدم بعقلية الشعب المنوى فرضها عليه

أما عند الشعوب التي بلغت نصيباً وافراً من التهذيب والتي هي عظيمة الاحترام للقوانين والانظمة كالشعب الانكليزي أو الالمانى مثلاً يمكن أن يجبر كل مواطن على تقديم بيان عما عنده كما أن صاحب البيان يقبل بكل خضوع أن يقوم جباة الضرائب الاميرية باجراء

تحقيق وتفنيش عن صجة ما جاء في بيانه
ولكن الامر خلاف ذلك تماماً عند الشعوب القائلة بمبدأ
« انتفرد » والتي لا تريد أن تتحمل أى خص أو تفنيش في الحياة
الخاصة . فالضريبة لا تصبح عندهم من الامور التي يمكن احتمالها
الا اذا كانت مؤسسة على علام ودلائل ظاهرة بارزة (كأجور الاطيان
وعدد الخدم وما الى ذلك) أي التي لا تستلزم أي بحث أو استقصاء
يتعلق بالحياة الشخصية

وسنرى فيما يلي أن هذه المبادئ الاساسية منبوذة اليوم ظهرياً
لا يعتد بها أحد



ان ديون فرنسا التي كانت تبلغ عام (١٩١٤) : (٢٨) ملياراً
قد صعدت في عام (١٩٢٢) حتى بلغت (٣٢٨) ملياراً في حين أن
(مقبوضات) السنوية من مجموع الضرائب تتعادل مع مبلغ يساوي
(٢٣) ملياراً بكل صعوبة ، وهو مبلغ سيكفي عما قريب لتسديد
(فوائد) ديوننا بمجهود كلي . فكيف العمل للخروج من هذا الموقف ؟
الذين جميعاً تقبلوا في منصب وزارة المالية عندنا قد بدلوا كل
ما في وسعهم لاييجاد حل لهذه القضية المستعصية على الحل ولما كانوا

لا يستطيعون زيادة الضرائب عما هي عليه بوجه من الوجوه فقد كانوا يبذلون جهودهم بنية تزويد ما يجي من تلك الضرائب فتوخياً لهذه الغاية عرض وزير المالية السابق عندنا انسيو (دولستري) بناء على هذه النصائح التي أسداها له رؤساء الدوائر التابعة لوزارته أمام أعضاء البرلمان جملة طرائق ووسائل جائرة من شأنها أن تحمل جميع رؤوس الاموال على المهاجرة في الحال الى البلاد الاخرى

فأردت أن أعرض على هذا الوزير الرفيع الشأن مشقة الاعتراضات التي هي ذات علاقة بعلم النفس والتي من شأنها أن تبين للوزير أن الوسائل التي تصورها ذات خطر وغير نجيمة ولهذا فقد دعوته الى تناول طعام الغداء الاسبوعي التي جرت عادتنا أنا والاستاذ « دلستر » أن ندعوا اليه ذوى المقام الرفيع من الأشخاص على اختلاف المهن والوظائف التي يمارسونها فكان هؤلاء يتبختون ويتحاورون بشأن المسائل الهامة ويعرضون نظريات أفكارهم أما الوزير فقد تلطف بقبول هذه الدعوة . ولكن صحتي انحرفت يومئذ فعاقتني عن حضور الضواء فعرضت على الوزير اعتراضاتي في كتيب خاص أرسلته اليه هائذ بعض العبارات التي جاءت فيه .

« أنتم تودون طبعاً أن تزيدوا في واردات الضرائب المفروضة على الدخل والايراد . ولكنكم لأجل زيادة مبهمة ضعيفة جداً تعرضون مشروع استقصاء مالى من الجور والتعقد بحيث انه سيبيح ولا مشاحة غيظ المكافين بدفع الجزية وسيحلق للنظام الادارى عدداً كبيراً من الاعداء

« اذا وضعتم ضريبة على الدخل استناداً على العلام الظاهرة البارزة ؛ ولو كان مبالغ هذه الضريبة أعظم مما هو عليه اليوم ، فان الناس يرضون دوماً عن ضريبة موضوعة على هذا الشكل أكثر بكثير مما يرضون عن ضريبة مبنية على أساس من البيانات التى تستلزم التحقيق من قبل الموظفين الاداريين فوى الاختصاص

« انه لمن السهل على المرء ان لم تقل في جميع الحالات ففي اكثرها على الاقل أن يعرف أي شأن يجب أن يجعل لعلام الثروة الخارجية كاجور الاطيان وأجور الخدم وما الى ذلك عند وضع الضرائب وذلك لكي تصبح معادلة لما هي عليه في الوقت الحاضر بل واعظم مما هي بدون الالتجاء للطرائق الجائرة .

« فانا أعرض عايكم اذن أن تقوموا بالتحقيقات الآتية :

« أن تأخذوا بلا قصد بل اتفاقاً : عدداً من الاراق التى تبين

مبالغ ما يدفعه مئة شخص من المكافين بدفع الضرائب يقيمون في

أحياء مختلفة وأن تقدرُوا بعد ذلك المبلغ الذي يجب أن يفرض عليهم دفعه بالنسبة لأجور الاطيان وغيرها من الملائم الخارجية الثروة لكي يصل مبلغ ما يدفعونه الى رقم يعادل المبلغ الذي يدفعونه اليوم بالضبط أو ينيف عليه أيضاً .

« فهذه الاركاز بعد أن تحدد لا يبقى أسهل على المرء من وضع ضريبة على الدخل لا تشوبها شائبة التفتيش المالي بل يرضى عنها جميع الناس بدون أن ينبسوا بكلمة معارضة أو احتجاج . » اه
وقد تكرم جناب الوزير قاجاني (بأنه سيفحص الآراء التي عرضتها عليه باعتناء ماعليه مزيد) ، ولكنه أمام معارضة الاشتراكيين في المجلس لم يستطع في آخر الأمر أن يفوز بمواقفة الا على قسم من تلك الاقتراحت .



لذا كان « ضامنا » موضع مناقشات بوجه خاص قد وضعت الآراء السالفة على بساط البحث لكي ينتقدها اخضرون .
« ما صحة تلك الآراء من وجهة علم النفس فلم يمار فيها أحد .
يبد أنهم أبأوا بكل سهوثة أن ما تخيلته غير حاصل على أي حفظ يجعل قوله محذافه ممكنًا وذلك لسببين هسيدين من وجهة علم (١٧ - اختلال التوازن)

النفس ولكنها قويين جداً من الوجهة السياسية
أما السبب الأول فهو الوقع السيء الذى ستقع فيه اقتراحاتى
من نفوس الاثرا كيين .

والسبب الثانى أشد من الاول ولو أنه أقل جودة أيضاً وهو أن
الضريبة التى تأسست من ذاتها استناداً على العلام الخارجية التى
لا جدال فيها ستحرم الجمعيات (كوميته) والحكام أي الولاية
الذين يحكمون فرنسا في الحقيقة بالنظر لأنهم يقومون بالانتخابات
من واسطة اجرائية ذات قوة عظيمة جداً . ان التفتيش المالى على
النحو الذى يريد الاثرا كيون ن يمارس بحسبه يشابه لولباً من
لوالب الضغط الذى لا تمكن مقاومته . اذ ان هذا البرغى يحل كثيراً
لأجل الاصدقاء ويشدد غاية التشديد نحو الاعداء

إن القيمة السياسية لهذه الأدلة لاخلاف فيها ومع ذلك يجب
أن لانسى في كل مرة أن الانظمة السياسية تضمحل غالباً من
جاء تطبيق القوانين التى تكون مخالفة كثيراً لعقلية الشعب . إن
هذه العقلية هي جزء من القوى التى تدير أمور العالم ، كما أن الانظمة
والقوانين لايتاح لها أيأ كانت ادخل أي تموير أو تبديل على
تلك العقلية

الفصل الخامس

مبادئ علم الاقتصاد^(١) الاساسية

ان التأثيرات النفسية والضرورت الاقتصادية هما اللتان
تعينان مقدرات الشعوب ويحددانها . فالأولى تولد الافكار
والمعتقدات وعنهما ينشأ التهج الذي تسير عليه الشعوب . أما
الأخرى فنما تعين شروط الحياة المادية

ولما كانت هذه القوانين الاقتصادية والنفسية العظيمة ثابتة
لا يغيرها التغيير أو التبديل فإن خرقها وتجاوزها لا يفتقر في حال

(١) معلوم ان الاقتصاد عدة أسماء ، إذ يسعى بالاقتصاد السياسي أو علم
القدر أو علم نقايضة أو علم الارزاق . وفي الاصل الفرنسي اختار المؤلف
التسمية الاولى التي هي أكثر شيوعاً من غيره . أما نحن فقد مضنا نمته
بمع لاقصاد ، مقلد من التسمية التي تفقت كلمة المساء على تسمية الاقتصاد
بها على ما امره بالظهور . أما بقا الاسماء السابقة على لعي المقصود من
هذا العلم .

من الاحوال ولا بد من أن ينال عقوبة
ان علم الاقتصاد يشتمل على جملة من مسائل كراس المال
والعمل والملكية والادحار وما الى ذلك من المسائل التي يتألف من
شرحها عادة مجلدات ضخمة

إن مؤلفي تلك المجلدات قد تسلطت عليهم بعض نظريات
يظهر أنه لا يمكن أن يتم بينها التحانس أو المطابقة . فإن مناصري
مبدأ « المبادلة الحرة » والقائلين بمبدأ الحماية والمثسيمين لمبدأ
الوساطة أو المداخلة وأضراب هؤلاء من ذوى المبادئ المختلفة في
شجار وتعالج متباد مستمر من زمن بعيد وهم حتى الآن لم ينجحوا
في اقناع بعضهم بعضاً

فإذا نظرنا الى معلوماتنا على الحال التي هي عليه في الوقت
الحاضر وحسبنا حساباً للدروس التي ألقتها الحرب على العالم اعتقد
أن مبادئ علم الاقتصاد الاساسية يمكن تلخيصها بالجل الآتية :



- ١) ان نروة الشعب تختلف بصفة خاصة حسب جسامه
المحاصيل التي تخرجها وحسب سرعة وواج ونفاد هذه المحاصيل .
- ٢) ان أى محصول كان لا يمكن أن يكون اصداره الى الخارج

نافعاً الا اذ كان السعر المنوي يبعه بموجبه لا يربو على السعر الذى يبيع بحسبه المنافسون الاجانب . فيستنتج من هذا ان طرائق الصنع وتقسيم العمل ووفرة رأس مال الاصدار تلعب دوراً هاماً في قضية الاصدار .

٣) النشاط في النقل براً وبحراً يمكن أن يصبح لوحده قفلاً منبعاً من منابع البروة فن بعض البلاد الصغيرة التى لاتأتى بمحصول ما كهلثة مثلا قد أتيج لها فيما مضى أن ترمى عن طريق قفل البضائع التى هي ليست من مصنوعاتها فقط .

٤) لما كان مقابل البضائع لا يمكن أن يدفع الا بصفة بضائع أخرى فان البلاد التى تستورد من الخارج أكثر بكثير مما تصدر اليه مضطرة ان تستدين . واذا استمر استيرادها أعظم من اصدارها فان ذلك يعود عليها بالافلاس الا اذا كانت البلاد تملك — كما كان الحال في فرنسا قبل الحرب — ذخراً جسيماً من الصكوك والسندات والحوالات وغيرها ذات المنخل والايراد

٥) أن تولى الحكومة زمام الانتاج أى العمل بمبدأ حمل كل شىء مشتركاً بين الخلق وتولى الحكومة رماه الاعمال عوضاً عن أن يترك السعي والقيام باشرايع للأفراد تنتج عنه نتيجة ثابتة

لا تتغير ولا تنقلب وهي أنه نزول الكثافة والغزارة في المحصولات
وتحصل زيادة جسيمة في فققات العمل . ان علم النفس يكفي لأن
يخبرنا عن هذه النتيجة التي أظهرتها التجربة اظهاراً يربو على
التقدير الكافي

٦) ان العملة المعدنية عدا أنها (وحدة) النقود فهي أيضاً
عبارة عن بضاعة ذا ثقل محدود ميسورة المبادلة مع البضائع الأخرى
التي يمكن أن تقوم هي أيضاً مقام العملة عند الحاجة فيستخلص
من هذا أن باستطاعة الشعب أن يكون في حالة حسنة من اليمن
والفلاح ولو لم يكن يملك شيئاً من العملة المعدنية

٧) إن العملة الورقية المؤلفة من أوراق نقدية لا تحفظ قيمتها
لا اذا كانت مبادلتها بالعملة المعدنية أو البضائع على اختلافها
ميسورة ضمن أجل غاية في القصر . اذا ازدادت وطأة الارغام على
تداول الاوراق النقدية فان ذلك يقلل بسرعة من قوة « ائتياع »
تلك الاوراق .

٨) لما كان ثمن مبيع البضاعة يتعين من نفسه حسب النسبة
الكائنة بين العرض والطلب فان أي قانون من القوانين لأقصر
ناعاً من أن يحدد قيمة تلك البضاعة . ان النتيجة الوحيدة التي

يمكن أن تحصل عن طريقة تحديد الثمن (التسمير) هي زوال غزارة البضاعة (المسعرة) ووفرة كيتها في أول الأمر ثم تحصل في طر انخفاض زيادة الاسعار القديمة للبضاعة التي كانت السبب في الاتجاه لطريقة تحديد الثمن

٩) ان طريقة الحماية وطريقة المبادلة الحرة تتطابقان مع الادوار المتلفة التي تمر على صناعة احدى البلاد عند ما تكون تلك البضاعة في اذن قوة الحياة . فعند ما تكون تلك الحياة الصناعية ضعيفة تأتي طريقة الحماية بالنفع والفائدة ولو انها غالبية الثمن وتفوق تقسم الصناعات المحمية أمام المنافسة الخارجية

١٠) ان رفاهة العامل لا تختلف حسب ازدياد أجرته بل هي تختلف حسب قوة اتياع هذه الاجرة ففي البلاد التي يظل المحصول الذي تنتجه دون الكمية التي تستهلكها فان كل ترفع في الاجور ينتج عنه ترفع في ثمن الاشياء المستهلكة يفوق ازدياد التي اُضيفت على الاجور . أما الشعوب التي تنتج محصولات غير كافية فنرفاهة العامل تنقص كلما ازدادت أجرته

١١) ان انفاص عدد ساعات العمل في البلاد المنفتحة حيث الحصول دون الحدجته معناه زيادة فقر تلك البلاد وجعل المعيشة

فيها أكثر غلاء من ذى قبل

(١٢) عند ما تضعف المعتقدات السياسية والدينية والاجتماعية التي تتألف منها العدد المجهزة بها عقلية أحد الشعوب تحت تأثير المصائب الكبرى والنكبات العظمى التي تطرأ على ذلك الشعب يقوم مقامها حالاً أهواء ومطالب جديدة تمدى تحمقها كل امكان (١٣) ان الشعوب التي تنكر شأن الضرورات الاقتصادية تترك زمام أمورها عندئذ في يد أوهاام تصوفية أو حسية صادرة عن الشعور الباطنى . وهذه الأوهام غريبة جداً عن الحقائق ، ومن شأنها أن تولد انقلاباً وثقلاً عميقين .

ان هذه الحقائق الموجزة يحتمل أن لا تتقف فكر شخص من الاشخاص . ومع ذلك فليس من الامور العادمة النفع أن يجعل هذه الحقائق في قالب دساتير عامة . ان الافكار مشابهة لتلك اخطبت التي ينتهي أمرها بالاعتاتر والنبت فوق أقسى الصخور التي يحملها الريح البها

الكتاب الخامس
القوى الجماعية الجديدة
الفضيلة الأولى
الوهم الاعتقادية
فما يتعلق بقوة الجماعات

يقول (ده كارت) في قائحة مؤلفه المشهور الذي دعاه (حديث
عن « الطريقة » (١) : « ان العقل السليم هو الشيء الذي أحكمت
الطبيعة توزيعه وتقسيمه في العالم أكثر من أي شيء آخر لأن :
كل فرد يخال أنه قد نال من العقل السليم قسطاً هو من الوفرة بحيث
أن الذين هم أعرس الأنام قناعة واكتفاء بأي شيء من الأشياء

(١) يقصد بالطريقة في اصطلاح علم الفلسفة الطريقة العقلية التي يسمي ادهن
بها للوصول الى (المراد) أو لاستجلاء (الحقيقة) والوقوف على
كنهاها — المترجم

لاخرى لا يخطر ببالهم قط أن يرغبوا في زيادة من العقل السليم
عما عندهم

وسيكرس في هذه الكتب القادمة فصل هام للكلام عن
ثبات وبقاء الاوهام المتعلقة بالتفوق المعزول الى الاحكام والآراء
الجماعية (كوالكتيف)

ان جميع رجال السياسة وبخاصة في انكترالايالون في الحقيقة
على اعتقادهم بفاعلية المباحثات الجماعية في صدد حل القضايا التي
لا يتمكن الافراد المفترقون عن بعضهم من حلها . مع أن تلك
المباحثات الجماعية كادت تفقدنا الغلبة في الحرب . فقد انعقد أثناء
أربع سني الحرب عدد من المؤتمرات والمجالس الحربية لا يحصيه عدد
ولم ينتج عنها سوى حروب لا طائل تحتها . أما المؤتمرون فلم يكفوا
عن أوهامهم المتعلقة بقوة ذكاء الجماعات وماله من التأثير اللهم الا
عند ما رأوا أنفسهم على حواف الهاوية فقط . ومع ذلك فقد كان
تنظيم عن أوهامهم وقتياً قصيراً الأجل . وإذ ذلك حملت القيادة الفردية
مكن القيادة الجماعية وبدل الضفر معسكره

وهناك تجارب تمانا هذه تتعاقب في روسيا منذ عدة سنوات
ولقد كن النظر يوز الذين قدوا روسيا الى الخراب التي صارت اليه

قائمين هم أيضاً بأن الجماعات التي تعرف (بالسوفييت) ستحول بلادهم
الى جنة لكن هذه الجماعات قد حولتها الى جهنم

ان من أول أوصاف المباحثات الجماعية هو أن الاشخاص
الذين يخطبون في تلك الجماعات يتحاشون الكلام في القضايا الخطيرة
بوجه عام. أن هذه الواقعة التي شوهدت في أغلب مؤتمرات الصلح قد
تجلت بأجلى مظاهرها في مؤتمري (وشنطن ولوزان)

ففي مؤتمر (وشنطن) كانت تشغل أذهان المؤتمرين في مدة
انعقاد المؤتمر قضية حق السكن في الولايات المتحدة الذي كانت
تطالب به اليابان لمواطنيها لكنه لم يجر في المؤتمر حول تلك القضية
شيء يصح أن يسمى بحثاً وكذلك في مؤتمر لوزان فإنه ما من خطيب
من الخطباء الذين كانوا حاضرين اثناء انعقاده سيما خطباء تركيا
وانكثرة تفوه بكلمة واحدة في صدد المشاغل الحقيقية التي كانت
تمليء أذهانهم وأدمغتهم

بالرغم من جلاء هذه الامور ووضوحها فان الجيل الحالي غدا
اليوم مداراً من قبل ارادات جماعية ادارة هي في كل يوم بتوسع
وازدیاد. فمد تظهر لجزر الوجود قضية عويصة ترى الحكام يؤلفون

لأجل حلها بمض اللجان ولا تكاد هذه اللجان تجتمع حتى تنقسم الى لجان فرعية فهذه اللجان الفرعية تستعمل الموسيقى في القضية ولا تزال بها تقطعياً ونجزاً حتى تفصلها الى قطع دقيقة فتكون طرائق الحل التي وجدت لها بذلك متوسطة ولكنها تفسح المجال أكثر من كل الطرائق التي توجد على غير هذه الصورة - للتأويل والتفسير المتناقضة

ان رجال الحكومات باستسلامهم على هذه الصورة لما تقرره الجماعات وتبت فيه قد خدموا غرضاً من أعظم الاغراض التي تسلت زمام أمور العالم في الزمن الراهن ليس إلا

ان الادارة الجماعية والادارة الفردية هما عبارة عن مبدئين قد شهرا اليوم حساء الخرب في وجه بعضهما وأصبحا يتعاركان لكنه ان تقدر الغلبة لأحدهما البقاء بدون بقاء الآخر

من الجلي ان النهضة أو التكامل الحديث غدا يقود البشر في كل يوم بازياد نحو العمل المشترك (كوالكتيف)

فالعمل والمنجم والسكة الحديدية ولجيتس حتى والسياسة كلها اعمال من نوع الاعمال الجماعية ولكنها لا يمكن أن تفدو على جانب كبير من الفلاح الا بشرط أن تكون ادواتها منوطة بشخصيات

تلمب شوطاً كافياً في مضمار الحق والمهارة

فهذه الضرورة التي تقضى بأن تكون الإدارة في يد الفرد ناتجة عن مبادئ نفسية لا يمكن أن تتحول أو أن تتبدل سبق لي أن عرضتها في غير هذا المكان ويطول بي المقام كثيراً إذا عدت هنا إلى تكرارها فهذه المبادئ توضح أيضاً كافياً السبب في عدم نجاح المؤتمرات والمشاريع التي ترمى إلى جعل كل شيء ملكاً للحكومة وتبين أيضاً الباعى لعدم تكامل أعمال جيوشنا بالنجاح مدة بقائها تابعة لسلطة الجماعات

ان الاشتراكية والمنهب المسى (كولكتيفيزم) (١) والمنهب المعروف بالرايكا ليزم والقسم الاعظم من الاحزاب السياسية لآخري كلها لا تريد أن تعتمد بهذه المعلومات الاساسية في علم النفس . فالمستقبل فقط هو الذي سيظهر لأتباعها أن طبيعة الشخص ميّرات عن ماض طويل وانها لا يمكن أن تتبدل نحو ما نريد ونرغب

(١) هو منهج القائلين بحل (المشكلة الاجتماعية) عن طريق جعل وسائل الاتجاج باجمها مشاعة بين الناس في سبيل منفعة الجماعات ومؤسس هذا المنهب كلود ماركس - لترجم

الفِضْلُ الثَّانِي

مؤتمر جنوى لمثال عمه النتائج

التي يمكن أن تحصل عليها جماعة من الجماعات

قد انتهينا قبل قليل من بيان كون المؤتمرات أو أي جماعة من الجماعات التي هي من قبيلها — عحزة عن حل القضايا التي تعرض عليها . وسرى هنا بأنها قد تصل أحياناً الى نتائج تختلف اختلافاً كاملاً عن النتائج المنتظرة التي كان القوم يؤملون الحصول عليها .

وقد شوهدت هذه الحادثة مرات كثيرة أثناء انعقاد المؤتمرات عديدة التي التتمت منذ أوائل أيام الصلح . أما الذي حض الدول على عقد أكثر هذه المؤتمرات ربما منها مؤتمر جنوى فهو المسترلويد جورج ذلك الوزير الداهية الذي كان وقتئذ يتصرف بمقدرات نكثرة .

ولقد كان لغرض من مؤتمر جنوى في الظاهر السعي لبرمه

الصرح الاقتصادي في أوربة وأعدته الى حاله السابق ثم تشييد
أركان صلح دائم مستمر .

أما الدول التي دعيت الى المؤتمر فلم تبد في الاصل ارتياحاً
كبيراً لعقده . فلقد كانت جميعاً واقفة على مصلحة انكثرة التي
لا تعيش الا من تجارة الاصدار ، عالمة بثنها تبني ايجاد منافذ جديدة
لتحارتها ثقيل هذه التجارة من عثرتها وتأخذ بيدها في سبيل النهوض
ولكن الأمر الذي لم يتح لحكومة من تلك الحكومات أن تدركه هو
كيف ستمكن جماعة بين أفرادها من الاختلاف في الجنس والطبع
ما كان بين أفراد جماعة التي شيدت (برج بابل) — من استنباط
طرائق للترميم والاصلاح ثم تصل اليها أيدي امر الاخصائين وأقربهم
ولم تبلغ اليهم فطنتهم ولباقتهم

وانواقه أن سبب الفوضى الاقتصادية في أوربة التي كان
على المنسويين المجتمعين في جنوى أن يوضحوه — كانت على
جانب من الموضح والجللاء لاجابة معها في الحقيقة لانور جديدة لكي
تصبح تلك الاسباب بارزة للعيان . أما لاسبب التي تمكده عنها
فيمكن تلخيصها كما يلي :

ان تقدم الفن الصناعي وسهولة وسائل النقل في اثر من التي

تقدم نشوب الحرب حملاً كل شعب من الشعوب على التخصص في صنع بعض المنتجات فكانت هذه الشعوب تعيش من وراء تبادل تلك المنتجات . وهكذا فقد كانت الأمم مكونة لكتلة اقتصادية هي من جودة التوازن به كان .

أما اليوم فلم يحتل ذلك التوازن فحسب بل أن جو المحقد واساعة الظن الذي أخذ العالم يروح تحت عبئه الثقيل قد حمل الشعوب على احاطة نفسها بمواجز جبركية بحجة أنها تريد حماية صناعاتها الوطنية . بل لقد بلغ من احكام صيانة تلك المصنوعات أن المرء غدا يشاهد في كثير من البلاد زيادة في المحصولات يكاد الأمل بإمكان بيعها أن يكون مقوداً كما هو أمر مصولات الحديد في فرنسا مثلاً

لنا كانت جميع هذه الامور معلومة فان البعثات على اختلافها لم تستطع الا تيان بشيء اللهم الا تكرار ما يعرفه كل فرد من الناس منذ أمد بعيد . فهل في استطاعة مؤتمر من المؤتمرات أن يجد علاجاً للأمر بل لماذا نذهب بعيداً اذ هل يتمكن المؤتمر من ادخال التبديل على اسعار « السحب » في بلد من البلاد ولو يبلغ منتقم واحد ؟



لم يكتب مؤتمر جنوى النجاح في إيجاد حل للقضايا العام :
الكبرى . ولقد أظهر هذا المعجز نفسه في معالجة القضايا الخاصة
سببا منها قضية ينابيع البترول الروسية التي استولى عليها البلاشفة
ويؤكد العارفون أن قضية زيت البترول التي هي أساسية
في نظر انكلترة هي التي كانت سببا في الدعوة لعقد مؤتمر جنوى
ومع ذلك قد غالت انكلترة قليلا في تقدير مبلغ القوة الكامنة في
الروسيا من مادة زيت البترول . اذ بينما كان محصول الولايات
المتحدة من زيت البترول قبل الحرب يعادل (٣٩) مليون طننا كان
في روسيا لا يكاد يزيد عن تسعة ملايين طن . أما محصول غيرها
من البلاد المتاحة لها كبولونيا ورومانيا وغيرها فهو من حيث النسبة
زهيد لا يستحق الذكر .

بينما أصبح ما يستخرجه العالم سنويا من الفحم يبلغ (١٣٥٠)
مليون طن فان مبلغ ما يستخرج من زيت البترول في العالم يكاد
لا يزيد عن مئة مليون طن .

ان قيمة هذا السائل في جهة استعمالات على جنب من الاعمية
يدركه المرء عند ما يرى الجهود التي تبذلها انكلترة لتضع يدها على
(١٨٠٠ اختلال التوازن)

مناجم البترول الرئيسية في العالم . فلقد نجحت بمدة (٢٠) عاماً في
توطيد أركان سيادتها في البلاد ذات الاحواض البترولية الهامة في
العالم عدا أحواض الولايات المتحدة . ان انكلترة غنت تستطيع
اليوم مزاحمة تلك الشركة الاميريكية العظيمة المعروفة بشركة
(مستنرد اويل) والتي تزيد ميزانيتها عن ميزانية حكومت بكاملها .
هذا وان الشركات الكبيرة الأخرى كلها شركات انكليزية
هولندية ، وهي تؤلف اليوم بأحاديها مع بعضها نقابة كبيرة من نوع
النقابات المعروفة باسم « تروست (١) » وينضم تحت لواء هذه
النقابة عدد من الشركات الكبيرة نخص بالذكر منها شركة (رويال
دوتس -) و (مكسيكن انفل) و (تل) واضرابها . بل أن هذه
الشركة النقابية أخذت في الأصل تنخل في دائرة السلطان
البريطاني يوماً بعد يوم .

ان هذه الحوادث بالرغم من أنها تكاد تبتمد بنا عن موضوع
هذا الفصل يجب مع ذلك أن تذكر ويلمع اليها لكي يظهر للقارىء

(١) هي نقابات مؤلفة من ضارين (سبه كولانور) بقصد انهاض قيمة
شيء من الاشياء أو سعر بضاعة من البضائع وذلك عن طريق الاحتكار .
واكبر هذه النقابات تألفت لأول مرة في اميركا - المترجم

مبلغ ما يمكن أن يكون في المؤتمرات من الاختلاف بين الأغراض المصرح بها .

في مدة لم تتجاوز بضعة أيام أي في برهة وجيزة للغاية كان رئيس الوزراء الانكليز وقتئذ سيد المؤتمر وصاحب الأمر والنهي فيه . ولكن الاحقاد الكامنة ونضارب المنصاح المتعاكسة بعضها مع بعض لم تلبث أن جعلت جهوده عقيمة . وفي آخر الأمر انتقلت إدارة المؤتمر من الأيدي الانكليزية الى أيدي جماعة المتطرفين من الروس وقد لقانون ثابت لا نستطيع لجماعات السياسية الحيد عنه قيد شبر .

ولقد كتبت (الجورنال دو جنيف) وقتئذ مقالا في هذا الصدد جاء فيه :

« إن الحقيقة التي لا مرء فيها هي أن منسوبي التلاشفة لم يكونوا يؤمنون المدح بهم القدر عند ما وجوب وور به ترمد منهم الفراض خسية مقابلة ضحية من ضحيتهم وتعلق بهم قلة عظيمة ملاقة التي تنتظرهم والمثابة التي حية جز بها . »

واذ كان مؤتمر جنوى قد قى من نفس ولاخفق كتر مما لاقت مؤتمرات التي سبقته فذلك لأن عجز الخدعت لدى هو من

الامور المعتادة قد انضم اليه في هذه المرة فعل القوى التصوفية
أو الاعتقادية الذي هو عظيم التأثير على الجماعات والذي لم يصل
اليه أبداً ادراك المستر لويد جورج المنادي بعقد المؤتمر . وقد
سبق لي أن ذكرت القاريء في غير هذا المكان كيف أضاعت
الامبراطورية بمدة لا تتجاوز بضعة أشهر كلا من مصر والعجمو بلاد
ما بين النهرين (العراق) وكيف غدت اليوم تري امبراطوريتها
الهندية يدب اليها الزعزع مبيناً أن كل ذلك نشأ عن تهجمها على
الاسلامية التي هي قوة اعتقادية هائلة ، ومحاولة النيل منها .

وفي جنوى اصطدام أيضاً ذلك الوزير ذاته (أي المستر لويد
جورج) بقوة اعتقادية أخرى وهي الشيعوية تلك المبادئ التي
أصبحت ديناً جديداً له سلطة على نفوس المتدينين فوق كل
السلطات .

ان مندوبي روسيا لكي يحصلوا على رؤوس الاموال هم بحاجة
قصوى اليها يتنازلون بطيبة خاطر عن استثمار منابع زيت البترول
التي لا ينتفعون منها بأقل فائدة ، ويوقعون جميع العهود والعقود مادامت
الوعود التي تعطى « للكفرة » ليس لها أن تقيد المؤمنين بالانجاز
أما الحصول علانية عن المبادئ الاساسية في عقيدتهم بالمواقفة على

التملكات الشخصية فهو من رابع المستحيلات . لان مثل هذا
العدول يلاقى اللوم بسرعة من قبل اخوانهم في الدين والمنهـب .
- ولو فكر الانكليز بان اعظم منح البلاشفة وهباتهم لاتستطيع
كثيرا ان تاتي بتغيير في الازمة الاقتصادية التي يكابدون اضرارها
— اذن لاستطاعوا ان يعزوا انفسهم بسهولة عن رفض البلاشفة .
لان تجارة انكثرة االخارجية لم يكن يجرى منها مع روسيا في السنوات
التي تقدمت نشوب الحرب اكثر من (٣) في المئة .

ما كان انسترو لويدي جورج واتما دوما من قوة الجسات
الوعمية فقد اقترح ان يوقع مندوبو اخكومات في جنوى على
« ميثاق ضمن عدم اعتمده » ، يكفل كل حكومة من مبدئية تبرز
بالشروط مما لانت فيه انه كن يعتبره ميثاق نوعا من نوع نقد
مى يقبده من يمكنه من غوء حاضره وخذ عيه . شى اتى
لا زلت تسأل به عما يمكن ان يفكر به صاحب مثل هذه
الفكرة ؟ فهل استطاعت حقيقة ان يتعرض وجرى رجل واحد في العالم
من رجول اخكومات تبغ منه مسدجة حماً يحبه يؤمن به عليه
مثل ذلك ميثاق ؛ لاجره ن مثل هذا مبدئ يحول ابدأ دون

تمد فجائي مادام باستطاعة المعتدي دوما ان يبرر فعلته اذا ما اكد
للملأ بان اراضيه قد دمرت من قبل الطيارات كما كان من امر المانيا
التي انجنت طيارات (نورمبرغ) حجة لاعلان الحرب علينا
عام (١٩١٤)

ولقد كان من الجلي في الاصل أن الروسين سيمنعون عن
توقيع الميثاق المقترح . أما ذلك اليهودي الذي كان يدير ما يقوم به
الحيتس الاحمر من الملاحم وأعمال السلب والنهب والذي كانت دلائل
الغضب بادية على وجهه العابس المظلم قد كان يمان في حنوى بصوت
مرتفع والسيف في يده الواحدة والآنجيل اليهودي الشيعى في يده
الأخرى — عن الغارة التي ستقوم بها كتائب جيشه على أوربة مؤملا
بنلك ادخال الرعب والفزع على قلوب أعضاء المؤتمر وبانظر لوثوق
المنسويين الروسين من تأثير الخوف والتهديد على روح الجماعات فقد
جعلوا خطاباتهم تدور باشكال غامضة بعض الغموض حول قطة ذات
وجبين . إما الدرام وإما الغارة والاستيلاء

ان ما أظهرته العصبة البلشفية من التعجرف والغباوة قدخلص
رجال الحكومة الانكايزية من معاناة الخجل اذ ظهر أن مثل تلك
الأقوان قد أثرت عليهم وعملت عملها في قلوبهم . أما المسترلويد

حورج ذاته فقد رجع القهقرى وهكذا انتهت جلسات المؤتمر على نحو
جميع المؤتمرات التي انعقدت قباه بظهور عجز الجماعات الكامل عن
حل قضية من القضايا خصوصاً عند ما يكون كل من أعضاء هذه
الجماعة ممثلاً لأغراض ومصالح تباين الأغراض التي يمثلها الآخرون
وتناقضها .



الْفَضِيلَةُ الثَّلَاثُ

الجماعات البرلمانية الكبرى

على رأس جميع الحكومات الحديثة يوجد جماعات تعرف تحت اسم (البرلمانات) على انه لا شك في أن هذه البرلمانات ليست أفضل أشكال الحكومة التي يتيسر ايجادها بل هي الشكل الوحيد الذي يكاد يكون مقبولاً لدى الناس اذ أن الديمقراطيين الظافرين مازالوا في تردد دائم بين النظام المطلق وبين طريقة حكم العدد أي الاغلبية .

ان البرلمانات متصفة باوصاف الجماعات فإما عدم قرار الجماعات وتردها وشدتها كما أنها تخضع أيضاً لتلك القوانين الاعتقادية التي لها من التأثير الكبير على الخلق

ان من الأوصاف التي تمتاز بها البرلمانات الحالية نمو الاحزاب المتطرفة فيها كالحزب الاشتراكي والحزب الشيوعي وما اليهما . . .

أما برلماننا فإنه لا يفرق من هذه الوجهة عن غيره من البرلمانات
الأوربية الأخرى فرقاً محسوساً بل فيه أيضاً عدد من المحافظين هو
وأقلية من المتطرفين كالأشراكيين الثروريين والقائلين بمبدأ المداوية التي
ترى إلى جعل أم الأرض عثة واحدة واضراب الفريقيين وما
ينحون نحوهما

وقد كان من أمر هذه الأحزاب المتطرفة كما يحدث دوماً
أن عدت تلحق بنفسها شيئاً فشيئاً تلك الأحزاب القديمة التي كانت
تعتبر فيما سبق من الأحزاب المتطرفة ونخص بالذكر منها حزب
"راديكاليين"

أما نزعتها فتزداد في كل يوم تعلقاً بأهداف الثورة واثرة التناقض
وقد جعل أحد أعضاء هذه الفئة في قالب دستور ونخصها بتخصيصاً
موجزاً في العبرت التذي (مسح الامور ولا ملائحة الفرد وحرمانه
من وسائل الانتاج التي يتمسك بها كحجر مشترك بين الناس)
ثم من خصوص ضريبة لا يرد فقد فصّح عنها هذا « نبوت »
ذاته أيضاً على الوجه الآتي : (بقدر ما نكون الضريبة جائرة
ومدعة للأذى وبدرجة نضمر يزداد نفوس في خدمة أغراض
الكواكبيغيزه)

تنبعث عن هذه الاعترافات صراحة واضحة ووضوح الشمس في زواجة النهار . فان الاشتراكيين يعلمون جيداً أن في القضاء على الصنوف الصناعية والتجارية قضاء على الصنوف الأخرى في نهاية الامر . ولكن هذا في الحقيقة هو الغرض الذي يلاحقونه للتوصل الى الثورة التي يحسبون أنها ستعود عليهم بالنفع .

إن هؤلاء الحواريين الذين يبشرون بعقيدة جديدة يتزعمون الى "ثورة في أحاديثهم وأقوالهم لكنهم قليلو النزوع اليها في خواطرهم وأفكارهم . فهم دوماً لا يعرفون كيف يتصرفون بأقوالهم ولكن أساتذة لهم يخيفون ويرعبون يجبرونهم على ادارة أفعالهم والتصرف بها حق التصرف . ولما كانوا كثيرى الاتباع بنظام الدرجات في الرتب والمنصب فهم يخضعون بخوف مشفوع بالاحترام للبرامج التي يضعها رؤساء الفرنسيون أو انسكوييون أو الجمعيات الفرنسية أو انسكويية ذلك لأن كلام من الفريقين : رؤساء أو الجمعيات ذو خبرة تامة بتلك الصنعة التي يتاح للعارف بها أن يحمل الناس على اطاعته ولا أذعان لمشيئته

إن منابت هؤلاء الحواريين الجدد مختلفة عن بعضها بعضاً فبعض منهم قدموا على اعتناق الاشتراكية الثورية لأنها بدأت اليهم

كحرفة ذات مستقبل مجيد ، ويوجد بينهم من جهة أخرى اناس اغتروا بقيمة العقيدة الجديدة وهم بوجه عام ذوو عقول تصوفية تأخذ عقائدهم دوماً شكل عقيدة دينية فللكات والساتير في نظرم قوة سحرية ، وهم يعلمون من مصادر وثيقة أن في الامكان تتويج السعادة ملكة في هذه الدنيا وتقليدها صولجان الحكيم بواسطة بضعة قرارات موضوعة بقاب الامر والقضاء

يؤلف هؤلاء القوم باعتبار المجموع كتلة ثورية في الظاهر ولكنها في الحقيقة كتلة مطيعة فرواحهم التابعة للمجموع اتباع الشدة للقطيع سهلة القيد على المحرضين وأهل الزعامة. كما أن شخصيتهم الضعيفة تمنحها التأثيرات الجماعية (كوناكتيف) التي هي على غاية من التوه والشدة

ان الاشتراكيين التورويين ذوي خسر بسبب الخوف الذي يصونه في النفوس بوجه خاص. ذلك لأن الذين تنطوى نفوسهم على مزيج من اخوف وحياء يتوارون عن الابصار أمام أهل العسف والعنف ولقد أيد تاريخ مجس التوروية الكبيرة عندنا هذا القنون في جميع الأدوار فقد ارهبت احدى فرق نورثد الكبرى التي كانت تعرف وقتئذ بعصبة الجبل العصبية معروفة بعصبة اسهل زمنًا طويلًا بارغم

من أن عدد افراد الأخيرة كان يفوق عددهم في الأولى ثلاثة أضعاف بل لقد كان رفاق (روبسيير) في عشية اليوم الذي سقط فيه يكبرون له ويهللون ويشيدون بذكركه ويتغنون ، ولم تمض بضعة ساعات حتى أصبح على هؤلاء الرفاق أن يبعثوا برفيقهم الى ساحة الاعدام

فلهنه الاسباب النفسية التي هي على غاية من البساطة غدا الاشتراكيون يبتلعون الحزب الراديكالي القديم شيئاً فشيئاً . أما ضعف هذا الاخير فهو عظيم ذلك لأن عقائده غير ثابتة . ولقد غدا يسير وراء الاشتراكيين كما كانت (عصبة السهل) تسير وراء روبسيير بعامل الخوف من الموسى التي قدر لعصبة السهل بعد ذلك أن لا تجد الى التملص منها سيلاً

وانه لا يشجى النفس أن يحقق المرء مبلغ تعاضم شأن الخوف في مجانسة البرلمانية . فلقد غدا الوزراء لا يسرون طبقاً لرغائبهم واراداتهم بل تبعاً للخطة الفاسدة التي يدفعون نحوها أما آراؤهم والشخصية قد تحلوا عنها وتقاوسوا بوجه خاص عن المدافعة عنها منذ زمن بعيد

ان ما ينقص رجال الحكم الجدد في أغلب الاحيان ليس هو الذكاء بل السجية فوضوا عن أن يسعوا لاناارة الرأي العام وأحكام

سياسته وادارته تراهم يسرون وراعوي يتبعون خطواته. والرأى العام في نظرهم هو رأى نفر من السامة المتعصبين أو أفراد بعض الجمعيات العائشة في الظلام لدامس الذين يستمدون قوتهم الفاهرية من الشدة والصوتة من المؤكد أن سجايا الاشتراكيين لا تزيد على سجايا خصومهم ولكن عادة الأذعان والاطاعة للمحرضين الظالمين تمنحهم تلك القوة التي يملكها دوماً الجيش الذي يتبع الانظمة اتباعاً تاماً ، ولا يجيد عنها قيد شبر

ليست الحجاس بوجه عام من مصطلحات الناس العجذيرة بكثير من الاستحسان او بكثير من عكسه. فهي تمكيف بحسب ما يكيفها زعموها. ولهذا فان الارادة القوية والمستمرة تساعد على ترأس الجماعات بسهولة

والمشكى في أمر كل مجلس جديده هو معرفة ما اذا كان سيظهر بين اجمع الحاصل المؤلف من أعضائه بضمة أشخاص ذوي ارادة متينة وعزم ثابت لا يتزعزع قدرين على الاستمرار في الجهد والكد وهم من سعة المحاكمة ودقة البصيرة ما يسب عدمهم على تمييز الامور الممكنة من الامور الخيالية

فحول مثل هؤلاء القادة تلتف الآراء المترددة المتحيرة بسرعة
فإن الأشخاص منذ بزوغ فجر البشرية وفي أثناء جميع الأديان التي
تعاقبت على التاريخ لم يتمردوا بزهة طويلة قط فقد كانت الرغبة الخفية
التي تكنها صدورهم هي دوماً أن يكون على رأسهم حكومة أو ما يماثلها
تسوس أمورهم وتدير شؤونهم

إن الحكام الذين يفصحون عما يريدون بجلاء وصراحة بدون
مواربة ولا مخاتلة يحصلون بسرعة على السلطة والنفوذ الذين هما
قاعدتين ضروريتين للسلطة المستمرة . وإذا ذلك يجمعون حولهم
بسهولة أغلبية من شأنها أن تنقاد لبضعة أفكار رئيسية أساسية
عوضاً عن اتباع جميع النيارات الوقتية التي تحرك الأشخاص الذين
لم تتعين لعقليتهم وجهة خاصة بعد . للرجال روح غير ثابتة كروح
جموع الناس وهي تصطف وراء الزعماء الذين يهدونها إلى سواء السبيل
بوضوح وجلاء فتسير وراءهم مدفوعة إلى ذلك بعامل الفطرة أو الميل
الغريزي

* * *

إن القضايا الكبرى التي تعرض على بساط البحث في البرلمانات
لا يمكن أن تحل إلا بواسطة أغلبية ملتفة التوافقاً صادقاً حول أحد
رجال الحكومة تكون له القدرة على قيادتها لا بواسطة تلك الأغليات

التي تجمعها الصدفة والتي تظهر خبز الوجود وتضمحل منه في خلال أسبوع واحد

أما جميع الوسائط الأخرى التي تورث في هذا الصدء بما فيها وسائط وضع القوانين الأساسية الجديدة فهي أقوال فارغة . لم يغير الانكليزية نونها الأساسية منذ أيام الملكة «أنا» لكن الحق الذي لا مزية فيه هو أنه لم يكن لهم يوماً قانون مدون تدويناً باتاً

والذي جعل الشعوب اللاتينية تتناول قوانينها في أحايين كثيرة جداً بالتبديل والتحويل هو تلك العقيدة التصوفية التي لا تتغير المتكئة من عقول تلك الشعوب في قدرة الدساتير التي لا تحدها الطبيعة . ما تلك التبدلات فقد ظلت في الأصل عديمة المفعول على مدى الأيام . ليس للقوانين والأوضاع أي فضيلة اذ ليست هي التي تجدد الأرواح بتاتاً . إن الشعب لا يمكن أن يحصل على حكومة أفضل من ذاته . كما أن لأرواح غير الكثرة تكون دوماً ذات حكومت غير ثابتة أيضاً .

إن أعظم لاختفاء اللاتينية من حيث خطورة وأعصها على التقويم والتحويل هي في حقيقة الاعتقاد بأن جمعيات يمكن أن يرد إليها كيانات بواسطة القوانين . والذي منح الاشتراكية قوتها الأولية هو تعميم هذا الخطأ

أي كانت أطماع الساسة وأحلامهم فإن العالم أصبح يسير في معزل عنهم بل غدا يسير بدونهم يوماً بعد يوم. فالعلماء ورجال الفن والصناعة والزراعة أي الأشخاص الذين يولدون للشعب قوته وثروته أمسوا لا يطلبون من السياسة ألا ان لا تعترض سيديهم وتعوق أعمالهم. إن النظريين الثورويين لا يتمكنون من إيجاد شيء ولكن باستطاعتهم التخريب والافساد ولقد سقط العالم في كثير من الاحيان ضحية زبغهم وضلالهم وبواسطة قائمهم النحاس المشؤوم رسفت بلاد عديدة منذ أيام اليونان القديمة في اغلال الرق ، وطنى على كثير غيرها بحر الخراب والدمار



الفصل السابع

تطور الجماعات نحو ائطال مختلفة

من الاستبداد

ان أعتصاب عمال السكك الحديدية البلجيكية الاخير والحركات
التي تليها التي حدثت في فرنسا وازدادت وفي غيرهم من مختلف البلاد
كها علامات تدل على الاهواء الحديدية التي غشت تحتلج بها
نفوس الحق

وحقيقه الأمر كثيرأ من هذه الاعتصبات التي تنتج عن
احدى المفاوضات و المناحذات التي تجرى في صدد الأحرار بل تحت
عن دعوات سياسية غشت تدعيمها ضيقة العمل . فندستير الحديدية
القاتلة من اسحق ليمونين والسكك الحديدية لعمال السكك الحديدية
ودستور استشار طبقة العمال بالحكم ، وما الى ذلك من المستيركها

تترجم بأفصح لسان عن الافكار الجديدة التي أصبحت تتمخض
بها عقول طبقة العمال

ولقد أصبح من العجلى في يومنا هذا أن الشعوب وحكومات هذه
الشعوب أيضاً غدت تتطور نحو أشكال جديدة من الاستبداد
والاستئثار بالحكم . فهذه الاشكال مشتركة أو جماعية في الظاهر
لكنها في الحقيقة فردية وذاتية في كل حين بل يجب أن نلج الى أن
الحكومة الجماعية حتى عند أعظم الاثرا كيين تطرفاً كالشيوعيين
والروسيين تمثل استئثار بضعة محرضين بالسلطة ليس إلا

إن اشكال الاستبداد هذه ترضى بها الجماهير دوماً بكل ارتياح
لأنها [أي الجماهير] لم تفقه في الحقيقة أشكالاً للحكومة غير هذه
في يوم من الايام فرؤساء تقابات تلك الجماهير متلامم عبارة عن ملوك
صغار تطاع أوامرهم بالسهولة التي كانت تطاع بها أوامر الطغاة الاسبويين
في الزمن القديم أما خسم هؤلاء الطغاة الجدد فيتوهمون بأنهم من
انسادة الحكام ومثل هذا الوهم يكفيهم

وعلى ذلك فإن العامل اليوم غدا لا يطمع بزيادة مستمرة في
الأجور فحسب بل هو يتوق بوجه خاص الى زعزعة أركان الجمعية

التي تدعى عنده الرأسمالية وقلبها رأساً على عقب لكي تحمل ديكتاتورية
تخدم مصلحة خاصة

ان صنوف العمال تعتقد بنفسها أيضاً القدرة على تشييد دعائم
سلام عام بالتقريب بين عمال جميع البلاد وضم شملهم وكنهم بينما
يؤمنون بهذا الخلم سعى عن باهر أن الحكومات الشعبية بحسب الحقائق
التي قررها، علم التاريخ هي دوماً محاربة (محبة للحرب) أكثر من
حكومات السلاطين والملوك

بل ان (دولية) صنوف العمل السطحية تصطدم في الأصل
بفكرة القوميات التي أخذت تنمو حديثاً في جميع البلاد فلقد غدت
الشعوب التي فصلتها عن بعضها ضغائن كل منها ومصالحه تحيط نفسها
بمواجز جمركية وعسكرية وهي في كل يوم تزيد في تحصين هذه
الحوجز ودعما. إن كلمة (الاخاء) لا تزال ماثلة في اشعار الجمهوري
'نرسوه دوم، على جدراننا كمن أثرها، قد زال من القلوب منذ زمن
بعيد !

ان الأهواء التي غدا يتوق اليها جمهور الخلق ترجع لأسباب
مختلفة ، ولما كان درسها جميعاً لا يتيسر لي هنا فستقتصر على الاملاء
الى أن تلك الأسباب قد ارددت قوة بسبب ما أظهره الحكم من

العجز الكامل أولاً عن منع نشوب حرب مهلكة متلفة ثم عن الحصول على صلح يضمن عدم نشوب حروب جديدة
ان أى حكومة من الحكومات لا تبقى على حالها إلا بواسطة النفوذ الذى يولده النجاح ، فهي تضعف ثم تضمحل عندما يزول نفوذها ويتلاشى

يضمحل النفوذ تحت تأثيرات مختلفة نخص بالذكر منها الهزيمة العسكرية فان سقوط الحكومة يمكن أن يحصل عندئذ آتياً ، وهذا في الحقيقة نفس ما حدث للإمبراطورية في فرنسا بعد الحادثة التى وقعت في « سيدان » والعهد « القيصرى » في روسيا بعد فشل حكم القياصرة وهزيمته ولجميع السلطنات الالمانية بعد نكبة جرمانيا وسقوطها من قبة مجدها

إن وقوع مثل هذه الحادثة طبيعي جداً ومن المعلوم أن المصائب والنكبات تحمل الشعب الذى يقع ضحيتها على التمرد ضد الحكام الذين لم يعرفوا كيف يمنعون حدوث تلك المصائب والبلايا
أما الحكومة الظافرة فلها على العكس من ذلك ترى أن نفوذها قد ازداد اذا كان ظفرها حقيقياً بكل معنى الكلمة
هذا ومع أن النصر الذى عقلت راياته فوق رؤوسنا كان جد

حقيقي فن النتائج التي حصلنا عليها من وراثته لا تبدو باهرة ولا تبعث على الارتياح الكثير يدلك على صحة هذا أن فرسة الظافرة قد أصابها من الفقر نصيب أوفر مما أصاب ألمانيا التي لم يلحق ببلادها أي تخريب أو تدمير، وفضلاً عن أنها (أي فرسة) لم تحصل على شيء من التعويض فقد غلت بحيرة على أن تقوم هي ذاتها بالتعميرات التي بلغت ما يقتضى لها من النفقات (٨٠) ملياراً

إن المتتورين الألمان يعرفون ه ذاتهم أن حالتهم من الوجهة المالية أفضل من حالة فرسة

ولقد كتب الألماني المسمى (بارفوس) مرة مقالاً في هذا الصدد

قال فيه

ه إن حالتنا من لوجهة لمائية ليست من اتردعة بمكان عظيم بل هي أفضل من حالة الحكومات الظافرة . فلقد فرضت علينا هذه الحكومات غرامات جسيمة نكسها مهم . يكن من أمر هذه الغرامات فن مبنها محدود . في حين أن التآهبات والتسديدات لا تعرف لنفسها حداً كما أنها تميل الى اتريادة في اتوسع دوماً . وعدا ذلك فننا نقصد في اناها ما يحد : (٥٠٠٠٠٠٠) من لاشخاص . فهؤلاء لا لشخص عوضاً عن أن يلبسوا في المشكنات فنهبا يستخدمون

في الاعمال الصناعية حيث ينتجون سنوياً من المصنوعات الجديدة ما لا يقل قيمته عن المليارين من المراكات الذهبية . « اه
ان فرنسا التي تخلت عنها اميركة في أول الأمر ثم تخلت عنها بعدئذ انكلترة عدت في كل يوم تزداد شعوراً بعزتها وانفرادها وبالاخطار التي تفتج عن هذه العزلة سيما منها خطر اكتساح بلادها من قبل العدو .

أما موقفها ازاء حلفائها القدماء فلا يدعو الارتياح ولا يبعث على ارضى والسرور . ولقد تكلم المستر (كينس) وهو كاتب انكليزي لا يبعد من أصدقائنا عن هذا الموقف قهره في العبارات الآتية ، قال :

« ان على فرنسا بالرغم من انها خرجت من الحرب متوجة بأكليل الظفر أن تدفع خليفاتها مبلغاً يعادل اربعة أضعاف مبلغ التعويضات التي دفعتها لالمانيا عند ما انكسرت عام (١٨٧٠)
« وقد كانت يد « بسريك » خفيقة الوطاع عليها ازاء يد خليفاتها ، لأن . » اه

ولهذا فن الكسر العام لم يبد على الناس اعتباراً بل هم محتون

في كثيره لدرجة ما . أما هذا الكدر العام الشامل فقد جاء مساعداً
لأمني صنف العمال المنعقدة على الاستئثار بأحكام ويلاحظ مع
ذلك أن هذا الصنف الذي هو كثير الصياح والجلبة عنده ، يعان
عن مطالبه لا يتضرر ، لياً بأي ضرر من جراء الحرب

بل علي العكس من ذلك قد تحسنت حالته كثيراً بينما
أفراد الطبقة الوسطى قديماً قد وصلوا الى حالة يرثى لها من الفقر
والضيق . ان بعض أرقام تكفي لاثبات هذا الأمر :

ان العامل والموظف غدا اليوم يربح أربعة أو خمسة اضعاف
ما كان يربحه قبل الحرب في حين أن دخل ذوي من الخردة
يصعد أي كرم من مقدار الثلث عم كان . وذا نظرنا في بعض
عمال معينين كجماعة المصححين في المطابع نرى أنه غدا باستطاعة
كل منهم أن يحصل على أكثر من (٤٠) فرنكاً في اليوم .

ما الذين يمحسون هي دخلهم من قبل الحكومة ومن وراء
النجرة أو العمدة فقد تبرت خلة معهم كثيراً وكثيراً لا تتكلم
الاعن أسه - ذوي الدخل واكثرهم حظاً نفرض أن أحد ذوي
الدخل الذين هم على عهد الله كمة بعد أن قضى حياته منكب بكل
نشاط على أحد الأعمال اليسوية أو تدونية عزيز لعمل حواي

الستين من عمره ، وفي صندوقه من الدخل مبلغ ستة آلاف فرنك .
ولكى يستوثق من أمر غده ابتاع برأسه عدداً من أسهم الحكومة
أو من صكوك السكك الحديدية وما إليها

ولبت الرجل يقبض من وراء هذه القيم التي تسمى عند جمهور
المالين « بالقيم المضمونة تماماً » الايرادات ذاتها . ولكن لما
كان النقد الاعتبارى أى الاوراق المالية التي تدفع للرجل فقد قدمت
من (قوة ائتياعها) الثلثين فقد نقص من مبلغ دخل الرجل فكأنما
حجز من مبلغ دخل الرجل ثلثاه . وعلى ذلك فقد هبط مبلغ الدخل
الذي هو معادل لسته آلاف من الفرنكات الى الفين فقط .

أما العامل فإ يهد مثل هذا النقص . فان أجرته ترتفع من
ذاتها تقريباً حالما تهبط قوة ائتياع النقد الذي يدفع اليه .

قد ابتعدت بنا هذه الملاحظات عن موضوع هذا الفصل
الاساسى وهو تطور السلطات السياسية ، و اشكل مختلفة من
الاستتار بالحكم

فبعد أن أبنا هذا التطور عند صنوف عامة الخلق بقى علينا
أن نحققه لدى الصنوف السياسية التي قادت إليها سياسة الشعوب
وادارتهم .

ف نقول أنه سبق حدوث هذا التطور انحلال كامل في روابط
الاحزاب السياسية القديمة . ف لقد بدأت عليها جميعا هيئة « اتحاد
العهد » التي تؤذن بانتهاء أجل الاشياء .

فلراديكاليون ولاشترائيون المتحمسون وأنصار الملكية وكثير
غيرهم غدوا يتكلمون بالفاظ مبتذلة لم يعد يتجاوب لها أي صدى في
النفوس ولم تعد تؤثر فيها في شيء

ان القضايا التي كانت بالأهم تستهوي النفوس والتي يريد
القوم اليوم أن يعيشوها من أجدادها لا تدعو سوى استنكار حقائق
الساعة الزاهنة وخلق البال عن الميل إليها . لبت شعري من غدا يتم
الآن للبحث في موضوعات نظير موضوع محاربة الاكليريكية أو
اتقاد المستشفيات والمدارس من نفوذ جماعة الاكليروس أو حرد
جمعيات الرهبنة من البلاد واخرجهم منها او فصل الكنيسة
عن الحكومة : أو ما الى ذلك من الموضوعات ؛

ن الاحزاب السياسية القوية في بلاد الأخرى تعني هذه
الانحطاط ذاته . فسياسة الانكليزية القديمة متلاغا يظهر انفس
اليوم شيئا فشيئا ، غير ممكنة . إذ ، التي آلت اليه حل تلك
المذاهب « العزلة الفخيمة » وتلك الادعاءات المتمثلة بسط السيادة

على البحار والاسيلاء على الشرق؟ وعلى هذا فقس .
الا أن الافكار والآلهة لا تضمحل خلال يوم واحد . ذلك
لاتها قبل أن ترقد في اللحد وتصبح أثراً بعد عين تنور بينهارحى
الحرب مدة طويلة .

وهذا هو السبب فيما نراه من محاولة الاحزاب القديمة في جميع
البلاد وسعيها في سبيل الحصول على النفوذ عن طريق اضافة بعض
الافكار الجديدة سبباً أكثر هذه الافكار تطرفاً — على مبادئها
التقدمية التي تتمشى عليها

عند ما تتناقش الاحزاب السياسية تُضطر الحكومات الى
المضى في أعمالها . ولهذا فإن جميع رؤساء الوزارات في مختلف البلاد
أصبحوا شيئاً فشيئاً بمثابة ملوك حقيقيين امام بطوء الجماعات
وعجزها . أما الوزراء الآخرون الذين كانوا فيما مضى معادلين
لهؤلاء في المنصب فلم يعودوا سوى رؤوسين عليهم أن ينفذوا
الاورام التي يصدرها سيدهم الحالى ليس الا .

ان هذه السلطة المطلقة التي ولدت أثناء الحرب لا تفترق من
حيث الجوهر عن السلطات الاوتقراطية القديمة الا في موضع واحد .

وهو أن الاوتقراطي في الزمن القديم لم يكن يسقط عن عرشه الا بواسطة ثورة بينما الاوتقراطي الحديث يمكن أن يسقط بواسطة التصويت ضده في البرلمان . وهكذا فن المستر لويد جورج بعد أن حكم انكثرة وقسما من أوربة حكما مطلقاً مئة سنوات عديدة سقط عن عرشه بواسطة تصويت بسيط جرى ضده في البرلمان عقيب ركوبه متن الشغل في سياسة الشرق .

ولقد كان رؤساء الوزارات حتى الآن ينحنون أمام التصويت الذي يجري ضدهم في البرلمانات فيسقطهم عن منصة الحكم : الا أنه قد حدث خيراً تطور جديد في العالم ابتداءً أولاً في إيطاليا . وان ما أضبره رئيس الوزراء الايطاليين الذي أبلغه الى هذا المنصب ختم منذهب الفاتيسى من الاستخفاف بالتصويت البرلماني يكاد يدنا على أن سقوط وزراء من منصت حكمان يتم ذره . بعد الآن بالتسوية التي يجري بها الآن .

قد اشتبكت مصانع الشعوب وغرضها تشب ك أصبحت معه (السلطة المصنعة) التي تعاضت في د خيبة لبارد تنه قص على لعكس من ذلك تنقص مستمر في الخرج . ف أصبحت الضرورة

تقضى بالسعي وراء بعض الأشكال الاولية للحكومات الجماعية كالمؤتمرات والمجالس والبعثات وجمعية الأمم وما الى ذلك . أما هذه الوسائل فاتها تزداد تنوعاً وتعددًا في كل يوم ، ومع ذلك فإن النتائج المستحصلة من ورائها لم تقترن حتى الآن بالفاعلية المطلوبة

ان أشهر هذه السلطات الجماعية هي جمعية الأمم التي سنفردها للكلام عنها فصلاً خاصاً بعد قليل . ان تأثير هذه الجمعية في الزمن الراهن يكاد يكون والعدم سواء ، ولكن من الجلي تماماً أنه في اليوم الذي تصبح فيه الجمعية ذات سلطة حقيقية أي عندما ما يتيسر لها الوساطة التي تجعل قراراتها محترمة سيغدو العالم موسوماً من قبل حكومة مطلقة فوق الحكومات تتصرف بأمره كما تشاء .

ولهذا فإن الولايات المتحدة نمارفضت الاشتراك بجمعية الأمم رفضاً باتاً — كما سبق لي أن ألمعت في غير هذا المكان — لان بصيرتها نفذت الى هذا الأمر الجلى نفوذاً صحيحاً فوقفت على حقيقةته التي غابت عن نظر رجال الحكومات الاوربية فإيبصروها ولم تدركها بصائرهم . وقد استنكرت الولايات المتحدة أن يكون شعب عظيم بعبراً على الخضوع لقرارات جماعة أجنبية ، وبداله أن هذا الامر من الامور التي لا يمكن القبول بها

لا شك بأنه لن يتعاضى على الاحتمال شكل من أشكال الاستبداد التي غدا العالم مهدداً بها تعاضى الاشتراكية الضافرة ، اذ أنها ستحمل الشعوب التي تقع تحت سلطة قوانينها عبثاً من اليأس لا أمل بالنجاة منه .

بعد أن قضت الاشتراكية على روسيا وأعملت في البلاد الألمانية والمغناطية معول التخريب والتدمير بضة أشهر ، قامت تهدد الحياة الاجتماعية في إيطاليا زكن هذه قد تخلصت منها بواسطة حركة رد الفعل الشديدة التي جاءت بها (الفاشيستية) :

ومما يدعو لسرور أن فرنسا من البلاد التي تقل عن غيرها استهداها لتحقيق المبادئ الاشتراكية وذلك بفضل طبقة الرأء التي تؤنّف جزءاً ثابتاً في كتلة سكانها

ان القروي الفرنسي قد أصبح في طليعة القابضين على زمام الثروة الحقيقية ، ولا يهجمه كثيراً أن يفقد الفرنك اثنين وما يزيد عليهما من « قوة ابتياعه » فن محصولاته الزراعية كالتحج والسكر والماشية وما إليها عبارة عن قد ميسور لمبادلة والمفاوضة لا يعتري قيمته النقص ولا يتأثر هبوط سعر الاوراق المالية .

ان صنف القرويين قد ترى اثره عظيماً أثناء الحرب ولم يكن

له من أمنية سوى الاحتفاظ بالارض التي يحصل عليها . وفضلا
عن ذلك فهو لم يكن يوما بحاجة الى احد بينما الناس بأجمعهم
محتاجون اليه .

وقد كان هذا الصنف خلال أيام الصلح كما كان أثناء نشوب
الحرب حصنا حقيقيا في وجه تلك الجمعيات التي تحركها الاطماع
الجشعة والاوهام الفارغة . وهو يؤلف اليوم نواة من نوى المقاومة
الواقفة في وجه الديكتاتوريات الشعبية التي أحدثت في أوربة
ما أحدثت من الاضرار



الفضل الجليل

جمعية الامم واولهام الناس بتأمرها

لو كتب تاريخ الاوهام التي ذهبت الشعوب المنقرضة ضحيتها
ملاً مجلدًا ثقيلًا. اما الاوهام المتسلطة على الازمنة الحديثة فمنها لو
احصيت في كتاب تتألف من ذلك مجلدًا اكثر ضخامة يضا .

وفي الحقيقة ان العالم لم يكن يوما — حتى ولا في عهد الحروب
الصليبية حيث كان الايمان صحيحا قويا لا تشوبه شائبة — قولا لم
يكن العالم يومئذ تحت سطة الاوهام الاعتقادية او السرية والقوانين
المتفرعة عنها — قدر ما هو اليوم .

وانه ليصعب على من ان ينكر مثلا ان يوجد في عدد
الاسباب الرئيسية للشوب اُخرى العظمي وهدم عقداية في دماغ
شعب يعتقد ان الازمة السهاوية وتفوقها من حيث العنصرية قد
اختصتها لان يحكم نعام ويتولى ادارة اموره .

على انه لم يكذب يحدث الصلح الذي جاء خاتمة لهذه القصة
الاعتقادية حتى أخرجت الايام للعالم أوهاما جديدة لا تقل عن تلك
شؤماً ونحساً . فهي قلب أوربة اليوم رأساً على عقب وتهدها
بحروب ستفوق من حيث الضرر والتخريب المارك التي لم يخرج
منها العالم الا بكل جهد وعناء .

ان العلم الحديث قد استطاع فصل اجزاء اليابسة عن بعضها
وجعل الفكر يستطيع الانتقال الى المدى البعيد بسرعة البرق
ولكنه ليس من القدرة بمد بحيث يستطيع تبديد الاوهام التي
تعني أبصار الخلق وبصائرهم

بين هذه الاوهام يوجد أوهام كانت السبب في وجود جمعية
الأمة والقاعدة التي قام عليها صرح بناء هذه الجمعية فلو كانت
ارادة الشخص وقبول الشعوب ورضائها تكفي لتأسيس الانظمة
الدائمة اذن نكانت جمعية الأمة قد أحدثته بصورة باقة نهائية .
لقد كان الموجد لهذه الجمعية في الحقيقة رئيس حكومة حبه
الظروف بقدرة مطلقة . وقد قوبلت نيته التي رمى اليها والتي
جاءت بمجددة لنيات قديمة تماثلها بكل شغف وهيام من قبل الشعوب
التي جعلها ترجو الصالح الأبدى على يد مشروعه .



أما أميركا فقد تفردت خلافاً لجميع بلاد العالم برفض الهدية التي قدمها أحد ابنائها للعالم فكانت الدهشة التي اعترت أوروبا من هذا الرفض عظيمة . ولكن الإيمان أو الاعتقاد بقي ثابتاً راسخاً غير متزعزع حتى اليوم الذي اصطده فيه بجدار التجربة

لم تمض الا سنون قليلة جداً على الزمن الذي قم فيه ببناء جمعية للأمم على أسس لها هيئة الأُسس الثابتة التي لا تقوى الأيام على إبادتها وتخریبها . وقد زال اليوم اغترار الناس بها وتبددت أوهامهم بثباتها تبديداً بلغ من العظم حداً يضاهي جسارة الآمال التي كانت معقودة عليها عند ما أخرجت خبز وجود . فن عززها قد ظهر في الحقيقة كاملاً في جميع القضايا التي عجزت
أما الآراء التي أبتتها فلا يبق رأي منها ذناً صاغية عد
لقرار المختص بتقسيم (سينيزيا - اميا) .

لقد كانت هذه الحجة جد استثنائية لأن طريقة الحل التي أبدتها الجمعية جاءت مطابقة للحل الذي تم الاتفاق عليه سابقاً من قبل الذين يهمهم شأن تلك القضية بدون أي جدال أو خصم . أما فيما عدا ذلك فن جميع لقرارات الأخرى التي أصدرتها جمعية الأمم
(م-٢٠ خلال التوازن)

كانت تلاقى الرفض من قبل ذوي العلاقة بما قرره .

ان اول خلاف عرض عليها حسه هو الخلاف الذى عرض
أمام محكمتها من قبل (بوليفيا) و (شيلي)

أما مندوب (شيلي) قد رفض الاعتراف باختصاص جمعية
الأمم وأضاف الى ذلك هازئاً متهاكاً بأنها اذا كانت تدعى المقدره
على رسم خارطة العالم من جديد (فان هذه « الواسطة » التى خلقت
لتثبيت دعائم الصلح فى العالم سيؤول الأمر بها الى اثاره الحرب)
العالمية كما أن هذا المندوب ذاته قد أنكر على جمعية الامم أيضاً
حقها فى التدخل والتوسط فى شؤون اميركا

أما المجلس (أى مجلس جمعية الامم) قد قبل بهذا الدرس
بكل تواضع واحتشام ، ثم لكي تحفظ الجمعية مكانتها قليلاً ولو فى
الظاهر قررت تعيين لجنة مهمتها تحديد صلاحية الجمعية

أما البولونيون فلم يكونوا أقل شأنًا من غيرهم فى هذا الباب قد
أفصح الوفد البولونى أمام الملاء بكلام خرج فيه عن المؤلف خروجا
مشفوعا بالازدراء والاستخفاف عما يخالج ضميره متعلقاً بقضية أراضى
(فيلنا) التى عرض على جمعية الأمم أن تبت فى أى الفريقين
المتنازعين يجب أن يختص بها دون الآخر ، وأعلن عن ذلك

بقوله (ان بولونيا لن ترضى عن الحل الذي مستقره جمعية الأمم)

ولقد ارتأت جمعية الأمم لكي تمنح قراراتها التي لم يحترمها أحد من الناس شيئاً من القوة أن تحصل على الحق الذي يخولها محاصرة الحكومات التي ترفض الخضوع لها بحصار اقتصادي .

أما تهديد الحكومات بمثل هذا الحصار فيذهب عبثاً إذا أنه لكي يصبح مشروع حصار كهذا نافذاً يتطلب الأمر في الحقيقة مصادقة الأربعمائة دولة التي يتألف من ممثليها مجلس الجمعية وهيئات أن تم مصادقة هذه الدول . بل من المعلوم أن نابليون برغم السلطة المطلقة التي كانت في يده لم ينجح في الاستمرار على محاصرة انكلترا بمثل هذا الحصار .

ولقد لاحظ مندوب الحكومة الإيطالية وبحق لاحظ أن طريقة الحصار لا يمكن تطبيقها بسبب الضرورة التي تقضي (باحترام استقلال مختلف الحكومات) فمن الواضح والحالة هذه أن أي حكومة من الحكومات لن تمنحني أمه مقررات يصدرها نوع حكومة خارجية فوق الحكومات وهي تميل إلى عدم التنازل عن استقلالها .

إذا كان عجز جمعية الامم تاما فما ذلك الا لأنه لا يوجد لديها أى واسطة تستطيع ان تحمل الناس فيها على احترام قراراتها. فان القوانين سواء كانت دينية او اجتماعية تستند جميعا بدون استثناء الى عناصر اساسية ، وهذه العناصر هي المعاقبة والمكافأة أو الجنة وجهم .

ولما كانت قرارات جمعية الامم عبارة عن قانون تعوزه عقوبة معينة قد بقيت لا حول لها ولا طول ، فهل يمكن أن نفكر بمنحها جيشا يستطيع ان يحمل الناس على احترام الاحكام التي تصدرها ؟ ان هناك شرطا ، لا يمكن أن يكون مثل هذا الجيش ذا نفوذ و (فاعلية) بدونه ، وهذا الشرط هو ان يكون عدد الجيش عظيما وبالتالي ياهظ النفقات ، ولما كانت جميع الامم ستشترك في تجنيد هذا الجيش فلن يكون عليه ان يشتبك في ملحمة ما ، فتضعف هيئته لتلك في نظر الناس ولا يرجى منهم ان يخشوا بأسه كثيرا

اتنا اذا ما اكدنا بأن القانون الذي تعوزه العقوبة اي الذي يموزه الضغط لن يصبح في يوم من الايام محترم الجانب فاما نؤكد

بأن القوة هي عماد الحق الضروري وعدته التي لا تخفى عنها . وانه لما كان هذا شأن القوة فلا يوجد في العالم هذا السبب حق بدون قوة

ان هذه الحقيقة التي عبثاً تحول اجمل "صبيانية التي يؤمنها الاخلاقيون طمسها وحجبها وراء ستر اسود قتمه معترف بها من قبل جميع المنتسرين لذي تطلقوا قليلاً في اعماق العلم التي يدرسونه .

ولقد أُخِ انتسرت الباحكي الكبير (دمون بيكار) في مؤلفه الحديث « الشؤون الثابتة في الحقوق » وسهب في الكلام حول هذه النقطة وهي « ان عنصر الصنفا هو من العناصر الاساسية في الحقوق » وضاف على ذلك مديلي :

« ان الدستور القدير ان القوة لا يمكنها ان تخمق الحق وتوحده .
ليس الا عبارة عن صيحة ساذجة منبعثة عن جهل حريء في الشؤون الحقوقية والقانونية »

ان أي قوة سواء كانت معنوية او مادية تؤور في نتيجة واحدة لا تختلف منه الزمن لذي تمور فيه باجبار الدس على التعرف عليها ، واذا كان البيا (غريغور السابع) قد اسغف فيما مضى من

الازمان أن يجبر امبراطوراً من امبراطرة ألمانيا الذين اشتهروا بلحول والطول والشوكة والقدرة على الهجاء الى اعتاب كاتدرائيته في (كانوسا) ويطلب منه المغفرة وهورا كم على ركبتيه — فما ذلك الا لأن هذا البابا كان في نظر الامبراطور يستطيع التصرف بجميع القوى السماوية والجهنمية كما يشاء ، ولهذا قد كان يبدو أن الحبر الاعظم المنعم عليه بمثل هذه القوة لا يمكن أن يقلب أو أن يقهر .

وعلى ذلك فن النفوذ يمكن أن يتحول الى قوة معنوية تفوق القوي المادية . فاذا آل الامر بجمعية الامم في زمن من الازمان التي هي بمد مجهولة لا يعرف موعد حلها الى الحصول على نفوذ كاف فن تأثيرها يصبح حقيقياً ، أما في الوقت الحاضر فاتها والعدم سواء .



ان الكلام عن الدور الذي ستلعبه جمعية الأمم في المستقبل عديم الجدوى . ولقد بلغ من استعمار نار الضغائن الموجودة اليوم بين الشعوب وتماظم هوة التناقض بين المصالح التي تفرق بينها ان أى محكمة دولية غدت لا تستطيع الفصل في أى خلاف أو نزاع .

ومن المؤكد انه لن تكون قراراتها التي ستقف حائلا أمام مصر وتركيا والمهند تمنع هذه الشعوب من أن تلج في طلب استقلالها. يحد السيف عند ما تصبح من القوة بحيث تتمكن من ايهال أصواتها الى الاسماع . كما انه لم يقدر لمحكمة مثل هذه أن تتمكن من منع اليابان عند ما يكثر عدد أفرادها لدرجة عظيمة عن المطالبة بحرية الدخول الى اراضى الولايات المتحدة الاميريكية لمواطنيها . انه ما من احد يستطيع اليوم حقيقة ان يوقن بأن جمعية أمم سنستطيع (تصفية) المشاكل التي نرى بأب العين انها تزد د تعاضا بين الحكومات يوماً بعد يوم ، وانها ستتمكن من ازالة جميع اسباب الخلاف والنزاع القائم بينها

ان قداماء المدافعين عن جمعية الأمم انفسهم قد ضاعوا تقهم بها بسرعة . واننى مورد كبرهن على صحة ما اقول النبذ الآتية التي اقتبسها عن جريدة (الضان) تلك جريدة التي مر حين من الدهر كانت فيه تفوق جميع انصار تلك الجمعية تعصباً لها ونحزباً .

« ان جمعية الأمم هل هي من القدرة بحيث تستطيع منع نشوب الحرب وإيقافها ؟

« في عام (١٩٢٠) أصبح بلاشقة روسيا على وشك احتلال (فرسوفيا) فما كان من جمعية الأمم الا ان اجتنبت التدخل في هذا الشأن .

« وفي عام (١٩٢١) شهر اليونانيون حسام الحرب في وجه الاتراك . أما جمعية الأمم فقد انسحبت بانتظام من معالجة هذه القضية والاهتمام بها .

« على انه لا يسعنا ونحن نريد ان لا نبخسها حقها الا ان قول انها رغبت في الفصل في قضية (فيلنا) ولكن حكومة (ليتوانيا) رفضت « بيرودة » شكل المصالحة الذي استصوبه مجلس جمعية الأمم .

« هذا هو نوع السلطة التي تملكها جمعية الأمم عند ما يطلب منها ان تمنع سفك الدماء او ان توقف هذا الامر عند حد لا يتعداه . » اه

لما كان اعضاء جمعية الامم يتوقون لجمال نفوذهم النحيز

أقوى مما هو عليه ويمتقدون كذلك أن المهمة المنقاة على عاقبتهم كبيرة النفع ، فقد خصصوا لأنفسهم كما خصصوا لجامعة (محسوبيهم) و (مقربهم) الكثيرى العدد رواتب باهظة لا تقل عن رواتب الأمراء والملوك . وبحسب ماجاء في تقرير امسيو « نوبلر » نرى أن السكرتارين يتقاضون راتباً سنوياً قدره (٢٥٠) الف فرنك ، ومعاونيهم يكتبون بمئتي الف فرنك . أما رؤساء الدوائر الذين يوجد بينهم أفراد من الاشتراكيين المعروفين فيتناونون ثلاثمائة الف فرنك كما أن المتوسطين من الموظفين يتقاضون مبلغاً يوازي راتب مرشال في فرنسا

ان هؤلاء الموظفين انعم عليهم برواتب ملوكية قد انتخبوا من جميع الأنحاء تقريباً ، على أن أمر انتخابهم كان حسب (عيار « التواصي ») التي كانوا يجمعونها من ذوى الكلمة المسموعة . وهذا قد كنت ترى بينهم أستاذ صغيراً من أستاذة المدارس العادية أو مراسلاً بسيطاً من مراسلى الصحف وهم جراً .

علي ان اعضاء جمعية الأمم ه يتفردوا وحدهم في أمر اختصاص أنفسهم باجور لايسم بضحمتها غفل فن فرنسا وأوربية صبحت ايوهم غاطستين حتى الاعناق في بحر رانخر من (الوكالات) أو

(البعثات) الطفيلية التي لا يدخل عددها تحت حصره ، والتي منى بين عشية وضحاها ان افرادها أصبحوا من أصغر موظف مكلف (بتصفية) حسابات الرزم المتكسفة حتى المكافين (بمناظرة) أعمال التعميرات من ذوى الثروات وما ذلك الا بفضل الرواتب الملوكة التي يتقاضونها . فني (فينا) مثلا يسكن اعضاء لجنة التعميرات في قصور فخمة يكتنفها سياج من الزينة الاسيوية البديعة

وفي ألمانيا ذات الشيء أيضاً فان رواتب موظفي لجنة التعميرات هناك بحسب المعلومات التي نشرتها جريدة (الماتان) تتراوح بين ثلاثين الفاً من الفرنكات حتى الاربعمئة الف فرنك

ولقد أتينا على بيان هذه الأرقام لانها تساعدنا على أن نرى الى أي درجة سيصل نحس الطالع طالع الامة التي يصيبها الفشل في الحروب المقبلة . كما ان أرباب النظريات الذين يعملون على جمعية الأمم فقط لأجل تثبيت دعائم الصلح ومنع شن الغارات يجدون في التبصر بهذه الأرقام درساً فلسفياً ينتفعون به

ان وراء تلك الستارة الخطرة التي نسجها النظريون من أوهامهم مراجل تغل في الضغينة التي يحفظها في صدره سمب يعد ستين مايون نسمة لا يرى لزوما لان يكتم الناس بأنه تواق جداً

الى الانتقام عند ما يشعر بأن فرنسا قد اضعفها اختلاف بنبيها وأهملت
قواها تنازعهم وشقاقهم . ان الحروب القادمة سوف تنكر الشفقة
اكثر من كل مرة وستتصوب تلك الحكمة التي لفظها (برنوس)
التي ينتسب لبلاد (غاليا) قبل ألفى سنة وهي : «الويل للمتلولين»
وهكذا قد حول (برنوس) الى شكل دستور عام احدى تلك
الحقائق الابدية التي سيستمر تحكها برقاب المخلوقات الى أن يبرد
جرم كرتنا الارضية على الكامل وتفتد الحياة علي سطحها

ان جمعية الأمم بالرغم من عجزها الكامل في الوقت الحاضر
فهي جديرة مع ذلك بان يحتفظ بها وذلك لكي تسعى في اخمد نار
المنازعات والمخاصمات الصغيرة التي تذكي ناراها الانانية والاثرة قبل
أن يندلع لهيبها فيكون سببا في التهام معارك كبيرة .

ان التهديد والانتقل يكتنفان أوروبا من كل جهة في الوقت
الحاضر ، ففي مثل هذا الجو المحيط بأوربة ليس من الامور العادة
لتنفع أن توجد محكمة حائرة على قسم مهما كان ضئيلا من آثار السطة
والنفوذ الذين غدت تقدهما في كل يوم الآلهة ، والانظمة والملوك

الفصل السادس

النفوذ

والدور الذي يلعبه على مسرح السياسة

لقد سبق لى أن أُلححت في الكلام والحفت حول عمل النفوذ في حياة الشعوب ومبلغ ماله من التأثير فيها . على ان الرجوع الى الكلام في هذا الصدد هنا ايضا لن يخل من فائدة يؤكد الاقتصاديون بأن الحروب ستصبح عديمة الفائدة مادامت تعود على الغالب بالخراب والدمار والافلاس بقدر ما تعود على المغلوب . على انه يجب ان لا ننسى مع ذلك بأن النصر كان ولا يزال ولما يزال اعظم مولد للنفوذ الذي تتطلبه سعادة الشعوب ورفعها في حلل البحبوحة والرفاه

ان النفوذ هو الذى يحكم الناس اليوم كما حكمهم في جميع الاجيال التى تعاقبت على التاريخ . والذى رفع اليابان الى مصاف الحكومات الكبرى انما هو حربها مع روسية ، كما ان الحرب ايضا

هي التي قلت صولجان التفوق الدولي في اوروبا الى يد انكائرة
بعد ان كان فيما مضى بيد المانيا

ان مؤتمر لوزان واحتلال الرور من البراهين النصصة على التثر
الذي يعود به النفوذ على الشعب . فان هاتين الحادثتين تفوقن من
حيث الخطورة والاهمية جميع الحوادث التي رآها الناس منذ أيام
عهدة الصلح على وجه التقريب وذلك من الوجهتين السياسية والنفسية .
أما فيما يتعلق بفرصة فن دخولها الى الرور بالرغم من المعارضة
البريطانية البالغة منتهى الشدة دل على تحررها من نير الرق الانكايزي
الذي تزداد حلقاته يوماً بعد يوم . كما انه أشار الى ان نفوذنا بدأ
بالعودة الى الارتفاع والتسامي .

وأما من خصوص تركيا فقد كانت الحكومات في أمس اليوم
الذي أحرز فيه مصطفى كمال النصر على اليونان بسرعة الصاعقة
تدرس الوسائل التي تضمن اخراج الاتراك من أوروبا اخراجاً تاماً ،
بل لم تكن حتى أمس ذلك اليوم تتنزل لقبول رسل الاتراك وسفرائهم .
أما في اليوم الذي تلي النصر التركي فقد تبدلت الاحوال تبدلاً
جوهرياً آتياً . اذ أن ذلك الوزير المتعاطف للتغطرس ونعني به وزير
الأموار الخارجية البريطانية وقتئذ قد ذهب نفسه الى مفاوضة المنويين

الترك في لوزان ، ولبث مدة ثلاثة أشهر يفاوض أولئك المندوبين (الذين جعلهم النفوذ الذي حصلوا عليه من وراء النصر يتصلبون في مطالبهم بقدر ما جعلهم أيضاً يسخرون من كل ما يعرض عليهم) في شروط صلح أجبر بريطانيا على التنازل عن جميع ما تدعيه .

ولما كانت فراسة مشتركة في تلك المفاوضات فلم يكن لها مناص الخضوع لتنتأج تلك الاختلافات الواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار التي فرقت كلمة الحلفاء . ولقد استفاد الترك من ذلك فرضوا مطالب لم يكونوا أبداً ليجرأوا على عرضها امام خصوم أكثر اتحاداً واتفاقاً

ان احتلال الورد قد قلب رأساً على عقب جميع افكار الحكومة الانكليزية التي كانت على يقين تام بأن فراسة ستبقى مقيدة بما تريده بريطانيا وتبغيه .

وعند ما كانت انكثرة تساند المانيا وتسمعها ضدنا كانت في ذلك نسير بحسب ما تمليه بعض المصالح والاعراض السياسية التي لا يجب أن تتجاهل مالها من قوة وسلطان .

أن انحلة التي يسير عليها الخصم لا يمكن أن يدرك كنهها الا

بعد تكبد الجهد الذى يتطلبه اثبات الامر بحسب افكار ذلك
الخصم .

وعليه يجب أن نحاول استبدال عقليتنا بعقيلة الساسة الانكليز
منذ أوائل أيام الصلح ولننظر بعدئذ لنعلم ماهي البواعث الرئيسية
التي تجعل سياستهم تسير في الوجة التي نراها تسير فيها .

بعد ان ستولت انكاثرة على ما يمكنها الحصول عليه من المانيا
من مستمرات وسفن حربية وتجارية وبضائع وغيرها كانت لها
مصلحة واضحة في اقالة المانيا من كبوتها الاقتصادية تتمكن من
بيع بضائعها فيها كما في السابق . وعلى ذلك فقد أصبح واجباً أن
يحال بين فرنسا وبين قبض النقد الالمانى الذى يمكنها من ترميم
ايلتها المحرقة لئلا يمتنع تسريه الى خزائن التحار البريطانيين .

وفيما عدا الفوائد التحرية التي تجنيها بربطنا العضى من وراء
معاونتها للامانيين فقد كانت في حخطها تتبع قعدة من القواعد
التقليدية في سياستها وهي منع فرنسا من أن تصبح قوية جداً امام
دولة المانية ضعيفة جداً .

ن هذه الخلاصة الموحزة لسياسة الانكليزية التي أفصت في
ايضاح كسها في امكنة أخرى من هذا الكتاب أكثر مما أفصنا

هنا — يساعد على ادراك السر في معارضتها كما انها تبين لماذا يضيف نفوذ فرنسة في اوربة على الكامل لولم تحصل عليه هذه ثانية قيامها بعمل استقلالي محض . ولا مشاحة بأن فرنسة لولم تقم بما قامت به لحل في اوربة التفوق الدولي الانكليزي مكان التفوق الدولي الجرمني بصورة نهائية .

يعترف الآن الكثيرون من متنوري الانكليز بما تنطوى عليه سياستهم من الغفل . واعترف (اللوق دونرمبرلند) في خطاب له بأن غاية جميع جهود الحكومة الانكليزية تنحصر في مساعدة المانيا على التلمص من النتائج التي جرها عليها انكسارها « وانه وصل الامر بالمستر لويد جورج الى حد التهديد بقطع العلاقات مع فرسة وعقد محالفة مع المانيا » .

كما ان هذا الخطيب ذاته قد أتم خطابه بقوله « ان الاستمرار على اتباع مثل هذه السياسة لاشك بأنه سيفضي بنا الى خوض غمار حرب جديدة في اوربة قبل مضي برهة جديدة كما لاشك في طلوع الشمس غداً » .



كثيراً ما اسي رجال حكومتنا ما للنفوذ من المكائنة الالمانية

بما كورم أى على سبيل الاقتصاد فى الوقت والعمل وهكذا فقد
كان يكفى عدد قليل من الامثلة للعبرة والزجر

ولقد كان من نتائج جهلنا بعلم النفس ان حدث عصيان عام
فقد لاحظ « هرمان مولر » أحد رؤساء وزارة المائة السابقين
وبحق لاحظ : « ان ضبط الحالة الذهنية السائدة فى الرور وجعلها
فى قبضة اليد لا يكون ممكنا الا اذا شعرت كتلات السكان بان
المقاومة غير ممكنة ولمست عدم امكانها لمسأ . »

فكيف استطاع القابضون على زمام الحكم عندنا اغفال عناصر
اساسية فى نفسيات الشعوب نظير هذه وكيف أمكنهم أن يذهلوا
عن أن بذل شيء من الشدة كان من شأنه أن يسهل عليهم افهام
جاهير السكان بان المقاومة غير ممكنة بوجه من الوجود ؟

ان الذين حكموا الشعوب لم يحكموها دوماً فى الحقيقة بواسطة القوة
بل بواسطة النفوذ فان سلطتهم كانت تضمحل عند تقلص
نفوذهم . فهذه القاعدة الاساسية فى صناعة حكم الشعوب قد
عانت استثناءا

ان النفوذ يبقى دوماً أكبر العناصر المسيطرة على جاهير الامامة

التي هي عاجزة عن الشعور بمحادث مستقبل عجزها عن إدراك
الحقائق الراهنة. اذا منت الأيم على رجل من رجال الحكومة
بالنفوذ يمكنه عندئذ أن يعلم كيف يسير الآراء العامة ضيق
رغباته وبذلك يمنح قراره الشخصية قوة لا كبرية حتى أن
صناعة حكم الشعوب غدت اليوم تستند على هذه العملية في جل
الاقوات

واقوع انه يسود وريه منذ أوائل أيام الحرب عدد قليل من
الرغماء انطلقى التصرف الذين منت عليهم الأيم بالنفوذ، ولذين
يستعملوا الجماعات الاسكى يمنحو احكامهم الشخصية أى الفردية
القوة اللازمة

هكذا كان بوجه خاص دور الرئيس ولسن تنى اعتبر كمتل
لشعب المدسعد في أماء الحرب. فقد ساعد نفوذه التى لاحده
على قلب جميع ما خلفته يد التدرينج رمت على عقب وعلى تحويل
قدم السلطنت لأروبية في حكومت صغيرة يس هأى كين
اقتصادى ينكن أن يفوه بؤده

كما أن المستر ويد جورج وزيره بريضاني لأور قديم انه
استند على النفوذ عدم علاج في وربة ديكتاتورية حقيقية

مدة بضع سنوات ولقد استطاع بفضل هذا النفوذ أن يمنع فرنسا أثناء توقيع معاهدة الصلح من استعادة حدود الرين القديمة التي هي بحاجة ماسة اليها لسكي تضمن سلامتها ولقد استند ايضا على النفوذ شأنه في كل مرة، فساعد المانيا بعدمضي برهة من الزمن على رفض دفع ما عليها لفرنسة من مال التعويض المتعلق بالتعويضات

بل أن هذه السلطة التي ايس عليها من رقيب (تقول لارقيب عليها لان البرلمان المضمون الجانب لايمدرقييا) يمكن في الاصل أن تصبح مبعث مصائب وأحن فأما النكبات والبلايا التي ولدتها أعمال الرئيس ولسن فلن تمكن روتها الا بعد أن يمضي عليها روح من الزمن وأما التي نتجت عن أعمال رئيس الوزراء الانكابتز قد سبق للناس أن رؤها عندما أفضى عدم اعترافه ببعض القوي النفسية الى انسلاخ ايرلندة والعجم ومصر وبلاد ما بين النهرين عن جسم امبراطورية بلاده الاستعمارية وضياع سيادتها في الشرق ولا شك بان سلسلة الاسباب التي تنبعث عنها الافعال نحوي كثيرا من النواحي الغامضة : ولكن معارفنا قد بلغت مع ذلك من الاتساع حد يمكن أن نظفر سنه بطائل فيجب على رجال الحكومة أن لا ينفسوا انهاذ، كانت القوانين الاقتصادية تهود حياة الشعوب من الوجهة المادية فن القوانين النفسية له، سلطان على آراء تلك الشعوب والمهاج التي تسير عايبها

الكتاب السادس كيف تتكون عقلية الامة

التحيز الأول

أراء الاميريكين في التربية والتهديب

عندما بيدي في السابع والعشرين من شهر يرا عام (١٩٠٥) ،
سطلون الامبرعورية الروسية الكبير في الكاهل خلال بصح
ساعات من قبل المذمت "يب بيدي" كورسما اكن دعت الة
كبرا وانهاه عقي : فقه تحي عين بصورة تجية آبة في
الحقية خرافة كراه الك مسفر في ذهن "انس من لا الك حني
ذلك حين أن اليب الحقرة التي بعمرها له له لا مند نفى
قرن فقط قد غلت حكومه من حكومت قوية لى لايتهن
بشأها : بن قديجلى ذت بصورة وضح عندما رى الناس أن
القشل كان حيف الروس ذوما في جميع خروب التي خاصوا غره

ضد اليابان بالرغم من أنهم كانوا في كل مرة يفوقون اليابانيين عددا
ولقد سألت وقتئذ سفير اليابان في باريس المسيو (موتونو)
عن أسباب هذا النجاح الذي حالف اليابانيين فأجابني هذا الموظف
!لتقدير هكذا:

ان نمو اليابان ونهوضها اخلالى يرجع السبب فيه بوجه خاص
الى (ضرائق التربية والتهديب) التي اختارتها عند ما قامت بثورة
خرجت على اثرها من نظام الحكم الاقطاعي : فطرائق التربية
هذه التي تم انتخابها بفضة وفهم جعلناها تتجه في وجية من شأنها
ان تجلو الطبع او الغريزة التي اورثنا اياها اجدادنا وتأخذ بيد هذه
!السجية في طريق الكمال « اه

ولقد كان من امر المانيا اثناء هذا الدور نفسه ايضا في برهة
لا تزيد عن نصف قرن ان نجحت بجعل نفسها في مقدمة جميع
الامم طرا من الوجية العلمية والصناعية : ولقد حصلت على هذا
التفوق بطبيعة الحال بفضل بعض الطرائق التي تمشى عليها في التدريس
والتعليم وهي مختلفة كثيرا عن طرائقنا ، كما ان الفضل بذلك
يعود ايضا على ماجاء في بيان لاحد الوزراء الألمانين لنوع
النظام واخذود امدنية المدين تقنهما الشعب الألماني على يد طريقة

الإدارة العسكرية التي تسير ألمانيا عليها

أن الفصول السابقة قد اظهرت لمقاريء انى أحد بلغ خلال الحرب بتوازن حياة الشعوب

فختلال التوازن هنا غدونا نصادفه في كل جهة : فمن عدم توازن سياسى الى عدم توازن اقتصادى . الى عدم توازن مالى . الى عدم توازن فى الأفكار

ولقد اصبح من واجب الناس ان يهبوا لترميم اعمام التى تقوضت دعائمها فتخرب وتهدم . لكن اوسائل اتى من شأنها ان تساعد على عادة بناء اصرح العانى ليست عديدة ذلك لأن الاعتدال بالاوضاع السياسية يكون من قبل لاستسلام الأوهام ، إذ انه إذ كانت الاوضاع السياسية من بعد و ست من لا سبب فى تمنع حياة الشعب العميقة وكما لا تقتصر بها

من التأثيرات التى من شأنها ان تعدل روح الامة وتكيفها مع منها ، روح الاجيب التى هى بعد على جانب من المنقوية ، يتحلاف فكره معه ان تدخل فى قلب خصمها ، ان هذه التأثيرات فى خلالها إذ تكون ذات تأثير اهم الا فى عصور التمدن

قط — تنحصر في هذين الوسيلتين لا غيرها التريبة والنظام
العسكري

لقد مرت سنون عديدة على تدويني في احدى مؤلفاتي هذه
الجملة التي تنص على (ان انتخاب طرائق التريبة يستوجب اهتمام
الشعب أكثر بكثير مما يستوجب انتخاب شكل الحكومة)
بل لقد أصبحت الاخطاء التي ترتكب في شؤون التريبة
والتهذيب ذات خطر كبير جدا في الايام الاخيرة

أما عمل التريبة فخطورتها فقد كان تاليا تقريبا عندما لم تكن
الصناعة قد ولدت ولا القوى الاقتصادية قد ظهرت وعندما كان
الاشخاص يجهدون انشطة التي تضمن لهم العيش والبقاء مرتسمة
أم ارتسام حال خروجهم للنور من ظلام الارحام وعندما كانت
التريبة ليست سوى ضرب من ضروب التزينة والتبرج على جانب
ضئيل من الاهمية

في حين أن قيمة الشخص غدت اليوم تختلف أكثر مما يكنز
بحسب ما اعترفه من مدين التريبة وانهذيب . ولهذا يجب أن
يعجب القارئ اذا رأى أعود هذا الى البحث في هذا الموضوع
بعد أن سبق لي الكلام عنه في كثير من مؤلفاتي

لقد أسفت كثيراً على موت (تيودور روزفلت) الذي كان من
أعظم رؤساء الولايات المتحدة

على إنني لم أسف لوته لأنه كان دوماً صديقاً كبيراً لفرنسة فحسب
بل لأنني كنت أعلق على معاونته ومساعدته آملاً جساماً في سبيل
إيفاء خدمة جلي لبلادي — أيضاً

واقدم كنت معروفاً منذ زمن طويل من ذلك الرئيس المشهور
بواسطة الكتب التي صنعتها وألفتها . على أن التصديف له
تسمح لي بالالتقاء به إلا قبل نشوب الحرب بشهرين . وذلك
عندما دعاه صديقي القدير (هانوتو) وزير الخارجية قديماً تتناول
طعام الغداء على مأدته . إبان المسير (روزفلت) قد عين
وقدمت بنفسه الأشخاص الذين يرغب في رؤيتهم على
مائدة الطعام

ففي أثناء تناول الطعام بين الرئيس قديمي على أنه قد ضرب
بسببه وفر من مكانه وعق التفكير في أمر واحد فقد كان منصفه
النايت ذلك يستشهد على حرماتهما من كل ناحية من ناحية
بسرعة كبيرة .

وبعد أن تكلم (روزفلت) في الأفكار من التي يروى لوجهة
التي يتجه نحوها قدة لتعرب العظم وجهه فغرد له قلب نحوي وقار

لي بصوت يتبين منه الجهد والحصافة :

— هنا كتاب صغير لم يفارقتى أبداً في جميع الاسفار التي قمت بها كما أنه ظل دوماً فوق منضدتي في أيام رئاستي وهذا الكتاب هو مؤلفكم المسمى : (أسرار تطور الأمم) .

ثم أفاض الرئيس في إيضاح الدروس والمعلومات التي تضمنها ذلك الكتاب في رأيه .

فانحنيت له شكراً وأنا بدون شك على غاية من السرور الا أنه أدهشني قليلا في الوقت نفسه كيف استطاعت الاشعة المنبعثة من أفكار فيلسوف من بسطاء الفلاسفة أن تصل الى هذا البعد القصي من الذبوع والانتشار . والأمر الذي لاشك فيه هو أن رجال الاعمال الذهنية هم الذين يسرون رجال الاشغال العضلية في الوجهة التي يريدونها ، الا أنه قدما اعترف الأخيرون للأولين بهذا التأثير والنفوذ فمنذ ذلك الحين وابت في ذهني فكرة أحب الرئيس أن يشترك معي فيها . ولكن وفته حالت دون تحقيقها ، وإذا كنت أتكلم عنها في هذا الفصل فما ذلك إلا لأنني أوئل أن يقع عليها نظر مواطن من مومني ذلك الرئيس ممن بلغوا من اتساع النفوذ حداً يمكن فان يكون سبباً لتحقيقها



يعرف الجميع بواسطة ما نشر منذ مد بعيد من الكتب التي لا يحصيها عد مبلغ ما وصلت اليه طرائق التربية المدرسية عندنا من اتدنى المبكى والانحطاط المحزن

أما الجهود التي بذلت في سبيل تعديل تلك الطرائق وتقويمها عوجاجها فقد أخفقت جميعها اخذة تارة ، ذن طريقة التدريس هذه لا تزال على ما كانت عليه فيما سبق أي هي مقتصرة على الكتب والمجلدات كما أنها لا تؤثر الا على الذكرة والدهن فقط . فتخرج عن ذلك أن المعلومات التي يتقنها التلامذة على هذه الصورة ليست تلتسى كما قال (زين) مرة بعد مضي ستة أشهر على تفضاء زمن نفحص

ولقد كان يمكن أن تبنى طريقتنا التسمية بعنوب في لادنه في كانت تتضاب تخريج متسرعين وخضبة قبيل نسى . . . كان نهضة العدا اخية وتكلمه ارهن قد جعلت الحارثة وشورة يس من ورهم . لا انحس . بي يكاد لا وجدني لاصر بن شعوب الارض جميعاً من لا يزال حمة نقابته بثرية سوى "شعب" نرسى ولا سباني وروسى

أما أن تقوم لاستبدال الطرائق التي نسير عليها من أنفسنا فيبدو مستحيلا ما دامت جميع الجهود التي بذلت في سبيل التقويم والاصلاح قد انتهت بالعمق والاختراق .

والسبب في ذلك انه ما من أحد من دعاة الاصلاح قد فطن الى أن ما يجب ان تتناوله يد الاصلاح والتغيير والتبديل هو طرائق التدريس ذاتها لا البرامج المتبعة . فلقد ضلوا جميعا عن هذه النقطة . أما البرامج فانها جميعا جيدة لا شبار عليها لكن الطريقة المتبعة في تطبيقها هي التي تجعل قيمتها محدودة

و يستطيع المرء أن يقف تمام الوقوف على الاسباب التي جعلت أساتذة الجامعات عندنا لا يفقهون من كنه الامر شيئا اذا ما وعيت البيانات والتصرحات التي تفوهون بها . فان هذه البيانات تشير بالاجماع الى تدني لدراسة عندنا وانحطاطها لكن ايضاحات هؤلاء الجهابذة الأعلام لبياناتهم وتفسيرهم لها تبرهن على انهم لم يفخوا على الاسباب الحقيقية

واذا تصاغنا يبصرنا نحو رجال الجامعة من اكبرهم الى اصغرهم أبرا ترى انهم سوء في عدم التفطن لحقيقة الامر .

لا ان هؤلاء الاساتذة مجنون على أمر واحد وهو التسليم

بفساد التدريس عندنا . وقد سبق لي ان كرست جزءاً من كتابي
'النسج' (بسيكولوجيا - روح - التربية) الذي أعيد طبعه حتى
الآن (٢٧) مرة والذي ترجمه الى الروسية رئيس أكاديمية العلوم
في امبراطورية روسيا الكبرى ستعمل كدليل للدراسة فيها - لتعداد
الانتقادات التي صرح بها رجال الجامعة الذين دعوا بالكلام امام
مجلس قفيتش كبرفقي هذا المجلس لم يجد التهنيد من مدرس عندنا
في مدافع او محام بين جميع رجال جامعة قفريه .

وهذا دليل جديد على عدم استعداد لتبديل ضرتنا
بنفسنا وقع يدي في ظرف تكلمت عنه في الكتاب الذي نوعت
بذكره الآن ، على اني ارى الكلام عليه عند ايصالنا نحو
من قلمة .

ودلك انه عقيب بشرى الكتاب موسى اي : زني علامه
مشهور وهو اسيو (يون لابا) فمستتر بدمقه حتى ياد : حديث
لا تي . ق : .

— ما كنت عضواً في كل من بوس اشيوخ و كاديمية آله و
واكاديمية الضب و منذ ان في منها احيى فذمت و اخذت هذه حبه
مقدمه مستقيم بوسه ن سمع صوتي . ربحه ضرتك التفتقب

عندنا واصلاحها يبدولى ضرورياً لازماً بدرجة قصوى . فهل نحب ان تهيبء لي بعض حواش وملاحظات لكي اوردها في محاضرة سألقياها اولاً في مجلس الشيوخ

فجمعت الملاحظات المطلوبة في الحال وتردد علي العلامة القدير بعد ذلك عدة مران ولكن بالنظر لانه استشار في الوقت ذاته اساتذة اظهروا له عدم امكان الاصلاح بوجه من الوجوه فقد اعترف لي في احدى زياراته الأخيرة لي والحزن آخذ منه مأخذ بأنه يجب تبديل نفس الاساتذة اولاً ثم تغيير نفوس الأبورين ثم تبديل نفوس التلامذة بعدئذ لكي تتوصل الى تعديل نسق التنقيف عندنا . وان « هرقل » ذاته نوطاب منه القيام بمتل هذا المسعى لعاد القهقري

أن الحرب العسكرية قد انتهت تقريباً ، الا انه ستبعبها بحكم الضرورة حرب اقتصادية ايضاً

ان النجاح الذي حصلت عليه الأمم التي تقدمتنا بأسواط بعيدة في الأزمنة التي تقدمت اشوب الحرب العظمى يمود الفصل به بوجه خاص لنسق في التنقيف يختلف اختلافاً تاماً عن طريقنا .

فهذا التبين ينحلي انجلاء تاماً أمام طرئق اوليات متحدة
لاميريكية بوجه خاص .

فزدراء لاميريكيين المتقل في الشؤون الادارية وسرعة جزئهم
في الامور وانجزهمها بالسرعة السامة وسعيهم لدم في سبيل استنباط
المشروعات الجديدة وكيفية قيامهم بالاعمال وبكلمة واحدة جميع
اصفات واخصائص التي ابرزوها في الاعمال التي قاموا بها في فرنسا
به الحرب والتي يستطيع المحقق أن يتحققها بسهولة كلية مبهمة . كان
قليل الخبرة — يرجع الفضل به ، جميعاً للطريقة التي يسرون عليها
في التنقيف والتربية .

ان التربية الامريكية توجه عندهم بوجه خاص نحو إيجاد
التطبيع والاعتدال العقلي . ولا أهمية كثيراً في اظهارها لأن يتعاضد التهديد
ذا كانت قد اكتسفت أو تمت عندهم غيرة تبصر وروح ملاحمة
والمحاكمة والارادة المتبينة

ويليه طرئق تدريس عندنا تحصر جهودها بمون أن تحصر
مع ذات على نجاح في عملها في سبيل تعميم ليس لا ترى طرائق
لاميريكية تعنى وجه خاص بالبرية : تربية روح . تربية حق
في "ضبط"

و بينما ترى استظهاره ضمنون الكتب المدرسية هو الركن الاساسى
الذى تستند عليه الدراسة عندنا ترى رجال الجامعات الاميريكيين
قد أدركوا منذ زمن بعيد بان (التحصيل) المكتسب بواسطة
الذاكرة فقط لا يستقر فيها استقراراً صحيحاً الا أثناء المذاتقى
يتطلبها اجتياز الفحص فقط

من أجل هذا فان الكسب قد الفيت على الكامل تقريباً من
قاعات الدراسة الاميريكية واستعيض عنها بدرس الحوادث درساً
يقوم على أساس التجربة والاختبار .

ويجد المرء بياناً مطولاً عن هذه المناهج فى كتاب هام جداً
الاستاذ (بويز) أنه عقب ذهابه الى الديار الاميريكية قبل الحرب
موفداً من قىل الحكومة البلجيكية .

ويقول أحد مشاهير العلماء الفرنسيين فى هذا الصدد (بان
الشعوب التى تكون التربية عندها قائمة على أمثال هذه المناهج
سيشهد اليها أن تشكلاً عالماً شرياً أعظم وأفضل من عالمنا) بل هالك
خلاصة موجزة من كتاب « بويز »

« كل شىء هو تجريبي فى التربية الاميريكية ، فان أعقد فروع
دراسة واكثرها تجرداً وبعداً عن عالم المحسوسات تمثل فى اميركا

بأسكل مادية ملموسة يستفاد لأجل تمثل. من مهارة لا يبدى ولياقتها
بقدر ما يستفاد من نشط التفكير وتوقد الدهن .

فبعض أساليب السلبية التي تستند على تركز الكلمات في
الذاكرة ترى "لاميريكيين يعارضونها بأساليبها الإيجابية والتهنيدية
التي تحرك ما كان من الجهد والأرادة والمهارة

دندرس الأوربية في نظرها ترمز إلى اغفال شأن الخبرة
العصبية نية وثباتية في أشبع الصور . اه

ما كل قد ثبت جيدا بعد حوادث تكثرت أكثر من مرة فإنه
لا يرحى التحد الخصب على يد سادة تحجرت أدمعتهم في قلب
جماعة لخص مدد مد صعيدة وقد وحب انفتاش على حرائق
حرى محصوراً على تمديد رايح . وقد فصح العصور على هذه
الخبر في أمر لا بد منه لكي يحسن عمله في حرب لا تقتصر دية
ت غدت على وثب . . .

رقة . همت انظر كير في لا يرفد على حدكي هـ . لا مع
ل لا يمكن وحيد معدي كهم حرائق تـ تـ ريس عماد هو في
شبه جماعة هـ يركية في ورقة لا يدرس فيها سوى سادة
هـ يركيون فقط .

فالتائج التي يحصل عليها من وراء هذه الجامعة من شأنها أن تظهر بسرعة تامة قيمة مناهج الاميريكيين كما أن ذبوع هذا المثال من شأنه أيضاً أن يجبر جامعتنا شيئاً فشيئاً على التبدل والتحول . هذه هي الفكرة التي كنت أومل تحقيقها بفضل مناصرة المستر روزفلت مبيناً له أنه من المحتمل أن يظل في فرنسا بعد الحرب عدد من شباب الاميريكيين يكفي للقيام بأود جامعة اميريكية إلى أن يعقد الطلاب الفرنسيون أو أصر العزم على التردد إليها وارتشاف كؤوس العلم من مناهلها .

ولقد كان من أمر هذا الرجل المشهور أن وافق على طلبي وطلب اليّ أن أبين له الخطة التي يمكن السير بموجبها على وجه الصحة والضبط الا أن وفاته قد حالت مع الأسف دون تحقيق هذه الفكرة واخراجها لحيز العمل

لقد كانت جرائدنا قد افتتحت اكتباً بالاعانة الحبابر (لابوارتوار) التي كان أحسنها من حيث توفر العدد اللازمة فيه بظل في أكثر الاحايين خاويًا خاليًا . فلو افتتح كتاب لايجاد مدرسة على النسق الاميركي في فرنسا لكان هذا المسمى أكبر نفعاً بما لا يقاس

الفصل الثاني

طرائق اصلاح نصوص التعليم في فرنسا

والجامعات الجرمانية

تألفت في ازيد من المئتين سنة قبل عشرين سنة من اجل شخص
قيمة لدراسة اعليه في فرنسا . وقد تمت من جهة اخرى رئيس
القدير انسيو زيبو ، حكمة قسي لآتي كذا لعدة من اصح
احده في تميحه "محقق" .

بعضها في تنقيب وتعريب بعض تبعه ثم معتمده

بمصر من سنة ١٩٠٥ .

وتلى زعمه من هذا التصريح بترجمته من سنة ١٩٠٥ من سنة ١٩٠٥
جمعت عنده ، في سنة ١٩٠٥ و١٩٠٦ . وقد أصبحت
الكتاب الرسمية التي يترجم الى طالب منها يوم فحص البكالوريا .

حتى أيام فحص « التوظف » أن يستظروها — تزداد في كل يوم صعوبة وتقلًا ، كما أن المخابر العظيمة التي تنفق عليها الحكومة أصبحت أيضاً تزداد خلواً من الأيدي العاملة يوماً بعد يوم ، كذلك غذا عدد العلماء المستقلين الذين هم قلائل جداً يتناقص تناقصاً مستمراً .
أما الاساتذة الرسميون قد أصبحوا يترهبون لو حدم على منصة الرئاسة وهم لا يتمكنون حتى ولا من الشعور بمبلغ ما سيكون لأعمالهم من الأثر السئ على مستقبل بلادهم .

قد كان من الأمور المنتظرة بطبيعة الحال أن يرى الناس الجامعة عندنا تمدد الفضائل التي أظهرها الجيش أثناء الحرب وأن تدعي بأن الفخر في ذلك يعود لتدريساتها . وهكذا قد نسيت الجامعة بأن أعظم أغلبية من أرجال الذين أبرزوا هذه الفضائل سواء كانوا ضباطاً أو جنوداً قد نشأت وتخرجت بمعزل عن أى تأثير للجامعة

بن وزراء المعارف العامة الذين يحاولون منذ نصف قرن بلا جدوي أن يصلحوا الدراسة العالية عندنا قد اضطروا في كثير من الأحيان لأن يفكروا في قصة (ميزيف) الذي حكمت عليه الآلهة بأن يدأب إلى الأبد في حمل صخرة

(كانت تقع منه دوماً الى الخضيف) ويصعد بهـ رضى قبة
إحدى الجبال .

ولقد سمع وزير تروبع حديثاً فى دست وزرة المعارف العامة
بضعف الدراسة عندنا ذلك اضعف المحزن كجسه بذلك سلافه
وأيسره بنوره إلا أن يقترح فى اامدة الاخيرة إدخال التعمير عيه
مرة أخرى أيضاً .

ما التل لأعلى الذى كان يقبه هذا وزير فهو أن تقوى
دراسة اليونانية واللاتينية إذ أنه كان يعرفونها وهي مشفوعة يقين
ر شيخ رسوخ العقائد الدينية تورج على عند كبير من الاناسى ذوي
العزم والخزم — مزينة تصوفية .

إن صاحب مشروع هند لاص راحت جديدة على حق عند
ما يكرر القول في نفس جميع سلافه بن مدرسا يجب أن روى
(تكوين) تدهن وأهم ليس إلا . على . إذ حصل
حتى هذا . مكوين نرى حتى أنه ان يكون من العور في
تستحق لاهمه الكبير ان يدرس في في من ثمانت بر كات
... ساكريتية ذتم .

إن مكانة التي تقع به في من تخلف حساب

الدرجة التي بلغ اليها خيارها ونخبتها . وقيمة هذه الفئة الممتازة تقاس بوجه خاص تبعاً لصفة العلماء المستقلين الذين خرجتهم الدراسة .

إن الدور الذي يلعبه هؤلاء العلماء صريح وواضح جداً . ذلك لأنه إذا كانت مهمة الاساتذة مقتصرة على تدريس العلم الذي ظهر لحيز الوجود فإن الاتقان والاكمال إنما يتعلق بالعلماء المستقلين ليس إلا .

إن النفوذ الواسع الذي حبه الطبيعة لهذه الفئة (أى فئة العلماء المستقلين) لا يمكن انكاره . فإن جميع القوانين الكبرى الأساسية في علم الطبيعة (فيزيك) كقانون (اوم) وقاعدة كورمو وعدم فناء القوة وما إلى ذلك يرجع الفضل في الوقوف عليها جميعاً إلى فئمة العلماء المستقلين . كما أنه اليهم يرجع الفضل أيضاً في حل المخترعات التي كان من شأنها أن جددت وجه المدنية وأظهرتها في شكل جديد نظير المكينات البخارية وقطارات السكك الحديدية والفوتوغرافيا والتلغراف الكهربائي والتلفون والاتفانج من البرودة أى الحرارة المنخفضة في الصناعة وما إلى ذلك .

إن القوة العظمى للتربية أى الثقافة في المانيا والولايات المتحدة الاميريكية هي في تمكنها من ايجاد جيش عرمرم من هؤلاء العلماء

المستقلين . فنهضة الصناعية والاقتصادية في هذين البلدين هي من نتائج عمل اولئك العلماء وثمره اتعابهم .

ان تفوق الجامعات الالمانية الذي يفهمه تقوم في فرنسا بتسلك قبيح جداً ، ينتج عم بين برامج البلدين من الاختلاف . فن البرامج واحدة في كل مكان . بل هو يستند في أسباب طبيعتها نفسية ويرتكز بوجه خاص على كيفية تخريج الاساتذة

في فرنسا لا يفلتوا المرء استاذاً إلا بعد جملة (مسابقات) تصطب حفظة قوية جداً ولكن لا تستدعي وجود أي ترخيص أو بحث وانتقيب الشخصي .

كانت تسنين الثورية التي يفضيها مرتج وظيفة الاستاذية في حشود مدغذ ، بتصميمه الكتب بالرسيد وفي ذاته هذا بعددلات عوف عن الخطر او حدوث اي كرسها الترشح في ما يند لبقية بلاد من التاين في محرم من عبره رسيه في تفتح بوجهه في رجبها تمام جميع لتبين وسحين . ثم هـ ذلت ، كنت برسـ حرة فن الاستاذ بقس يؤسس مكاناً اعطاء دروسه فيه ، لا يند مقار حور بنة ضـ هـ كـ هو لاهر في جميع دروس نهيم . فذد حصول التلاوة هذه على بنة رتابة تصه ترة مع وترير هـ ورسعي في نهية لاهر و لثرة في كرسى من كرسى تهـ ايس لرحيمه في حده من

ال (٢٥) جامعة في ألمانيا . ويتناول إذ ذكراً تباً معيناً إلا أن الشطر
الاكبر من النقود التي قبضها يدفعه التلامذة دوماً . والأمر على هذا
النمط في بلجيكا أيضاً . وقد بلغني من الميسو (دوهن) استاذ علم
الطبيعة في جامعة (ليج) قديماً أن الدروس التي كان يعطيها كانت
تأتيه بما يزيد عن ال (٦٠) الفاً من الفرنكات في العام

فيتضح من هذا أن التلميذ في ألمانيا هو الذي ينتخب الاستاذ
الذي يريده بطريقة غير مباشرة

ان (البريفات دوس) أي الاستاذ الذي يشغل احدى كراسي
التدريس الرسمية له منفعة كلية في الاشتغال مع تلامذته والاهتمام
بتعليمهم ما دام الشطر الاكبر من راتبه هو عبارة عن الاجور التي
يدفعونها وعند ما تصبح التدريبات بدرجة غير كافية فإن التلامذة
يتوارون حلال عن الابصار ويتفرقون هنا وهناك

ان من النتائج النهائية لطرق التدريس في اجامعات الالمانية
الافراط في تلقين التلامذة ما من شأنه أن يجعلهم يمشرون لذة الدرس
والبحت أو التنقيب . أما طرائقها فان غاية ما ينتج عنها أنها تبعث
في النفس المفت والنفور من ذلك المعلم القائم على صفحات الكتب
الذي لا يحصل عليه إلا بشق النفس وبدل غاية الجهود . واذا طلعت
ببصرك نحو الاساتذة فاك تجد الواحد منهم لا يكاد يحصل عو

بعض أساتذة الجامعات عندنا لا يدخل في الامكان ، فان غاية ما
يكن أن يؤمل هو حمل العقول التي لم تتحجر بعد في قالب جامعاتنا
الثقيل — على التفكير والتأمل ان مستقبلنا يتعلق بتربية الأجيال
التي هي في طريق النمو وهو مرتبط بتربية الطبع والفرائز فيها بقدر
ارتباطه بذكائها أيضاً . وهذا من الأمور التي يجب تكرارها دوماً
بلا انقطاع ولا فتور .

ان المناهج التي تسير عليها الجامعات عندنا ليست عاجزة عن
اظهار أى كشف ما كمن من الذكاء فحسب بل انها أكثر عجزاً
أيضاً عن خلق السحبة في الشخص . في حين أن دليل المرء في هذه
الحياة هو الخلق أكثر مما هو الذكاء

واذا كانت لجامعات عندنا لا تعنى بتكوين السحبة في الشخص
فذلك لأن هذا التكون لم يكن ليطلب ظهوره في الفحوص التي هي
الهدف الاساسى لتدريسها : وعلى ذلك فلا أهمية في نظرها لأن
يكون عدد من تلامذتها محكوماً بانتظار اعدام حصوله على خاصة من
خصائص الطبع والسحبة بالعبور الى هذه الدنيا والخروج منها بدون
أن يتف على كنهه شيء من الاشياء بل بالتالى بدون أن يمثل فيها
أى دور من الادوار النافعة

ما كانت استعدادات الشعوب النفسية التي هي بمثابة ميزت
لخاصة عبارة عن ميراث الاسلاف فمن الجلي أنه لا يرجى تيسير
عمل اليد فيها عملاً يقتدوا عمقها . ومع ذلك فتوجد عند بعض
ضرائق باستطاعتها أن تؤثر في هذه العنصر التي هي عنصر أساسية
في الشخصية أوعى لأقل أن تهيء لها وجهة معينة تيسر فيها
أن كون من هذه التعديلات من الأمور الممكنة . ليسيرة يثبت
نبوتاً كما عندما نشهد التحولات التي حدثت أثناء (٥٠) سنة في
كل من ألمانيا واليابان . وفي أواخر القول عند بناء ذلك كانت
مالية يرغم تنوع الجنس التي تؤمنها وقد أصبحت ربح حكومت
لصنعها في هذه . ذلك كانت اليابان جزيرة صحيرية في
ما كان في لايد العالم . على تهيء من تنمية وتمنؤ ذلك غلبت
ببرطورية لا يستأن بنائها . وقد يرجع بعض من في حياها
تلك التحولات ريثم . ريثم في . لا عيب . ريثم بين
يس .

من استنقبه ذلك يتعمق منه . ذلك . في السبب في عورتها
كثير من ذلك بانكزات فتاة . من ريثم يتودون في ريثم . ريثم
في حين أن هذا الحصة مهمة . ذلك في . حرب تهيء شخصاً

فأفسحت المجال للمزاحمين من الاجانب لأن يتخطوها ويتفوقوا عليها وتركت نفسها دونهم بمراحل

هذا وان أسباب تقصير فئة الخاصة في الشؤون التي امتزنا بالنشاط فيها كانت واحدة في أكثر فروع ذلك النشاط تنوعاً واختلافاً ويستطيع المرء ان يتحقق ذلك بسهولة عند ما يتصفح ال (٦٠) مجلداً التي نشرتها (جمعية التقدم الاقتصادي) أثناء الحرب وتكلمت فيها عن صناعاتها الرئيسية . ولقد أتيت على خلاصة ما جاء في تلك المجلدات في كتاب ألفتة قبل هذا (١) ان جميع المؤلفين الذين بحثوا في شؤون صناعاتنا قد علاوا السبب في انحطاط مشاريعنا العميق الذي تبين لهم من مطالعة التقاويم (ستاتستيك) بعوامل نفسية واحدة اتفقت عليها كتبهم جميعاً. فانه ما من موضع في الكتب التي ألفوها قد تكلم عن ضعف رؤساء الأعمال من حيث العقل والذكاء . بل هناك في كل صفحة من تلك الكتب كلام عن ضعف الخصائص النفسية الناتج عن نقائص في السجية شوهدت عند جميع أرباب المهن على السواء

فأى ازالة هذه النقائص والعيوب يجب أن يسمي نظام الجامعات عندنا . اذ ليس له في الحقيقة أى معنى في هذا السبيل

(١) نفسياتنا . في عصورها الجديدة

ان الجامعة عندنا (تمنع) في الزمن الراهن عدداً لا يدخل تحت حصر من حملي الشهادات بصفة حشو أدمغة التلامذة بما تتضمنه الكتب المنسية ولكنها باقية على عجزها من حيث صنع رجال من الفئة الممتازة . وبما كان أفراد الفئة القابضة على زمام الأمور قد بانوا المذهب التي يشغونها عن طريق (المسابقات) لا عن طريق آخر تقريباً فمنهم يؤمنون غداً فئة ممتازة ضعيفة جداً

هذا وسأعود بعد قليل الى البحث عن تربية لغوية وظهار كيف أن التوزيع والتنظيم والترتيب تتوحد التي قامت عن دعم قوة انبانيا قد رسمت في أذهاننا . بين بواسطة النظام العسكري أما في نكتة وفي ميركا حيث لا يسود نظام عسكري فقد حلت مكان هذا النظام أنواع لا هب رياضية التي توصف بحق بوصف الضرائق منبهة لانها تأتي بمنزلة ذاتها التي تتجسر عن النظام العسكري .

ن الاخراج في هذا الصدد لا يجزي نفعاً من دراسة تعنيه : عندنا قد بلغت تلك الصفحة من صفحات التحول و قدوة التي لا ينبغي فيها علاج أو دواء حيث سلفنا لا يوجد التي لا تعرف الى التصور والتكامل سبيلاً

الفصل الثالث

تعليم الاغريق في المدرسة

لعل روابط المعرفة غير قوية كثيراً بين قراء هذا الكتاب وبين تاريخ الامبراطور (اكبر) ومع ذلك فقد كان هذا الامبراطور اشد الحكماء في عصره باماً وأوسعهم سطوة ونفوذاً . فلقد أوجد في الهند خلال مدة سلطانه التي دامت ما يقرب من الحسين عاماً — عدداً من المدن العظيمة التي تدهش العقول وتخلب الابصار . كما أنه شيد فيها (الهند) جملة قصور يخال المرء نفسه في حلم عند مراءها ووقوع ناظريه عليها .

لم يكن (اكبر) حاكماً اشتهر بوفرة مائني وشيد فحسب بل كان أيضاً فيلسوفاً بصيراً ذا نظر سديد . ولقد كان يرى الديانات كأنها رموز مختلفة تمتل الأسرار التي تحيط بنا ، ولهذا فقد قصد أن يديها جميعاً ويصبها في قالب واحد فجمع حوله لهذا الغرض عدداً من اللاهوتيين المشهورين

الأ أن مسعاه يتكلم بانجح فن أعضاء مجلس انعماء
الأ اعلام الذين جمعهم له يتبادوا فيما بينهم سوى أرفع شتمه وشد
الكبت والضرب .

وعلى ذاك فقد شعر (اكبر) قبل أن ياتي فلامنة لأية
الأ خيرة لعاه الوجود ويقرر الخائف التي وقفو عندها بزمن طوي
— بأن معتقدت مستقرة تمام الاستقلال عن النفس . وعند عن
غرضه واقصر على أن يعمل في امبر طوريته العضوية بما تسميه المساحة
مصلحة ، وهكذا قد أصبح أفراد رعيته حرر في عبادة الآلهة
التي يختارونها ومن عنده عبادة مصلحة . كما أن لامون ولأملا .
الذي عليه قد حترمت ، ثم بسوء م . وكبت كان الآباء حق
في أن يهدوا أولادهم عبد الموزين أو ارهمة أو اسه بن و
نسيحيين .

وفقد صفت شعوب أور ، تعس مدة طويلة على شدة ، ثم
لأه بر صور عجم في حصنه التي سار عندها . نعمه عمد لا بخصيه
عد من مسوشت ونعاريك زريعة التي ربيقت فيها ندماء وحدت
شتم أنواع مضطروب مضطهدات — عدت تلك الشعوب

أخيراً هي نفسها أيضاً بان القوة ليس في استطاعتها أن تأتي بأي شيء ضد الإيمان ، وهكذا فإن جميع الأمم المتمدنة عدت اليوم تستعمل المساحة الكافية فيما يتعلق بالأديان . إلا أن فرنسا وتركيا قد شدتا عن ذلك مدة طويلة

فلقد كانت مناهضة الاكليريكية أثناء عدة سنوات هي القاعدة التي تركز عليها السياسة الراديكالية والغاية الاساسية التي كانت تسعى وراءها هي استبدال المدارس الحرة التي تكاف نفقات ضئيلة للغاية بمدارس تتولاها الحكومة (اميرية) تتطلب اتفاق عدة مئات من الملايين .

ومع انه مامن أمة من الأمم المتمدنة في العالم قد احتنت حذو فرنسا في هذا الاستبدال فان رجال حكومتنا قد فاحروا بملامهم . فآخرة كبرى . اذ هل يستطيع المرء في الحقيقة أن يتصور عملاً أجد من صيانة نفوس التلامذة أن تتطرق اليها خرافات عصور البربرية ؟ وهلا يتفرع مثل هذا المشروع عن مبادئ عملية صحيحة جداً ؟

ولقد ساد هذا الاعتقاد زمناً طويلاً ؛ وهذا هو السبب في أن عدداً كبيراً من العقليات المتقلبة كانت تحجد أعمال الاضطهاد والجور المعتمدة من الأمور الضرورية . أما الساسة فقد لبثوا بدون

فوذ ولكن بما أنهم كانوا يتكلمون باسم العلم فقد كان الناس يحتسبون
عنفهم وجورهم

وبينما الامر على ما ذكرنا اذا با فلسفة وعلم النفس وغيرهم من
العلوم أيضاً تزج الستار في المدة الاخيرة بعد جملة أبحاث واستقصات
عميقة عن الاخطار التي نتجت عن ركوب متن الشطط في التفكير
فانت اني اضرار زعزعت أركان قراسة مدة ثلاثين عاماً

ان التطور الذي لحق بالأفكار الجديدة في شأن لذيذات لا
يمكن تلخيصه ببضعة أسطر ، ومع ذلك يمكننا أن نستبرهن في النقاط
الاساسية فيه .

فقبل كل شيء تقول ان علم النفس قد ظهر بان معتقدات ليست
واحدة الخوف بل هي مرادفة حاجت في النفس لا يمكن فهمها
وانتغاب عندها

وسواء كنت معتقدات دينية أو سياسية أو جنسية فيها جميعاً
تدبر حكمة منطق واحد وهو منطق الاعتقادي والسرّي وهو
منطق مستقل تماماً لا استدلال عن منطق تركي والاسمي

ان كثيراً من ذوي العقول ذات النزعة لثورية ليسوا في حقيقة
سوى (مؤمنين) قد بدؤوا أسماء آلهتهم فلاشتر كيون والانسون
(٢٣ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥)

والشيوعيون وعبدة الاصنام أو الدساتير التي ترمي الى تمجيد الجنس
البشرى وإعادة أحيائه — لا يرجع السبب في شدة تعصبهم جميعا
لسوى (إنكشاف) يفوق الحد في ذلك العقل المشبع بالترعة الاعتقادية
التي من شأنه أن يبعث الحياة والقوة والنشاط في حوار يي كل دين من
الاديان عند ما يظهر لعالم الوجود

إن هذه الملاحظات تؤلف الجانب النظري من القضية ، أما
الوجهة العملية فقد جاءت بها للعالم فلسفة جديدة تدعى البرمكتيزم تلاقى
اليوم إقبالا عظيما من قبل جامعات أميركا

ان هذه الفلسفة تقول بان فكرة التماس المنفعة والفائدة التي يتيسر
الايمان بها دوماً، يجب أن تتقدم على فكرة السعى وراء الحقيقة التي
لا يؤمن بها إلا بصعوبة فاذا كانت المعتقدات تزيد في قوة الشخص
وحوله وطوله وتسمو به الى أعلى مما هو — كما يدل ذلك على البحث
والملاحظات — فان الاستغناء عن واسطة مؤثرة فعالة مثل هند في
باب التربية لما يضاد العقل والصواب

ان علماء النفس حتى الذين يفكرون في الشؤون الدينية تفكيراً
حراً أيضاً يمتدحون جميعاً بالقوة التي يمنحها للشخص رسوخ عقيدة من
العقائد في نفسه . واذا كان هناك من يشك بصحة هذا الامر فاتي أكتفي

بان أقل اليه فيما يلي بضعة أسطر مما كتبه سناذ من سنة ١٨٧٠ بون
هو مثلي تماماً من الأشخاص الذين قالوا بثبت أحد بنزولهم عن
التحيز إلى الأكليريكية

يقول الأستاذ

ان الحياة الدينية تكفل تحريات ما كمن في استنص من
القوة التي ترفعه في أعلى مما هو... ان المؤمن يقوى على الامور أكثر
من الجحد هذه الايمان فهذه لاستنصاعة ونقوة ليست خيبة أبد
بن هي انكى مكنت المتبرية من خيبة وامليس ، اه

✽✽✽

ان فئدة لدرسة نديية في امد رس يمكن ان يانها بوجه آخر
أيضاً يختلف عما سبق. فقد أثبت ان رضى اشهر هنري بونكره
في الكتاب المشهور بعنوان باسمه (مع والفرنييه) انى في سنة
عنى طابى يضم في مجموعته كتب نسخة ابيه في روى درته — اندها
من عه حتى انوه رضىه. ذنم يمكن ان يمش بسون فرضيت .
وممكنه يقر على سبيل ان طريقة تتدر ضوء ونوجت
"كبريه انى توتر في (آخمة) يعرف "الاسكى يفسد
ايضاحه غير ممكن ذان يفرض وجود (الاير) فخبعة هذا لاير

مجهولة تماماً . ولم يتح للعلماء بعد ، أن يلموا اذا كانت كثافة عظيمة الى ما لا نهاية أم ضئيلة الى ما لا نهاية . بل ليسوا على يقين حتى من وجوده ومع ذلك فإن العلم لا يستطيع الاستغناء عنه . وعند ما يرفض الناس الرضاء بالفرضيات كدليل يقووم في معارج الحياة ويوصلهم الى كشف غوامضها يجب عليهم أن يوافقوا على اعتبار الاغراض (الصدقة) هي الحكم المطلق الذي يتصرف برعيته كما يشاء .

ان الفرضيات الدينية مشابهة للفرضيات العلمية وبقدر ما في الزهد بالثانية من الصعوبة توجد الصعوبة ذاتها في الاستغناء عن الاولى . على الفرضيات العلمية يقوم صرح معلوماتنا ومعارفنا وعلى الفرضيات الدينية شيدت أركان جميع المذنيات

وعلى ذلك فلا يوجد اليوم أى مبرر علمي أو فلسفي أو عملي يساعد على استصواب اعمال الاضطهاد والعسف التي تناولت الدراسة الدينية في فرنسا وأوشكت أن تتناولها في الازناس عند ما عادت هذه الى التظلل بالرأية الفرنسية

ان هذه الدراسة ليست بعيدة عن أن تكون خطراً من الاخطار فحسب بل هي على العكس من ذلك ذات نفع كبير . اذ بفضلها

تكون في الولد بسهولة بعض عادات غير محسوسة تبقى حية فيما عنده
يقعد معتقداته في يوم من الايام

اذا قررنا هذا هل يؤخذ من كلامنا انه يجب اجبار اساتذة
المدارس على تدريس بعض الفرضيات التي لا يؤمنون بها بصحتها
شكراً حقائق؟ كلامه كلاً

ننكر انحرافهم عن (شكوكياً) لا يخاف وجدنا هؤلاء يخون
عقيدة من عقائده اذ قل تلاميذه انه كان جميع الامم دين متنسبة
مع مشاعرها وحاجياتها ، ونرى على هذه الاديان قامت القوانين والامانات
واحضرات . بل ويستطيع ان يعلمهم ان جميع العقائد تقضي ببعض
قواعد اخلاقية هي من الضروريات خيرة الجماعات البشرية . وفي انانية
يمكنه ان يتبرح لغة الامانة دين بهم على وجه الاجمال لا فائدة اخرى
الى ان قيمة ذلك الدين ليست من الامير التي تجري منقشة سننها
في سن الصغر .

ونا اعتقد بان ما من علم من علوم هذا العصر يتبدى في قيمة
مزاجه السابقة من قيمته لا يمكن ان تكون عرضة لثبات وريب
لان من قبل متبرعين الذين قد تم تعصبهم لاعتقادي وخوفهم من
الترابي اعداء كحرية في الحكامة وتفكير

على انه لا يمكن مع ذلك تجريد هؤلاء خوريين عن كل فلسفة

بل ان فلسفتهم الابتدائية هي نفس الفلسفة التي جعلها تشهر
في شخص المسيو (هومه) أحد الروائيين القديرين . ان العقل الذي
كانت تمثله هذه الروح البسيطة قد بسط سلطانه على البرلمان مدة
طويلة . ولقد قضى بطرد الراهبات من المستشفيات بعد أن كن يبدن
فيها نحو المرضى من العناية ما يفوق حد الوصف وبعثن الأمل في
نفوسهم في الساعات الأخيرة من حياتهم . كما أنه أقصيت عن فرسة
بسببه ألوف من الأساتذة الذين كانوا يعملون في معاهد (الفرير) بلا
مقابل مئات الألوف من التلامذة ، وأوجدوا (دروساً) زراعية
وصناعية لم تلق مزاحماً ولا منافساً ، واقترضت باقراضهم
عند ما يصبح الناس أكثر الماماً ومعرفة بالشؤون المتعلقة بعلم
النفس التي مر الكلام عليها في هذا الفصل على وجه الاختصار
سينظرون عندئذ الى عدم المسامحة نظرهم الى بلية ذات ضرر بقدر
ما هي ذات خطر . وسيهب الرأي العام بشدة في وجه حواريتها
المفسدين أهل الأذى والضرر . ولما كان مؤرخو المستقبل
سينتقلبون على التعصب السائد في الساعة الراهنة فانهم لن يعانون
مشقة في بيان مبلغ ما تكبده العالم ثمناً لعدم التسامح في الشؤون الدينية
كما انهم لن يجدوا صعوبة لكي يبينوا من أى عناصر التربية الثمينة
حرمنا عدم التسامح

الفصل الرابع

تكوينه العادات الاخرقية

بواسطة اجيش

ان جميع رؤساء الحكومات يتكلمون في الخطب التي يقوون عن
نزع سلاح . لانهم في الوقت ذاته يترسون في ميزانيت "شؤون
خربية لانهم يسهون حق اهلهم بان الضمانات لوجيدة بتقرير اسلحة
كائنة في قوة الجيوش . فكل نسوة حيدة لشعب من "شعوب غدا
من مستوجب عية بيوم الكرم في لايد نخواني ان
يضقون .

عني ان تمسيحت مسة . بحرب من وحبنا . ية ماشمت
تتغني عني لشعوب التي هي اصنف منذ ان تمسيح كبرقتر .
بر ان ذ قسند محار بمانيا كمال . فان عسا مشايكي بيان
من المتس في حرب في ايمند خضرة

ان المرء يتحقق عندما ينظر الى ان الجيش ليس الا عبارة عن آلة نادراً ما تستخدم وتستهمل، ان وجوب الاحتفاظ بقطعات الجيش التي هي باهظة الثمن مبهمة دوماً لحمل السلاح ، من الاعباء الثقيلة جداً .

ف عندما يتحقق المرء ذلك يجد نفسه مسوقاً الى طرح السؤال الآتى : ألا يمكن أن تفقد هذه (الآلة) التي هي باهظة الثمن ذات نفع في غير سبيل الحرب ؟ فمن السهل عند ذلك أن نبرهن على أن التربية العسكرية يمكن أن تعود على الشعب فيما خلا غايته الحربية - بأجل الخدمات وأنفعها .

ولا يزال الجميع يذكرون بيانات الكيمياء الشهيرة « اوستفالد » التي أكد بها باز ، قدم الجرمانيين الصناعى لم يكن الا لأنهم وقفوا على سر الانظمة

فهذا التفوق الذى لم يقف « اوستفالد » ذاته على أصله وكسبه وقوفاً تاماً ليس ناتجاً عن بعض الخصائص العقلية التي يحصل عليها بواسطة الجامعات فدر ما هو ناتج عن الخصائص انشائية . كالنظام والوازع النفسى ومريه الاتقان والاحكام والتعاضد والتعود بالواجب وما الى ذلك من الخصائص التي لا تدرس في الجامعات .

واقعد كان رأى الوزير (هلفريج) فيما يتعلق باسباب تفوق مواضعه
اكثر مدادا عند ما صرح بان ذلك التفوق متولد عن مرور جميع
الشباب الانجليين بالثكنات العسكرية لانهم كانوا يجربون على
ذلك وبعورهم بتلك التكتك كانوا يكتسبون مزايا انشائية التي
لا بد منها امام النهضة العمية والصناعية التي حدثت في اعمده في
الآونة الأخيرة .

من العت أن يعترض معترض على ما سبق اسناداً على ما بعثت
اليه اميركا من التقدم والسعة في اشؤون الصناعة بالرغم من انها
تكن فيما سبق ذات حيس . ذلك لان الاميركيين كانوا يفتخرون
بديونهم بهمة انشائية التي يمحون بها كالماء وانعده وير
الاتقان ووارثه على اي مرسه روضة "مدنية" التي تقصى
بانقيده بالخطه من ماضيها من الاعمال التي تجري في
"مكة" مسكر

كيف يسبوا كبر من انصاف مسكرى مسكرى
الدمت . . . رضى مسكرى من انصاف مسكرى
لاحق ان لا يمكن ان يقال انهم زفت حجر عثرة في مسكر

جميع الفلاسفة [١]

ان هذه القضية هي في الحقيقة من البساطة بمكان على الرغم من أن بعض الاشخاص نظير « كانت » قد جهلوا العناصر التي تتألف منها جهلاً تاماً .

فلقد كان ذلك الفيلسوف الشهير يعتقد انه لا يمكن أن توجد هناك أخلاق اذا لم يدعها جزاء وبعبارة أخرى اذا كانت بدون مكافأة أو عقاب . ولقد نظر « كانت » الى انه كثيراً ما تبقى الجناية بدون عقوبة في هذه الدنيا كما أن الفضيلة فيها لا تكافأ ، فتقررت لديه ضرورة وجود حياة أخرى في المستقبل وآله عادل يثيب ويعاقب .

فالخلاق لا يدعها جزاء هي اذن بحسب رأي (كانت) من

رابع المستحيلات .

(١) يستطيع للمرء أن يرى من خلال الاسطر التالية التي كتبها الفيلسوف القدير (بوترو) الى أي حد بلغ الاختلاط في أفكار أشهر رجال الجامعات عندنا في صدد الاخلاق . قال الفيلسوف الموماً اليه : « على الرغم مما بين قواعد الاخلاق عندنا من الاختلاف العظيم تراها تعتمد جميعاً على الاخذ ببعض المعلومات الموضوعية في صدد قيادة عمل الانسان الى مواطن الخير ، وهي تعتبرها فرضاً معيناً يطالب من نشاطنا الاخذ به ثم التفتيش بعدئذ في وسط يوفّر فيه اتفق قوة اللب وقوة الارادة اتتما . اقا حواً على نشاط العمل الموجه نحو هذه العاقبة . »

وقد بقيت هذه المزاعم معول عليها في كثير من أدياننا وقد كرمي
الفيلسوف التقدير (برغسون) أنه سعى مدة مديدة من الزمن في سبيل
دحض هذه المزاعم دحضاً تاماً، وكان في سعيه وحيداً تقريباً يكاد
لا يشاركه سوى مؤلف هذا الكتاب

وإذا كان (برغسون) يدحض تلك المزاعم فذاك استدراك على
أسباب تختلف بعض الاختلاف عن لأسباب التي سبق لي أن
عرضتها في غير هذا الكتاب والتي أوردت التمرية فيها بيئاً مددة
لأساسية فيها

ن (كانت) يعتقد كجميع الفلاسفة "مقربين" و "ركنيين"
بأن دين الشخص في هذه الحياة هو ذكائه . بينه هو في
الحقيقة مسوق بوجه خاص من قبل عواطفه ومشاعره التي تتفرغ
عندهم سعيته .

وواقعاً هو أن مريضاً مرة على احترامه . ووجب لأدبنا ليس
هو "خوف من العقاب" وإنما به كقوة "لا" من نكرة هذا الاحترام
لا تكون إلا به . أن تصبح عادة من عادات نوره وذاته . فإن شخص
يخضع جهة قواعده وقوانينه بغيره . وكم يتقصد به من "قواعد" لا
تفي هذا حين تكون خرافة . تكونت نوره .

ان الأدب العقلي المحض الذي يتمسك بأهدابه الاساتذة والذى لا يصبح فيه أى عمل من الاعمال مالم يستند على التأمل وأعمال الفكر لهو أدب قهير مقدر . ذلك لانه لما كان الشخص لا يستطيع أن يجعل سلوكه وخسته في الحياة بموجب قاعدة أخرى فان أفكاره لن تلامي قوة عظمى .

فوقوع (كانت) في الخطأ منبث عن انه كان يجمل بأن الشعور المهذب على وجه مرضى مناسب هو من القوة بحيث يمكن الاستعاضة به عن الاغراء أو الارهاب بواسطة المكافآت او العقوبات التي ينالها المرء او تحمل به إما في هذه الدنيا أو في الدار الاخرى . وعلى ذلك فقد كان الجزاء في نظره من الامور الضرورية التي لا بد منها

كيف يمكن تكوين هذه الاخلاق التي هي الدليل الوحيد الذي يستطيع المرء أن يثق به كل الثقة في هذه الحياة ؟ وبتعبير آخر كيف يمكن تحويل الملاحظات التي جاءت بها قوانين الاخلاق والتي سرعان ما يقع المجتمع بدونها في برائن الفوضى — الى شكل عادات راسخة في النفوس ؟

ليس هناك سوى طريقة واحدة من شأنها أن تساعد على الفوز

بهذه النتيجة والحصول عليها وهي تكرر العمل الذي يجب أن يصبح
عدة من العادات مدة مديدة

ان هذا العمل يكون ياديء ذي بدء من لأمور الثقيلة الشديدة
الوضعة على النفس وذلك لا يتمكن التمهيد من ممارسته إلا بواسطة
الضغط أى تحت تأثير نظام صارم

وما كان يتعذر العمل بمثل هذا النظام الصارم في العائلة أو في
المدرسة فن كثيراً من الأشخاص ليس لهم من الاخلاق سوى أخلاق
العائلة لا اجتماعية التي ينتمون اليها ذاستثنى درجاء المدرس الذين غدا
خوفهم اليوم من انتقص يمكن

ن هذا المبدأ الذي هو صارم ولكنه ضروري لأجل محدود
سحية أخلاقية غير محسومة عند الشخص يمكن حصوله
بسهولة بواسطة جليس لأن في بعض جنس ضروري من وسائل
الضغط لا يمكن مقاومتها بتدبير صرمتها عند الوسائل لا تكون
شاقة على النفس إلا في البدء . ذلك لأن النظام يخرجني منى وضع
يحل مكانه بعد برهة وجيزة وازدواجى لى لى يكون طوعاً وعى
هذه الصورة يصبح عدة في نفس .

ن الشخص الذي (يتكون) على هذه الصورة يشهد بحدوثه

امتطاء الدراجات (بسكليت) اذ تراه يسير بدون أى جهد فى أوعر
الطرق بينما كان ذلك لا يستطيع فى أول أمره الا بصعوبة كلية
فالشعوب التى حصلت على وازع باطنى كون فيها أخلاقاً ثابتة
راسخة هي لهذا الأمر فقط فى منزلة دونها منزلة كل شعب خلت
نفوس أفرادها من الوازع الباطنى

ان تكوين العادات الأخلاقية بواسطة نظام عسكرى ،
يستند على أحد المبادئ الباقية جداً فى علم النفس وهذا المبدأ هو
ما يعرف بـ (الاشتراك بواسطة الارتباط) ونستطيع أن نشرحه
للقارىء على الوجه الآتى :

عند ما نحصل فى الذهن جملة انفعالات فى آن واحد أو بصورة
آنية التتابع فانه يكفى فيما بعد أن تخطر احدهما على البال لكى
يحضر الانطباعات الأخرى حالاً أمام الذهن

ان (الاشتراك بواسطة الارتباط) ضرورى جداً لأجل
تكوين العادة فى النفس . بل اذا استقرت هذه العادة فى النفس
ورسخت كما ينبغى لا يبقى لزوم لتخطر الذهن لتلك الاشتراك .
ولكى أجعل القارىء أكر فهماً لقوة التربية غير المحسوسة

ولأجل أن أظهره كيف أن هذه القوة تستطيع أن تقوه عديت
المهر فلا تقي ولو اختلف الشعور بسبب من لأسباب — ما ذكر
هنا حدثه وضحة جداً وقعت مرة في حزن المشهور (دومودوى) ا
الذي لا يدع فرصة تمر دون أن يردد على مسامع يانه يعتبر نفسه
تصيناً الى .

كان الجبال وقتئذ برتبة قائد (كومندان) فدخل في مكتبه
يوماً (« عريف » مناوب) فأخبره وهو يضرب قفلاً بأن حندين في
حالة السكر الشديد يتورق في حصى القذات ويعربس ويهجم هه
وهناك وهو يحضرك من متصل اليه يده ويهدد بجرته كل من يجرأ
الاقتراب منه . ثم الذي يجب عمله /

أما من ناحية النظرية فيبدو من السهل جداً أن يؤمر بعض
فرد من الجنود بالاقصص في ذلك الحضور ، لكي تمسود ويتسو
وثاقه . إلا أن هذا يصعبه عرضة لأن يقتلوا أو أن يسجوا في
شعري هلا يتمكن على النفس من الارتداد في واسعة أخرى
أقرب تصواب ؛

وقد تمكن جيران لعد من المنور على هذه الوسيلة . مرة .
فما خسر بيانه أن التربية غير الشعورية ، لا تقي بغيره الذاتية خفية

ولذلك فقد قدم نحو القاعة التي كان الجندي الثمل يشور فيها ويحتاج
ثم فتح الباب وهتف بلهجة الأمر بصوت كالرعد القاصف :

— تهباً ! سلاح تمكب ! سلاح جنبك ! استرح !

ولقد فقت تلك الأوامر فوراً وأمكن عندئذ تجريد الجندي
من سلاحه بسهولة كلية . فلقد سطت الخفرة على شعور الجندي
الآن أن المادة الخفية غير المحسوسة لم تكن قد وقعت بمد في
قبضة يد الخفرة .

ولكي أتم ما أوردته بشأن الاشتراك بواسطة الارتباط الذي
هو من المبادئ الخفية التي تتسع لكثير من الكلام ، سأبين
للقارئ بأن هذا المبدأ هو كقاعدة ترتكز عليها جميع أشكال
التربية الممكنة سواء عند الانسان أو عند المعجوات أيضاً . فإن
أعظم القائمين على تربية الحيوانات من حيث التدقيق لا يعملون بغير
هذا المبدأ أبداً . بل ان هذا المبدأ يأتينا بكل القضايا التي يبدها
مستحيلاً . فهو يأتينا بواسطة مساعدنا مثلاً على منع احدى الاسماك
اذا كانت في حالة جوع شديد من اقتراس الاسماك الأخرى المسجونة
معها في احدى الأواني . أما هذه التجربة فهي معروفة بدرجة

لا فائدة معها من ذكرها على وجه التفصيل بل تقتصر على الأنواع إليها فقط

ان خلق العادات الاخلاقية عن طريق الاشتراك يصبح سهلاً بفضل تطبيق قانون آخر من قوانين علم النفس . وهو هذا : ان الانطباعات الضعيفة مهما تكررت لا يمكن أبداً أن يكون لها عمل أو قوة الانطباعات التي وان تكن قليلة التكرار لكنها قوية جداً

وبمقتضى هذا انبداً الذي كثيراً ما نسحت لي فيما مضى فرصة تطبيقه في ترويض الخيول الصعبة القيد — كان من الممكن جعل عقوبة مخافة النظم وتجاوزه نادرة فيما إذ كانت هذه العقوبة صرامة . وهذا السبب قل الرئيس في : «بسة» المعروفة باسم جامعة (اتون) الكبرى حيث يكرر وجود بدء «بسة» الارستقراطية العليا من الانكاييز — قول الرئيس في هذه الجامعة يعاقب بنفسه كل تلميذ يجر على ارتكاب جريمة الكذب بأن يجبره بأسوأ عناء على مشهد من الجميع . ونتيجة هذا العقاب تحصل هي أنه يفتي في أذهان الاحداث فكرة استغناء نحو الكذب شهيدة بدرجة لا تنق معها حاجة تطبيق العقوبة إلا تدريجاً .

واكرر القول ههنا أيضا بأن السبب فيما للنظام العسكري من التفوق مضيق على النظام المدرسي أو العائلي خصوصا يعود الى ان مقاومة الأون غير ممكنة . بينما النظام المدرسي أو العائلي خصوصا لا يتألف أبداً من بعض فصيح وتنبيهات لاقوة لها وبعض خطب ومحاضرات فقرة نكي : ثمير

نحق للمدات العسكرية والاخلاقية يتطلب زمنا معيناً . وفي الأصل قد كانت مدة هذا الزمن موضع مناقشة وجدال عظيمين بين "قاتلين" بانقاص مدة الخدمة العسكرية الى بضعة اشهر . وقد وضعت القضية على بساط البحث في بلاد مختلفة سيما في "بلجيكا" . وثبت انك (البر) في هذا الشأن ما له من المعارف الواسعة في علم "نفس" تم التعرف التي سبق أن دهشت لها عند ما تحدثت معه في "حد" لأيه

وقد ورد منك (البر) أن تمدد الخدمة العسكرية من عشرة أشهر إلى أربعة عشر شهراً لكي يحصل على مبتغاه قال : «إن اقاص مدة الخدمة العسكرية ما دون حد معين معناه الالتجاء لطريقة "نيس" في حين ان التجربة تثبت بأن انليس لم يقدر لهم أبداً أن يثبتوا قوة منظمة ومدربة تدريبا صحيحا . يعتقد بعض الناس

وأن معدات الحرب إذا كانت مستكلة للشروط التي تجعلها قوية فن
ما يدعوا للزهد بالملايس بغزو عديم الشئ ، إلا إنه غب عن ذهنهم
بأن الجيوش التي لانظام له وه ينشأ امراده على روح واحدة لا يستطيع
المدافع عن هذه المعدات . »

يخيل لي ان القارئ قد استشف الآن من خلال الأسطر
السابقة فائدة النظام العسكري في تكوين سجية افراد الشعب وأخلاقهم
ان الضابط يستطيع بل يجب أن يصبح المرابي والقوه الحقيقي
ناشئة من التي غدت اليوم مجبرة على مرود من الشككة العسكرية .
وقور هذا يفند انه اني ننتسنة تخضع كثير عدهم ، تخلف احيان
من ضاعة لوقت في شككة

ان تقيم جندي كيفية تقيم بالندرة لا يجب ان يتكون من
سوى جزء من جهد الذي يجب ان يزعمه وفود به . وقد سبق
قيدة درة لاشخص وسياسه ، ورررر رحمت ككبيرين من
تضباط خصائيين في عمه نفس .

ان البعض من الضباط وعددهم لايرن به فويلاجد قد ذكركو
هذا اجانب من عمل مرتب عليهم منذ زمن بعيد . وهكذا فن
جنرال (غوشه) قد صنف قبل بضعه عوه وكان بعد برتبة قائد في

صنف (أركان الحرب) كتاباً ضمنه جملة محاضرات تكلم فيها عن (بيكونوجيا - روح - الجيش والقيادة) واقتبس فيه جملة فصول عن بعض الكتب التي ألّفها .

ما فيما يتعلق بتربية الأخلاق خاصة فلقد أبان المؤلف المذكور ما بين طرائق تكوين الاخلاق الفردية والاحلاق الجماعية (كولكتيف) من الاختلافات والفوارق تبييناً غاية في الحلاء والحدوة. مما لا شك فيه ان اربعيم (تيف) يستطيع أن يوجد في نفوس الجنود منه موقفة بعض امراة اعمالية جداً كالسكر بالمشيئة الذاتية وندت في سبيل الآخرين والمصوح أو التنزه عن الأغراض ، والتصحية بالحياة وما إليها . الا أن هذه الاخلاق الموقفة لا تبقى موحودة عند روال عود أو تغير الرعيم الذي أوجدها بينما الاخلاق الدتية متحوية على تكال عادة تمعاً للمادى التي أقيمت على عرضها قبل قليل سنت وتستمر ولا يصر عليها الروال أبداً

عند ما تكون السحية قد هدت كما هدت الكاء يكون شخص عندئذ حافزاً على رُس مال عقلي أعظم بكثير من جميع رؤوس الاموال مادية ذلك لأن حوادث الايام وعوارضها يمكن في حقتة أن تنب رؤوس الاموال المادية فتعنيها الا أنها لا تستطيع أن تفسر رُس المال العقلي سوء ما أملاً

ان جميع الشعوب الحديثة سبوا منها الشعوب اللاتينية بحاجة
الى تربية اخلاقية تجهزها برأس مال عقلي وثيق لا يلحظه عنه أو
فناء . واننى لأكرر القول هنا أيضا بأن الجيئس وحده هو الذي
يستطيع أن يكسبها ايها

ان مستقبلنا سيكون مرتضا اذن بالتربية الاخلاقية التي
سيتلقبها الجيل الحديث

أما الدكاء هن كل فرد في فراسة ضارب بسهم . . . وهذا هو
السبب في أن التسامع عندنا يمح في حصول على الشمدان المدينة
بتلك السهولة . لأن حصائص السحيه وصفتها . يست سوء حفظ
ذميه دوما بالدرجة دتم .

أما الحورة هي لك حصائص ومرتبة هي في سبعين مستقبل
لأمم في نور تكامل ومهصة التي حده . . . انموه فالدحور اليه

الكتاب السابع

مجموع المحادثات والحروب

الفضيل الأول

قيمة المحادثات

بين سنة وحتل حكومات الذين متوا دورا على مسرح
خودت في هذا العصر ، سيدكر التاريخ ولاشك إسم السيو
(يوفوسكي) سفير روسيا في باريس أيام الحرب
كان سيو (يوفوسكي) قبل أن يشغل منصب السفارة في
غورستان رير زهور خوجية ، وقد شغل أيضا عدة مناصب
سياسية هامة في مختلف العرصم لأوربية
لهذا الموضع المفضل كان ذا فكر دقيق للغاية وقريحة تنقد
ذكاؤه ، بلغ من الثقافة حداً قصياً ، كما أنه كان واقفاً تماماً بالوقوف على
ذلك فمن الصعب أن يتحرف به رف به أن يفهم الناس ، وأن يعبر

كيف يكون قياده . على أنه لا شك بأن الأمور كانت تخدعه في
بعض الأحيان فنزل به قسه ويضل سواء السبيل وكن التريخ
لا يذكر لك أبدا أسماء سياسيين لم يخطوا مرة في حياتهم
ولقد كنت حصلت على طرف دخونه في عهد اقرئي الموقبلين
على قراءة ما يخطه قلبي . بل لقد أقدم حضرته أثناء مقامه في باريس
على ترجمة مؤلفي الصغير الذي سميته كرات موجزة عن تيمون حان
الى اروسية .

ولقد سبحت لي الفرصة يوماً فعرضت عليه أن يزيد على الكتاب
هذه التقدمة الثابتة وهي أن كل مخالفة بين الشعوب تتلاشى
وتضمحل حين تقدموا صحتها متباينة

فقال لي السفير وهو يبتسم ابتسامة متسوية بالهزاء والسخرية :
— لا تكتب هذه اجمة . فوس من الحدة التي أتى أيدها
التريخ لترجمة ما تعدد لا يسمع بوجد سمعها من جديد ولا يأتي
تكررها في الحقيقة بدني فدنة

(. .)

قد ظننت الحرب بل قد أظهرت سلاماً أيضاً صوب فكرة
ذلك السوسي المشهور التي كانت صادرة عن عقل ذئب وبصيرة
بافنة خفاق لأموور وجوهرها

فلقد تجنبت تلك الحقيقة بوجه خاص عند ما قلبت كل من
إيطاليا ورومانيا ظهر المحن لاثانيا بعد أن كانتا لها حليقتين في اليوم
نفسه نسي غدت فيه مصالحهما مغارة للمصالح الجرمانية

ويمكن أيضاً تحقيق ما للمحالفات من القيمة البخسة الضئيلة
عندما تركتنا روسيا ثم عندما جربت النمسا أن تنفصل عن المانيا
في أواخر سني الحرب.

إن عمل المنصوح الذي ينتج عنه قرض المحالفات يتجلى بطبيعة
الأمر عند حقها أيضاً ، ولقد قلمت الولايات المتحدة على هذا
مثلاً جيداً بالاعتبار إذ انها عندما أحست بتعاطف وعيد المانيا
وتهديدها وإبراقها وارعادها خرجت عن حيادها لكي تساعدنا على
إتمام الحرب خصوصاً وانها كانت غير مرتبطة بأية معاهدة مع أحد
وقد أظهرت الجرئمة الفرنسية سداجة تجاوزت الحد بعض
التجاوز عندما كانت تعيد بصورة متوالية على مسامع الناس طول
مدة حرب إن انكسرة وأميركا قد انضمتا إلى جانب فرنسا في
سبيل ندفء عن قضية الحق والعدالة . في حين ان الدولتين
المدكورتين كانت تدافعن عن مصالحهما المهدة لا أكثر ولا أقل
وقد كتبت ان تيمس مرة مقلا في هذا الصدد قلت فيه : « لقد

شهوراً حسناً الحرب في سبيل منفعتنا الخاصة ليس إلا ، وما ذلك إلا لكي نفلح حكام البحر والمسيطرين على تجارة العالم بجمعه .^١ وعند ما انكسرت ألمانيا أصبح من نتجته منع فرنسا من القبض على صولجان التفوق ولهذا السبب كان الذين بيدهم مقاييد الأمور في بريطانيا العظمى يعارضون ويمنعون في الرجوع حدود رين القديمة الينا مانعة عظيمة كادت تتعدى المنفعة إلى الغصب والقتل كما أنهم أظهروا المنفعة نفسها في صدد إبرام مشروع لم يزل يرمى إلى تشكيل حكومة الرين التي من شأنها أن تجعل ألمانيا قبل خسر على جيرانها .

والذي يقول في غاية نكارة من لانضمه "ينا يقول في غاية أميركا التي دحلت حرب في زعم رجال الحكومة والمصالح عند ذلك الزعم المشفوع بتأكيد لأحد المصالح عن الحق وحرية .

فقد صحح سفير ولايت المتحدة في مدينة هذه "الندوة" وأوضح عن حقيقة الخدمة عند مؤلفه بتاريخ (١١) آذار ١٩٠٧ :
« كثيرون هم الذين مزقوا يعقدون يتناؤرسنا جنودنا الذين هم في ريمان الشبب إلى ما وراء غيبط لأجيرة ذ بريطانيا العظمى وفرنسا ويطايا . في حين أن هذا الاعتقاد باطل لا ينطبق على

الحقيقة . فنحن نرى أننا أرسلنا أولئك الجنود لكي ينقذوا الولايات المتحدة
الأميركية ليس إلا. » هـ

من هذه التأكيدات المختلفة تفضى إلى إظهار الجلاء والوضوح
الذين ينشئ تحتها المبدأ القائل بأن كل محالفة هي عبارة عن
شركة وقتية بين المصالح المتنافسة لا حياة لها عند ما تغدو تلك
مصالح متعكسة .

عند ما تكون الأخطاء والمصالح من القوة بدرجة قصوى فإن
بإمكانها أن توجد المحالفات بين شعوب لم يسبق لها أن ارتبطت
مع بعضها برابطة ما من روابط «نود» . فلقد فكر الامبراطور غليوم
الثاني مدة طويلة بالتحالف مع فرنسا التي كان يحبها قليلا ضد
نكاثة التي كان حبه لها دون حبه لفرنسا . وقد علم ذلك خصوصا
من حديث جرى له مع الملك (ليوبولد) عاهل بلجيكا أفساه البارون
(فن درانست) السكرتير العام لوزارة الأمور الخارجية البلجيكية
سابقا في جملة ما أفتى من للاحديث وغيرها .

قال الإمبراطور غليوم الملك (ليوبولد) :

« منذ سنتين ضويلة وأن أجب شتى الوسائط في سبيل التقرب

من فرنسا . وفي كل مرة كنت أمد لها يدي المنصرفة بحسب وصدة
كانت تدفع ما أقدم به اليها باحتقار وازدراء . فكانت جميع نوايبي
ومقاصدي تتصادم مع معارضة الحكومة التي كانت مصممة على
عدم التحول عن معارضتها أبدا . أما المطبوعات الفرنسية فقد كانت
تندد بها تنديدا شديدا وتكتب مقالات الطوال ضدها . كما أنها
كانت تتخذها وسطة لسب وشتم والقذف في شتي . وقد فكرت
في المسألة وانصحت مع فرنسا وكنت أريد برسم المنفعة العامة
أشكر بالاتحاد معها كمنه تحالف بري قوي لدرجة تؤهل لأن يقوله
كحذر منيع في وجه الطغاة فكثرة التي تسمى لاحتكار تعد
خضيبا خاص . لكني رأيت فرنسا على عكس من ذلك كثير
كأن من الضعيفة واللائمة وتستعد لحرب بغية إبادة وذاقت من
عاقبة وجود . هـ

على ان انكسرية (وقد برهنت ديب خوف أعظم بسري في
جسمها عند ما رأيت ان منقصة ما فيها غدت في تعاضد مستمر)
لأن تلك إذ ذلك تتأخر عن عقد محادثة مع ما فيها كانت مستهمة
لأن تقدم على ذلك طوعا . لكن مساعي التي بذتها في هند
اسبيل ألقى نجاحا كبيرا ، إذ أن ما فيها كانت في الأصل على

يقين تام منذ بدء الحرب بأن بريطانيا ستلتزم جانب الحياد كثيراً ما أكد العارفون بأنه كان من المحتمل أن لا تثير ألمانيا الحرب فصرحت انكلترا عام (١٩١٤) بنياتها وأعلنت عنها فوراً لكن هذا الابطاء كان من النتائج التي نتجت عن سياستها التقليدية الانكليزية أما نفع الاتحاد مع فرنسا فلم يتحقق لها (أي لانكلترا) اللهم إلا عند محرقة الدنيا حياد بلجيكا وهددت (افروس) خلافاً كان يؤمله رجال الحكومة الانكليزية

إن جميع هذه الأمثلة التي ترينا بأجلى وضوح الأركان النفسية التي تقوم عليها المحالفة تساعدنا على الاستدلال على معنى هذه الكلمة الحقيقي .

إن المحالفات بين الشعوب أصبحت أمام نهضة العالم الحالية وعده ثبت مصالح الاقتصادية لا تعد شيئاً آخر سوى، (شركات وقتية بين المصالح التجارية) وهذه الشركات لا تبقى حية عندما يزول هذا التوافق بين المصالح بل تزول وتضمحل .



وما يجب أن لا يذهب عن البال أيضاً عندما يكون مدار البحث سكونه عن المحفلات به فيها عدا المملكات التجارية التي نتمتع

مراعاة الصدق والشرف [لأن العمل بخلاف ذلك يخشى معه
اقتطاع تلك العلاقات وعدم إمكان ادامتها] تقول فإعداد العلاقات
التجارية لا وجود لأثر من آثار الاخلاق السياسية الدولية . أن
عبارات الحق والعدالة هي إذن من التعابير المجردة تماماً عن النفوذ
والقوة والتي لم تؤثر يوماً على سلوك الحكومات أو على الطرائق التي
اختطتها نفسها

يتألف التاريخ بوجه خاص من سير الحروب والمعارك التي
شدتها الشعوب القوية على الشعوب الضعيفة بدون أن يكون محق
ومشاه أي شأن في هذا الصدد . بل أن المشتغلين باستفراء حوادث
التاريخ يقصرون عجبهم واندهمهم على الغزاة الذين كانوا يكثرثون بعض
لا كترت تذكرة حق واعدالة . وثمة - عقب (فردريك الثاني)
ملكه بروسيا (باكبير) لا سب آخر تقريباً سوى أنه كان
يسلب جيرانه بعض الولايات التي لم يكن له أي حق عليها

وقد جرى هذا الحال نفسه في جميع البلاد . وفي خطاب ألقاه
نسيو (بوانكاره) في (دنكرك) ذكر السمعين أن تمت المدينة
عندما ظهر أنها غدت منافسة ذات خطر على التجارة الانكليزية
فمن الحكومة البريطانية هاجمتها فجأة وحوطت أن تحرقها وذلك أنها

لكي تتمكن من تجربة هذه العملية فاجأت المدينة بهجومين أحدهما عامه (١٦٩٤) والآخر عام (١٦٩٥) وكانت في كل مرة تبعث بعجزة بحرية مؤلفة من بارج و (حراقت) كثيرة العدد . على أن (جن بار) وان نجح في منع وصول الأذى لتلك المدينة يكن الأناكيز توحده بعد قليل في تدمير استحكاماتها وهدم حصونها وتخریب مرفأه .

وعندئذ كان التمون الفصل للقانون الأدي المسيطر على العلاقات السكائنة بين الشعوب في لوقت الحاضر والذي سيقى المسيطر على تلك العلاقات في الغد وفيما بعد الغد أيضاً وهو . الحق للقوة

بن معاهدت التحالف التي هي عديمة الجدوى غالباً قد تكون فصلاً عن ذلك ذات خصر في بعض الاحيان . لقد كان أمر المنازعت وعصمت التي دارت بين انمس وسربيا سواء عندنا ولم يكن ليعنيننا بوجه من توجهه . أما خلف الفرنسي الرومي فقد كلفنا مليوناً بخمسة أوف نفس ودمار كثير من أيلاتنا وعدداً جسيماً من نابيرت .

لا حاجة لأية معاهدة من . . . هدات التحالف لكي تجعل أحد

الشعوب يتمكن من أخذ نصيبه من العرائذ إذ ما اقتضت ذمت مصالحه ومنافعه فن الحكومات التي فقت غيرها مساعدة لنا أثناء الحرب (أي انكلترا وأميركا) هي الحكومات التي لا يمكن برفضها حقيقة أى عهد أو عقد أو ميثاق .



لا تريد أن نستخلص مما سبق أن الخلفات هي دوماً عدية المنفعة إذ أن بإمكانها أن تكون ذات تأثيره منوي ثمين في سبيل ملافة غارة الشعب القوي ضد الشعب الضعيف . فلو كان يخضر في بال ألمانيا — كما بعد إلى ذلك فيما سبق — أن كاترة ستتحده مع فرنسا ما كانت الدنيا — بدون شك — تسبب نشوب حرب رعيه تمه كن يحتمل أن تتمكن معاهدة تحالف حقيقية واضحة بيننا وبين كاترة عوضاً عن بعض وعود تهاهه عن منع تسعل نار ذلك الحريق انهء الخضر .

والتي قيس فيه سبق يدل يضاني نه هسة نى كن فى شية عقدها أثناء انعقاد مؤتمر الصلح بين فرنسا و انكلترا وهيركا . إذ لو تم عقد تلك المعاهدة لأتى ذلك بالنتفع الجزير من حيث تقضاء على نيت ألمانيا نى كانت منعقدة على الانقاد والأخذ بأشر وه حرق اللشال به .

إن أي شعب ليس اليوم من القوة بحيث يستطيع أن يعيش بدون تحالفات المنوية تلك التحالفات التي هي وحدها في متناول الأيدي في الوقت الحاضر. لأن التحالفات الأخرى عديمة الفاعلية كما أن ذلك فيما سبق. فمع من يجب على فرنسا أن تتحد؟

إن هذه المشككة تامل المسائل التي طرحت من قبل (الاهرام) على أساس السحت كما جاء في الأساطير القديمة ومن المشاكل التي يتحتم البت فيها فيما يتبادر من خطر الهلاك والفتنة. إذ عليها يتوقف مستقبلنا.

أما التحالف مع الولايات المتحدة فربما كانت الرغبة فيه قد تفوقت الرغبة في غيره. ولكنه رفض من قبل مجلس الشيوخ الأميركي وذلك لأنه ما كانت مصاحبه أميركا قد تبديت منذ انتهاء الحرب قد تعبرت أفكارهم أياً بما بطبيعة الحال.

وقد جهر رئيس (هود ينغ) بما يكرهه ضد أوروبا فأبلغه ذلك إلى تروى زمام الحكمة كما أن بث الدعاية في سبيل ألمانيا جعل الولايات المتحدة تنسج في نطابة بلبلانغ التي أقرضتها للحلفاء أثناء الحرب العالمية بهر أن كانت حتى ذلك الحين لم تفكر قط بهذه الأمور.

أما الجرائد الأميركية فهي توزع لأن إلى الحكومة إنه إذا كانت الولايات المتحدة تتحمل أعباء الضرائب الثقيلة فما ذلك إلا لأن مديونيتها المتحالفين لا يريدون تسديد ما عليهم من المديون في حين إن باستغابهم القيام بذلك بسهولة إذا كفوا عن تكريس جميع دراهمهم في سبيل التسليحات .

فالشعب الأميركي يزداد اعتقاداً يوماً بعد يوم بأن استمرار فرنسا على التسليح هو الذي يحول دون نجاح مشروع نزع السلاح العام . ويرى العارفون ان ضغطاً سياسياً باستطاعة حكومة وتنظي أن تقوم به نحو حكومات أوروبا يمكن أن يفي بامراض المنعوب

إنه لمن الممكن أن تطالب حكومة الولايات المتحدة بإنهاء بعض الشعوب الأوروبية على إقتاص التسيحت . و حكومة الأمانية تثق كثيراً بهذا الأمر .

إن هذه الخطوة الجديدة التي ختمتها أميركا لنفسها تريد — مرة أخرى — عظم انتص الذي غدا يمتري عهدت في زمن لأخير . ويريد بوجه خاص أن يجب ألا يعقد لأمر على محادثة تنقد مع أميركا .

إن عقد المحالفات مع حكومات في الدرجة الثانية أو الثالثة من حيث القوة نضير تشكوسلوة كيا و بولونيا وأضربهما جدير بشيء من رغبة . إذ يصح علينا عند عقد مثل هذه المحالفات أن نبذل كثيراً وأن نتناول قليلاً . ولقد سبق لنا أن رأينا إلى أي حرب مع روسيا السيفيتية كادت تودي بنا المحالفة البولونية (النصفية)

ما لمحة مع إيضاً في من المحالفات التي لا يرجى لها الدواء والنبت كثيراً . فنعدداً كبيراً من مختلف الصحف الإيطالية تتردد في الأتحاح بلنضالبة بكورسيكا ونيس وتونس ، ولم نجح عن لأعدان — كما فعات الجيورنال ديطاليا — بأن في استطاعة إيضانيا تماماً أن تنضم إلى صفوف لمانيا كما كانت قبل الحرب .

ب الاعتداد بجمية جمعية الامم الوهمية او بالمبدأ الاشتراكي "تقدت بجم" ثم لأرض عائلة واحدة أو بالخطب والمحاضرات "سحيفة" التي يتقيد "تقانون باصلاح الابدى" ، إن الاعتداد بمتل هند لأمر يمدء برة متنعية وخفلة لأغفلة بمدها . إن الاعتداد بالوهه التسمية فصح "يوم غير جزئ" . فقد أودت بناتلك الأوهه من تنف حريف هراء ، وكما نسقط في الهاوية الفاغرة فها لا بتلاعذ عندما لا نستطيع أن نعمل المعونة من أميركا التي هي بعيدة

عنا جداً والتي هي غير مهتمة كثيراً لتحديد مشروعها العظيم (أي
المشروع الذي قامت به أثناء الحرب) فإذ قدوا إزاء منفردين
في أوربة، وفي هذا ما يجعلنا من الضعف ووهن المرجحة عظمي
من أنكرة اليوم لا تزال أشعب الوحيد التي تفرسة نفع
كيد من وراء عقد شئنا بيننا وبينه بسبب ما من التآثير
معمري .

٥١٥

إذ ريد تحري القواعد نمكن عقد من هذه المحادثات عظيم
يجب عينه، ولأن نحسب حساباً مسدياً أسيسية التقديدية
تتي تمدني عيهم نكرة، ثم يتعلل عينه أنظر في حدة رة
إل رحل احكومة المدين يدي ون أموز شعوب تي حده
الناضي الطويل في حنة فر ر، بتة، يحدس نفسه بدات، تدين
حكة عند قليل من مديء ورية في رسة محاولات بانتهالات
لتي تحيف بهه، بل ب بعض هذه مبدىء هي في الأصل تة
درجة نجعل الأحكام المنتخبين من الأحزاب أسيسية، تة رة
لا يكادون يتوون رماه لأ مورحتي تراهم يضبقونهم ويسبرون بموجب
به، ن كانوا باناس يعرضونهم، ويقدمونهم

إن انكلترة هي الشعب الذي يفوق جميع الشعوب الحالية الأخرى من حيث بقائه ثابتاً علي ما كان عليه ، ولهذا السبب بقيت سياستها غير متقلبة ولا متبدلة على مضي الأزمان. ولقد كان دأب الأباطورية البريطانية منذ عهد («إرمادا» الذي لا يظن) حتي زمن (نيوليون) القيام في وجه كل سلطة أوربية يدعولها أنها أخذت تكبر وتتعاظم ولهذا فعندما بدا على فرنسا عام (١٨٧٠) أنها أصبحت قوية جداً وأينا نكلترة تهتم للانتصار الذي أحرزته ألمانيا على فرنسا . وناعدت القوة فتزمت جنب ألمانيا عام (١٩١٤) شاهدنا بريطانيا المعطى هذه المرة تنضم الى جهتنا وتلتزم جانبنا .



وقد نملك من حكمانا الوم فجلهم القلق على قصد مخالفة يعتبرونها من اللزوميات التي لا بد منها يتنازلون لانكلترة منذ أوائل أيام الصلح عن جميع المضاييب التي جعلت انكلترة ديدنها المطالبة بها ، وهكذا سهوا لها القيص عي صولجان (التفوق الدولي) في أوربة .

إذا كانت بريطانيا المعطى غير محتاجة لفرنسة فإن مطالبتهما بأى شيء من الأمور التي لا تجدى فمأ بالكلية . ان عقلية رجال حكومتها لا تسمح لهم باعطاء أى شيء إلا تحت نضيق الضرورة المطلقة التي لا منص من النزول عند مقتضياتها

ان اكلترة تُخذ اليوم من جميع الجهات وتمرقل أعمال
حلفائها القديمة ويبدوانا نه لا تميل كثيرا الى اراء نفسها بعقد
مخالفة جديدة والسخول في مثل هذه نورطة

فذا ستمرت اكلترة على "سير بموجب هذه نخطة فم عسها
تكون النتائج التي تتدى عن ذلك ؟

يفرض ان سانب العتيدة استطاعت في زمن معروف من قبل
القدس ولكن لامنص من حونه — ن تخرج من الهوة السحيفة
التي التما فيه، حُرب وضت بانها غمت من القوة بحيث تستطيع
لاحد سؤها، مهاجمة فرنسا مفردة التي لعزل عنها جميع صحتها
ه ذ تصيح حل اكلترة د خرجنا من المعركة مغويين ؟

ان مقدرت اكلترة لا تمدوا ذ ذك، متبسه على حد ولا يبقى
بجل للارتباب بما ستؤول اليه حلفاءه . فهى لا بره وجيزة حتى
تقع (انفرس) (وكاه) في يلى الامانيين . و ذ ذك فقد اكلترة
على الفور كامل سيطرتها على البحر . ولا يمانى لمانيون حيثند
مشقة في الاستيلاء عايبها وسفوف في يديهم بسوة . وتصح اكلترة
حالا مستمرة بسيطة من المستعمرات اجرمانية

ان المخالفة مع المانيا التي هدتها بها استرلويده جورج أكثر

من مرة لا تنفذ انكثرة من مثل هذا المقدر. ذلك لأن المانيا
تنكس على عقبيه، بسرعة ضد حليقتها حالماً تصبح فرنسا مغلوبة
ووه تكن تبغي من وراء ذلك سوى استعادة مستعمراتها .

وعليه فن الأمبراطورية البريطانية يجب أن تخضع لحكم
القضاء الذي يحتم عليها أن تعقد مع فرنسا محالفة صريحة خالصة من
الغموض ولاهايم ، وبدون أن تجعل لغرض من الأغراض عدا
مصحتها دخلاً في هذه المحالفة ، وذلك لكي يمكن نزع فكرة إعادة
الحرب الراسحة في ذهن المانيا .

إن المحالفة مع انكثرة ليست أبداً قضية حماية تلتمس بل هو
مر وجد للدرس يجب البحث في شأنه . إن ساستنا يربحون من
عقد مثل هذه المحالفة إذا دخلوا اليها ، بصفة تجار يمرضون مبادلة
بضاعتهم مقابل أثمان ته دلها . إن الحزم المتحلى بالأدب والالطف
يجب أن يقوم مقدم التفريط بالحقوق الممزوج بالخوف والفرع ، الذي
بدها ويبيديه ساستنا أثناء المفاوضات التي دارت في مؤتمر الصلح
ومنذ ذلك الحين حتى اليوم . ولقد جاءت ضد مصلحتنا تلك
الأفكار العقيمة التي كانت متمكنة من دماغ الرئيس ولسن المطلق

السلطة عند ما كان يسعى وراء تحقيق المثل الأعلى الذي هو وهم من الأوهام المستحيلة ، كما جعت مخالفة لمنفعتنا تلك الأفكار منقذة التي كانت راسخة في ذهن رئيس الوزراء الانجليزي سابقاً الذي كان لا يملكه إلا أن يزيد في نمو الأمبراطورية البريطانية ولا يريد إلا أن يترك فرنسا في حالة من الضعف يجعلها تشعر من نفسها دوماً بأنها تابعة لانكلترا خضعة لمشيئتها .

إنه لمن الجلي الواضح إن المخالفة مع انكلترا يجب أن لا تكون بشكل يحسن مستقبل رهبين الظروف بصورة شديدة الوضوء ، كما أنها يجب أن تكون شكل لا يوقف في حروب بعيدة . فذ قنض ذلك أن فقد محنة مع اليابان وصف ذلك أن دخلت هذه الأحياء في حرب مع الولايات المتحدة فلا تتيء يقيناً إذ ذلك من خوض غمر معركة جديدة تفوق معركة التي خرجنا منها سؤماً ونحساً . ويجب أن لا ننسى كما نمنن الأناضول في ذلك عهد سبق أن تخلفنا مع الروس قد جردنا إلى المعركة خائفة التي قوضت ذممهم البعد وهمت أركانها . كما أنه يجب أن لا يذهب عن البال أيضاً أن (تحالفنا لنصفي) مع انكلترا في الوقت الحاضر يكاد يدخلنا في حرب مع تركيا .

وعلى ذلك فإن معاهدة تحالف بين فرنسا وانكلترا يجب أن
تعين بوضوح الأغراض والحدود المتبادلة في العهد المقطوعة بين
الأمتين . ويجب أن يكون هدف تلك المعاهدة منع هبوب عاصفة
تشعل النار في جميع أنحاء أوربة وتحدث حريقاً لا شك بأنه إذا
حدث سيكون إشارة لتصرم أجل حياة مدينتنا .

إن هذه الحقائق التي هي حقائق الساعة الراهنة متمسكة على
المكائد السياسية العقيمة وعلى نثره القائلين بمبدأ الصلح الأبدي .
إن الحكمة قد أصبح اليوم أكثر من أي وقت آخر يتوقف على
إدراك عواقب الأمور قبل وقوعها . فإن عدم التبصر بالأمور قد
كلفنا حرب أربع سنوات ودمار بعض مقاطعاتنا الغنية . كما أن
تكرر الوقوع في مثل هذا الحادث لا يمكن أن ينقضى بدون عقاب
أو قصاص ما

الفصل الثاني

المطامير في سبيل التفوق الدولي والاحتفاظ بالكيان

(١) - فضائل انكسرة في سبيل التفوق الدولي

إن جميع الشعوب العظيمة في التاريخ كانت تطمح ببصرها
دوماً نحو التفوق الدولي .

على أن هذه الخاجة التي تختلج في النفوس هي البه شديدة
شدتها زمن (قيصر) و (شاركن) والفرق هو أن الدول في زمن
الحاضر غدت تكتمها ولا تعترف بهب . إذ أن رجال الحكومات
الذين يسيطرون على مقدرات الشعوب يدعون إن أفكارهم متحررة
من هذه الفكرة .

ولقد صرح وزير من كثر وزراء بريطانيا العظمى ميلا في
الملكية في إحدى خطاباته بتوقنه إلى إيجاد تعاهد بين الشعوب من

شأنه أن يمنع حب الرفعة والطمع من أن يحملا العالم على خوض
غمر هذ الاختلاط بين الخابيل والنايل أو هذا التقلقل والتبليل
الذى يسمى باحرب . »

على إن رجال السياسة وإن كان معنى الكلمات عندهم مرناً يتبدل
بسهوة حسب ما يشاؤون ، لكنه من الصعب جداً على هذا الوزير
أن يعزو ما تقوم به انكسرة بلا اقطاع منذ بدء الصلح من توسيع
نطاق الأراضي التي تملكها لدواع وبواعث أخرى غير الأسباب
التي انتقدها أي « حب الرفعة والطمع » .

والداعي لهذا التناقض الكامل بين الخطط التي يسير عليها
رجال الحكومات وبين الخطابات التي يفوهون بها يرجع الى أسباب
نفسية عميقة ، ذلك لأن الخطابات تتعلق بالمثل الأعلى الشخصي .
فهذا المثل الأعلى فضلاً عن انه (نظري) فهو بعيد عن عالم الحقيقة
وواقع أن قيلاً أو كثيراً . كما إنه لم يمكن تنفيذ مراميه بعد ، في
حين أن السوء أي انتهاج الذي يسير عليه رجال الحكومات
ينعكس عن الآمال والمرعى الوراثية للشعب الذي يدبر أموره أولئك
حكاه ليس إلا . ولهذا فن كل رجل من رجال الحكومة لا يكون
ذ نفوذ إلا عندما تبني الخطة التي يسير عليها عبارة عن مرآة تنعكس

عنها آمال وتعاقد العنصر الذي يمت إليه ذلك ترجل . كما إن بإمكانه أن يخطب في الناس محبباً إليهم مبدئاً لآخه محمداً فكرة التعاضد ولكنه يدبر دفة سياسته بموجب مبادئ مختلفة ثمه لاختلاف عن المبادئ التي ينادى بها ويحببها .

ما كانت زكارة عبارة عن تعجب يضح بصرد دونه في التوسع وزيادة بسط النفوذ في ما من نبيء يسمح لنفسه بفرض أن عقيدتها التقليدية خرافية (كما نكتب) قد حُتق به - تغيير أو تبديل .

إن الفرق الذي حمله كدستور والكائن بين الحفبات المبعثة عن الروح الشخصية المنطوية على التمدد وتصير وبين السلوك الذي تمليه روح الشعب التي لا تنهوى على شيء من ذلك هذا الفرق هو الذي يسيطر على حياة الشعوب السياسية وهو مسيطر عليها بوجه خاص منذ ظهور لأسباب التي دعت لشوب الحرب الأخيرة .

وعليه يجب أن لا يعترينا العجب كبيراً عند ما نرى رجال الحكومة الانكليزية الذين صرحوا في خطاباتهم التي ألقوها حول مدة الحرب أكثر من مئة مرة بأنهم يحاربون ضد (اميليتاريزم)

وهو التفوق الدولي يسرون منذ اليوم الذي تلى انقراض الصلح بموجب خطة تخالف المبادئ التي سبقت لم المناذاة بها بكل أبهة وتبجح على رؤوس الأشهاد محاولين القضاء على السيادة الدولية لالمانيا واقامة دعائم التفوق الدولي الانكليزي مكانها .

إنه ما من شعب أظهر ما أظهرته انكلترة من الميل الشديد لتدوين البلاد والقيام بالفتوحات . إذ أنها بعد أن اختصت نفسها بالاسطول الألماني واستولت على المستعمرات الألمانية أعلنت حمايتها على مصر وعلى بلاد ما بين النهرين وعلى بلاد المجر ، ثم جربت أن تستولى على الأستانة وعلى قسم من تركيا عن طريق توسيط اليونانيين .

وإنك ترى تلك الأمبراطورية العالمية البريطانية مع ما استولت عليه من البلاد وألحقته بها فتاير بلاد ما بين النهرين وقلسطين ومصر و « أفريقية الألمانية » والكرون والتوغو وجزر « أئصد » وغيرها ؛ تراها تقبسط في النفوذ في بقاع تمتد من مصر إلى الكاب وإلى الهند تتضمن شطرا كبيرا من أفريقيا وآسيا وتنفس وء حمايتها على أكثر من ربع الأرض .

ان حالة انكلترة اراهنة يمكن أن تتلخص في هذه الجملة التي
فه بها اللورد كرز في مجلس العموم وهي (ان انكلترة قد ربحت
كل شيء في هذه الحرب بل لقد حصلت على أكثر مما كانت
تأمل) .

وفي لوقع انكلترة يوماً تحل بمنى هذه السامطة المعجبة
فمن بضعة أسابيع قد كتمها تستغل جميع الارباح والشرف التي جرت
بها الحرب العنيفة .

قل العلامة انورخ (فريرو) :

قد استوفى على انكلترة نوع من الهنين جعلها تتوق الى بسط سيادتها
على العالم باجمعه فهذه اربعة لا يهدد العالم باجتند به نحو عوة سحيقة من
انحراب والغناء بعد الاضرب الادنية الاله وقد وقعت انكلترة
في الخطأ نفسه الذي كان سبباً في سقوط نابليون اولاً ثم في سقوط المانيا
بعدئذ . اذ خيل اليها ان مصلحة الشعب الواحد يمكن أن يقتصر
عليها العالم فيجعلها دستوره الذي يسير بموجبه . ولهذا فهي تجرب
أن تقيم على اطلال نصف آسيا مستعمرة كصورة عن الامبراطورية
النابليونية أو الامبراطورية التي حاول الامسانيون أن يؤسسوها بعد
أن اعدوا لتلك وسائل اعظم من وسائل انكلترة بما لا يقاس . ه ه

ان انكثرة لاسمى لتنفيذ ارادتها التى ترمى الى القبض على صوبجن السيادة الدولية فى العالم عن طريق الفتوحات والاستيلاء على الاراضى فحسب بل وعن طريق تصرفاتها بازاء حلفائها ، تلك التصرفات التى تمثل تصرفات الملوك والسلاطين المستبدين بازارع اياهم عند ماكان الملائقة على ابواب (فرسوفيا) لم تحجم انكثرة عن ايجاد ابواب (دانزينغ) التى هى الطريق الوحيد الذى يساعد فرنسا على ارساؤ المؤمن والنخائر والاعتاد بسهولة الى البولونيين المكثفين بايقاف تلك الغارة . كما أنها اضطررتنا امام الاعمال المدائية التى يقوم بها نفر من دخول فى الحماية الانكليزية بمن يقيمون على حدودنا السورية . لأن نضحي فى سورية بعدد غير قليل من الرجال وأن تنفق عدداً لا يستهان به من الملايين . وعدا كل ذلك فهى لم تنفك مدة اربع سنوات عن مماكسة مطالبينا المتعلقة بالتعويضات .

ينتج مما تقدم أن تشييد اركان السيادة الدولية الانكليزية هو من انتتج اترئيسية للحرب العالمية وأن يكن من الأمور التى لم يتوقعها الناس كثيراً .

على ان هذا اتفوق الدعوى لم يكلف انكثرة نفقات طائلة ، فقد

بقيت حالتها اذائية من الجودة بحيث تميزت بزيادة وزدت صحت
اليوم تفوق ميزانية المصدرة .

وعليه فان اورية تقابل ربع صوت ضد تسبنة لاثانية
التي تقع تحت نير السبنة لانكيزية . هذا ويسر عند أي من
يسمح ان نعتقد بأن السبنة الأخيرة ستكون خف وضئ
من الاوز .

ويتمد كن التمس فيما معنى يعيرون على اثانية سعيها في سبيل
تصويب رغباتها التي كانت ترمى الى القبض على صوبخان التفوق الموني
وذلك عنه ما تؤكد بانها كلفت من قبل (اسماء) بهمة تمدين نعام
رأينا مسترغويه جورج يؤكد في خطاب لقدم في (سفينة) .
« ان العناية اربانية قد كلفت العنصر الانكليزي بهمة تمدين
شعر من العام . »

وانه من المؤسف ان يضمن فوزير مشهور على نعام بيان غرق
السرية التي اهتمته بأن المون عزوجل قد مض بانك اتمرة القيد بهمة
التي سبق أن اناط القيام بها لاثانيا .

ان الشعوب تتبع في سيرها طريقة مخدمة كل محافة الافكار
والمبادئ التي تودي بها اثناء المفاوضات التي دارت في مؤتمر الصانع

قد رأينا في الحقيقة أنه قد خرج لحيز الوجود في بقاع مختلفة من الأرض مركزان أو ثلاثة مراكز للسيادة الدولية ، ويظهر أن مراكز السيادة الدولية هذه قد عمل في تكوينها وتكاملها القانون النفسى الآتى :

كل شعب عندما يعظم يميل الى السير في الطريق الموصلة للسيادة الدولية ، ثم يميل الى القضاء على الحكومات المنافسة له حالما يفتدوا قواها .

وفي الحقيقة ان السبب الرئيسى لثشوب الحرب الأخيرة هو عبارة عما كان بين المانيا وانكلترة من المنافسة التى كانت تدعوها لتنازع السيادة الدولية فى أوربة . ولما فكر أمبراطور المانيا باعلان الحرب فكر فى اعلانه ضد انكلترة لاختد فرنسة .

ان الشعب الذى يطمح ببصره الى السيادة على العالم لا يلبث حتى يرى ان الشعوب الاخرى التى هى ذاتها أيضاً تتوق الى القبض على صولجان السيادة الدولية — قد قامت ضده وهبت لما كسته ولقد غدا الناس اليوم يرون هذه الحقيقة ويتبينونها شيئاً فشيئاً فبمقابل (الامرياليزم) الانكليزية تنمو بسرعة كلية (امبرياليزم) الولايات المتحدة التى تحلم منذ أمد بالقبض على صولجان التفوق الدولى فى آسيا بالرغم من معارضة انكلترة واليابان الاكيدة .

وكنك قن الولايات المتحدة تسرع الآن في إعداد أسطول بحري يمكنه أن يقاوم اليابان ويتغلب عليه . لأن اليابان يهجم بها بعد أن أسلخ « شانتونغ » بما فيها من السكان الذين يبلغ عددهم (٣٠) مليوناً وتستولى عليه — أن تبسط نفوذها على سيبيريا الشرقية وعلى بلاد منغول وعلى شامى اليابان وعلى جزر الفيليبين .

٢ - نضال في سبيل الاحتفاظ بالسكبان في الشرق الأقصى

إن المطاحنت في سبيل التفوق المدولى في أوربة نشأت بوجه خاص عن الأطماع . وغية ما هناك أن هذه الأسباب قد يتي عندها يوم تزول فيه من عالم الوجود برمتها وينجو الناس منها . في حين أن انضال الذي أخذ يحدث في الشرق الأقصى هو بانظر لليابان نضال ضروري عن الحياة وكنح واجب في سبيل الاحتفاظ بالسكبان بسبب تكاثر عدد النفوس فيها وازديده ازيداً مفرطاً يوماً بعد يوم . وهو نضال لا تقوى جميع الخطب الزنانة التي تلقى في المؤتمرات على الوقوف في سبيله وصد تياره .

فهذه الحالة المرتبطة بالمستقبل هي من العناصر الأساسية في القضية المعروفة بقضية المحيط الهادئ (الباسفيك) والتي يضطرب لها بالولايات المتحدة كثيراً لأن مستقبلها يتعلق بها .

ونا كان الامير يكيون كبقية امم الأرض جمعا ذوى عقيدة
تصوفية أوسرية بخصوص المؤتمرات قد عقدوا مؤتمرا في (وشنطن) لحل
تلك القضية . فكان اول ما وضع على بساط البحث هو مسألة
التسليحات . ولكن الحقيقة هي أن الأمر الذي كان يشغل عقول
القوم اذ ذاك لم يكن عبارة عن هذه المسألة التالية قط .

ان قضية البانسيفيك بالرغم من جميع الكنايات والاستعارات
التي يحيطها بها الخطباء لمس الحقيقة تنحصر في ايجاد وسائل من
شأنها أن تعيق اليابانيين عن امتلاك آسيا ونشر لواء سيادتهم في
ربوعها وتمنعهم بوجه خاص عن ارسال مهاجرينهم الى الولايات المتحدة .
ولم كان اليابانيون لا يختلطون بالعناصر الأخرى ، ويتكاثرون
بسرعة كلية ، ويشغلون فضلا عن ذلك مقابل أجور دون الأجر
التي يتقاضاه ذوو البشرة البيضاء فسينا فسون هؤلاء الأخيرين
منفسه تأتي بالضرر البالغ على « البيض » وتقضى عليهم .

فهاجرة بالنسبة لليابانيين غدت ضرورة متحتمة لاسب منها
وأن تكرر ومصالح الأ مير يكيين على طرفي تقيض . إذ لما كان عدد
النفوس في اليابان يزداد في كل سنة ازدياداً هائلا لم يعد بإمكانهم
والحالة هذه أن يجدوا في البلاد اليابانية أمكنة يأوون إليها ولو كانت

عبارة عن أرض مجردة لا بناء فيها ولا عمر. كما أنهم لا يستطيعون النزوح إلى بلاد الصين بالنظر كثافة النفوس في هذه البلاد التي غدت تفتيق يذهب فضلا عن لا غرب. فهذا تره ريمون النزوح إلى الولايات المتحدة والمستعمرات الانكليزية.

وقد استطاعت بعض قوانين من قبيل القوانين (الدر كونيّة) (١) أن تجعل هذه مهاجرة من الصعوبة يمكن حتى اليوم. وقد حصل اليابانيون أحكام هذه القوانين فلهذا يكونو الشعب الأقوى .
أما الآن ؟

أما بريطانيا التي هي مرتبطة مع اليابان بماهدة تحالف وتتي يجعلها بعد المسافة وانكشها في بقعة ذئبية بعيدة في دمن من خطر الغازات ، فهنا لا ترى في انتشار العنصر الأصفر وتكاثر عدده أي خطر أوضرر . ولكن الأمر على خلاف ذلك تمدد مع المستعمرات الانكليزية نظير (كندا) و (أستراليا) و (زلندا الجديدة) و (افريقية الجنوبية) وغيره من المستعمرات التي تشرف الولايات المتحدة ميول في هذا الصدد ، ولا تريد بوجه من توجه أن تدع الخضرا الأصفر يكتسح البلاد .

(١) نسبة الي « دراكون » . وهي قوانين كانت تفرض عبثية لاعضاء على أقل هفوة وأدنى خضيثة . حتى قيل كانت خفت باله . وهنذا يضر بها المثل اليوم في معرض الصرامة والشدة - انترج

وقد صرح مندوبو هذه المستعمرات بأرائهم في هذا الصدد بصورة باتة صريحة ، وقام رئيس الوزارة الاسترالية بتصريحات قال فيها : « تتمتع البلاد التي نتمناها بحقوق يصرح لها أحدها بأن تكون حرة في اختيار مواطنيها واصطفائهم ، وبالتالي أن تطرد الغرباء الذين لا يلتزمون مع أغراضها ومصالحها . »

فيل سنصبر لليابان الحالية زمناً طويلاً على هذا الخمران المين رغوا عن إنهم تتحمله حتى الآن وهي تمانم أشد المانعة ؟ أن القوة وحدها تستطيع أن تسكرهم على ذلك .

وقصارى القول أن يبان الأمس الضعيفة قد أصبحت اليوم حكومة ذات قوة عظيمة تشمل أعظم الحكومات باماً معاملة الند اند . فهي تملك أسطولا يضاهاي أسطول انكاترة ، ولقد قام هذا الأسطول أثناء الحرب بحومة (الضابطة) في المحيط الهادى ، وأدى لاطفاء خدمت جلى . كما أن ممثل لليابان في باريز قد كان من أعضاء (اللحنة العليا) التي وضعت شروط الصلح العام .

فيابن الأمس الصغيرة هي اليوم عظيمة جداً من الوجهة سبسيه . فذا ضربنا صفها واه نككه عن استيلائها على الصين فتصدياً نرى نهم قد أختت به بلاد اشاتونغ) التي هي من

تساء مسحة به يعادل مسحة فواصة. ثم نظمت (مشورية) كما
ين. متحق ببلادهم قرب ولايات كلاً من (سيبريا) ووجهت
بحيرة (بثيكال) و (ولاديفستك) وكان هذه البلاد من مناطق
الغنية بنفخ وزيت البترول. فنبدأ اليوم سيدة آسيا الحقيقية.

وقد كنت تلبث منذ مدة بعيدة في مؤلف كبير كرسنا
للكلام عن الشرق بآله من حروب و حنا بين المعصر
الأبيض والمعصر الأصفر.

ويطير أن هذه الساعات قبرت الآب. وذ كنت ولايت
المتحدة هذا القدر في نوت حاصر عن لدوع عن نفسه أمه الثورة
اليابانية لما ذلت بالآلة. غطرت كل مساء حنة وقتة. أن
تسكن حيساً وومس عرة بحرية.

بعض هذه الأسماء ذلت و سيحدث وبعضه
معوية في توبه. سمعنا لا كبيرة بحود تربي مبرك
أيوم توم صعد الياباني. وكان في ضعف في ديد سنمره
وهو نرها تربي أن تحب ودهم نصمن في جناب نخول في
معركة من أوضح ثمها متكون هافة ودمية أكثر من الحروبات.

السابقة بمسألة يقاس . إذ ستكون هذه الحرب هي الحرب العظمى
سنتخر حدودها بين العناصر . وستقضى الضرورة على الهند ومصر
والصين بخوض غمرها الى جانب اليابان وذلك لكي لا يطأطأوا
رؤوسهم ويحنوا أعناقهم بعد الآن للتفوق الذي يدعيه العنصر
الأبيض عليهم .

ويمكننا أن نعتبر من الحقائق الناصعة تلك الفكرة الحديثة
التي صرح بها رئيس الوزراء الاستراليين إذ قال : « إن الدور
الذي تتبعه الحوادث العالمية العظمى أصبح على وشك الانتقال من
منح اليبسة الأوربية الى مياه المحيط الهادى . »

قد نرح مؤتمراً (وشنطن) فى أن يؤجل بعض التّجيل موعده
نشوب الحرب العظمى بين أميركا وآسيا

على أنه لما كانت دلائل الأحوال تدل على أن تلك الساعة
لا يمكن حوّلها فن حكام الولايات المتحدة سيحبسون على سلوك
أحد هذين الطريقين :

أما انضاء بعارة اليابانيين والقبول بها واليابانيون إذا ما أغاروا
على الولايات المتحدة بحولنا فى نهاية الأمر إلى مستعمرة من
المستعمرات اليابانية بسبب تكبرهم العظيم الذي لا يمكن أضعافه
وإطارد . وأما صد تلك الغارة عن طريق امتشاق حسام الحرب

فهذه حرب الهائلة التي غدا خطرُها يتعاضدُ في كل يومٍ لن
تكون الاطراء والمنافسة بين نووك والسلاطين ووصفان من مسبباتها
فهي ستكون مشابهة لتلك نه رت الهائلة التي كانت تنشب في سبيل
حياة والتي كانت تنتهي في الأذوار الأولى التي مرت على لأرض
ما بفناء الأجناس وما باستحالتها من شكل إلى آخر.

إذا كان مؤتمر وشنغن قد أتي بنتائج سياسية ضعيفة، ومتوسطة
فنه له بخل من وثلة من حيث إظهاره مرة أخرى أن حياة الشعوب
بالرغم من أحلام القائلين بأصاح الأسي مستمرة على خضوع حكم
بعض القوانين الطبيعية التي لا يقوى التمسك بها في حاضرات
على طمس معالمها وزيولتها من عهد الوجود ما



الفصل الثالث

قضية الضمائم

انه من اجلى بن قضية التامين هي أهم القضايا الحالية وأعظمها شأنًا. ولما كان اخلفاء غدوا يتركون فرنسا وينسحبون من جانبها شيئاً فشيئاً قد بقيت لوحدها أمام عدواً اقلقت راحته فكرة الانتقام فعند لا يهدأ له روع ولا يطمئن له خاطر فكيف يتاح لفرنسة أن تضمن السلامة وتوطد أركانها

ان الوسائط التي يصبح اتركون اليها لتحقيق هذه الأمنية قليلة العدد جداً . بل لا يوجد بينها في الحقيقة سوى واسطة واحدة مستجمعة للشروط التي تؤهلها لتحقيق المطلوب وهي اشغال المدن التي تمتد على ضفاف ازين . وتمدو الساعة التي سيحاول العدو أن يمتد في قريبة حننا يبدأ خلاء هذه المدن . ان كبار الرؤساء العسكريين عندنا متفقون جميعاً على صحة هذا الأمر

ان الأسطر التي خطتها الايام له مستقبل في سجل الحوادث

مدونة في الزمن 'راهن'. ولهذا السبب يجب أن لا يذهل عن هذا
أبداً ما ينتظرنا اذا استولى الالمانيون من جديد على الارض الفرنسية
واتخذت جريدة نيويورك تريبون في عدده الصادر بتاريخ
١٤ شباط سنة ١٩٢٣ الى الاعمال التي قام بها الالمانيون في فرنسا
وفي بلجيكا وذلك كما يلي ، قلت :

« لقد بدأوا بساب السكان ثم أجبروه على العمل وقوم
كلارفة الى المناب وقد سرقوا المكنت والأمتعة والصوى (تدبير)
وأحرقوا المنازل والمكتبت والكناس وخرّبوا لأراضي ، وساقوا
الناس بالأنوف الى السجون ومنصت الاعدام

١ يجب أن يبقى عدد كبير من تهود - دة تريب بلوفين ،
و « مالز » ومن جماعة الاختصاصيين في تفت اسرقة ومن وجد
« ميلينغ » في بلجيكا ومن أولكت انهندسين واثنين تدين ، يكن
لترجمة والتفتة من ثمر في قلوبهم وتدين عرفو جيداً أن يجمعوا من
تمت فرنسا صحراء قحة ثناء لسحبهم نحو خط « هندنور » .

٥ ٢٢٠

لاشك بأن هذه الاعمال ذاتها ستعد عند ما يتمكن الالمانيون
من الأخذ بالثمر . كما انه لا مجال لأي وهم أو ضن في هذا الصدد .

إذا حدثت ألمانيا نفسها بالقيام بتعد جديد قلن هذا التعدي سيكون سبباً لخراب فرنسا وفنائها على الكامل

ان أغراض ألمانيا ونياتها هي دوماً نفس الاغراض التي ضمنها وزير الحربية البروسية الجنرال « شلندر ف » الكلمات الآتية وجعلها تحرى مجرى المساتير . قل :

« لا يمكن أن يقع بين فرنسا وألمانيا شيء سوى قتال يفضي إلى الموت

« ان القضية لا يتم البت فيها الا بفناء أحد هذين الخصمين واننا سنلحق ببلادنا كلا من الدانيمرك وهولندا وسويسرة وليفونيا و (تريستا) و (البندقية) ، كما اننا سنضم اليها القسم الشمالي من فرنسا من الصوم حتى الوار . » اه

لا تترك بَن هذه الاطماع التي يدافع عنها المؤرخون والاساتذة الجرمانيون منذ أمهد بعيد ستولد ثانية في اليوم نفسه الذي تتخلى فيه فرنسا عن الضمانات الحقيقية الوحيدة التي تملكها في الوقت الحاضر لتثبيت دعائم الصلح ونعني بها أشغال ضواحي الرين . أما لاستسلام الأوهام في هذا الصدد فلا فائدة من ورائه ولا منفعة وتمتد ذكرنا الاستاذ (بلوندل) فيما يتعلق بهذا الأمر بما كتبه

(دوار ماير) وهو من شهر لاساتمة في جماعة برلين ، قد كتب هذا الاستاذ المشهور : « يجب أن نعي في أذهن المنتهة من حرب التي توصلنا إلى ما كنا نؤمنه مستبعباً بحكم الضرورة ، سوء في هذا اليوم ، وفي يوم آخر جملة حروب وفتك أن يصل الشعب الألماني ، هذا الشعب الذي اصطفاه الله منذ الأزل إلى منكاة التي له الحق فيها بين شعوب هذا العالم . »

وقد أخذ السواد لأعظم من أسنة جماعة بتقنين هذه الفكرة . وتحدث رئيس معهد الحقوق في برلين إلى الاستاذ (بوند) منذ بضعة أشهر بقوله : « بعد مناص من حرب جديدة إذ أن سنجد أنفسنا في الغد أمام حجة نفسها التي كنا عديها بالأمر . »

(*)

من هذه مسائل العمومة يجب أن لا تغيب عن ذهن لحظة ، لأن مرتبة مستقبل قدره هي مرتبة بالماضي . ومع ذلك فن الذم يسونم بصورة تدعو لمحب والخيرة . وسود اليوم في حض تدور اوزارية فكرة الصبح الأبدية التي ينادي بها أوس من ذوي العقول المحسودة ، فنذا القوم يودون أن يخلقوا في نفوس الالمانيين فكرة تناسي الماضي ولا شك بأنهم يؤملون من وراء ذلك تهديئة

الخواطر الجرمانية النائرة وذر الرماد على النار التي تتأجج في صدور
الألمانيين .

يمكننا أن نذكر هنا كمثال عن هذا الزيف الذي لا يمكن
ادراكه والضلال الذي يستحيل تصور مثله الحادثة الفريدة التي
حدثت لمؤلف الكتاب المعنون هكذا (لوريجر الألمانيون الحرب)
قد أوضح الكاتب في مؤلفه نوايا الألمانين وأغراضهم ومقاصدهم
واعتمد في كلامه على أشهر المطبوعات الجرمانية ، وقد نال هنا
المؤلف استحسان الكثيرين من الرجال البعيدين في الشهرة سوا
منهم المرشال ليوني

وإذا كان المؤلف غير عارف بالعقلية التي أشرت إليها قبل قليل
فقد أرسل ثلاثمائة نسخة من كتابه مجاناً إلى المكتبة في الاختصاص
في وزارة المعارف العامة لكي توزع هذه النسخ على مكاتب
البلديات .

على أنه خلافاً لكل احتمال قد رفض ذلك المؤلف (بفتح اللام)
التي كان واضح المائة جلي النفع : رفضاً باتاً . والسبب في ذلك
على ما جاء في كتاب الرنض هكذا : « مهما كانت البيانات التي
وردت في الكتاب صحيحة فهي لهجة الكتاب الشديدة التي
استدعت الرنض »

هنا الحد الذي وصلت اليه مساعي (البروباغندا المدفعية)
عندنا ! فهي تتصادم مع المعارضة الثقيلة . معارضة كتاب (الاقلام)
انغامي الذكر الذين تجاوز العمى في ابصارهم وبصائرهم في الحقيقة
الحدود المقبولة تجاوزاً مفرطاً

بينما كان الكلام يجري في لور في صدد اشهرات التي خدتها
المستقبل فرنسا بل ولا وربة أيضاً ، كان نفر من المتشرعين ذوي
القلوب الطيبة في جمية الأمر يقون محاضرات المشعة بانديء
لانسانية ولكنها محضرت ، يمكن يؤمن بمحاء فيها لا انخباء
الذين كانوا يتفهون بها ولا المستمعين الذين كانوا يصغون اليها
بل ان هذه محاضرات كانت محقة بسحابة كئيقة من السامة
والضجر . وهذا السبب ولا شئت عتراني انهم ذات ليلة بينما
كنت أقرأ لك المحاضرات ثم تطلب عني سفار الكري فقتيتني
غفوة تنلوبتني فيها أحلام كثيرة

ولقد حملتني الاعراض (الحصف) التي (الشزليزرد) وهي
الجنة التي خضعت بها ، فزار مشهور الرجال بحسب نمرية
وثليين .

كان اول من صادفته هناك مؤسس الوحدة الالمانية البرنس
« بسمرك » فلم تقع عينه علي حتى وضع يده علي ظل حسامه وقال لي
بشدة معنفاً :

« لاتباهي بفنرك (أي بالظفر الذي نالته أمتك) أيها الابن
اللعين سليل ذلك العنصر الممقوت (أي العنصر الفرنسى) . فان في
بلادك ، لحسن حظنا ، عدد من الاشرأكيين والشيوعيين وبلهاء
« الانسنيين » يكفي لأن يضمن لنا النجاح عند ماهب للانتقام
والأخذ بالثأر . في ذلك اليوم ان يرتكب خلفائي وأعقابى مرة ثانية
الغلطة التى ارتكبت عام (١٨٧٥) اذ أننى عند مارأيت في تلك
السنة أن فراسة قد ولدت من جديد وددت أن أسحقها سحقاً باتاً
وذلك بأن استولى على اغنى أباالاتها وأن أجبرها على قبول شروط
من شأنها أن نجسها في حالة خراب تام وافلاس عظيم مدة قرن كامل
لكنتى رتكبت خطأً حسباً باصفاي لنصائح الحكام عند
ما حضرونى من تنفيذ الخطة التى رسمتها ، في حين أن أوامرك الحكام
لم يكن عليهم فى الأصل أن يتقلدوا السلاح لأجل الدفاع عن
فرنسة . فكيف ارتكبت مثل هذه الغلطة ؟ إننى والله لأعجب
من نفسى ! ٢ ٥

فتكررت إذ ذاك كثيراً من هذه الكرات الغضة وفقدت
ابتعدت عن المنكن وسرت نحو أحد الجوع حيث خير في أني
أرى ظل الشاعر الضيب (لافونين)

أما ذلك الغل فقد كان ظل الشاعر المذكور حقيقة . وقد كان
يلقي على مسامع الذين كانوا ملتفتين حوله وهم على أنهم ما يكون من
الجنل والاشترار قصة من قصصه تمكنت من ضبطها وهي هذه :

التمر والصيد

التقى يوماً أحد الأتار وكان مشتهراً بصرته أحد لصيدين
في زاوية من زوايا حد الغابات . وكان لصيد مساعداً بينمقية
صبية متينة . وهم كان يصوب بندقيته نحو التمر وبهم باطلاق التمر
عليه هتف هذا الأخير وهو يصعد يده مرتفعة من التمر حتى
قلبه قائلاً :

— قف يا بصيد ! ان لاس يين قد عمو رجبه
بحوقت ترعها بيعصه رجة لأحوة . بن ان التمر هو في الاعس
صديق الانسان منذ زمن بعيد يحيي الروح من شرقة قطعان التمر
الاشترار . ما امرنا يين فهم وحدهم من جموع الانسان ينظرهم
بين العدا . فنتحد ذن : اني ابتاعاً ما ينددي به رسل نزع

السلاح وهكذا نحظى بالسعادة الكلية . فائق سلاحك اخذ وهأنا
سأقم حالا براتني وأظفاري

فتثر الصياد لهذه الكلمات ولذلك قد ارخي سلاحه ولكنه
لم يتركه من يده فامام هذا النجاح (النصفي) لم يسع النمر الا أن
يدري في حديث الاستعطاف والاسترحام ، ويتبادى في اقناع الصياد
لدرجة تجعل هذا يترك سلاحه اخيراً ويلقيه من يده بعيدا عنه فلا
يكون من انمر الا ان يقطع احاديثه الانسانية فجأة وينقض على
الصياد فيفتسه . ولما انتهى من افتراسه نظر الى بقايا ضحيته نظرة
ملؤها الاحتقار والازدراء ، ثم تتم قائلا :

ايها لابله

فكانت هذه السكامة المرثاة الوحيدة لذلك الصياد الرقيق
القلب في مآتمه . فليت شعري هل يستحق ذلك الصياد مرثاة غير
هذه المرثاة ؟

وإذ ذاك صحوت من هجوعي ، ولما عدت إلى عالم الأرض
بأثرت بمطالعة بعض الصحف الانكليزية فرأيتها تنصح لفرنسة
بعبارات كلها تودد ونحجب أن تترك الرور وأن تتنازل عن مطالبها
في شأن التعميرات التي تعوق سبيل التجارة الانكليزية . وقد كانت

هذه النصيحة هي التي ما فتأ المستر نويد جورج يقيها منذ أنه بدأ بعيد
في اسماء الحلفاء الذين هم كثيرون الاطاعة لنا بمسبه عليهم من 'وسلوس'
متصلاً متعجرفاً .

من الجلي إن إستغال قطعة من أرض العدو عمية كثيرة الثمن
باهظة النفقات وغير مستحسنة في اوقت ذاته . لسكنه يكفي امرء
أن يقرأ مقالات التي يكرسها الألمانيون للكلام عن فكرة 'لا تقام'
والأخذ بالثأر التي امتلكت عقولهم لكي يدرك مبلغ الضرورة التي
تقضي باتباع تلك الطريقة .

فلقد مر على فرائس وبحيكا زمن طويل . يمكن في وسعهم
وقتشد لكي تتمكسا من اتمام الغارات الجديدة . تبيع غيرهنه
الطريقة . كما إنه لن يمكن إيجاد غير هذا حل قبل أن ياتي يوم
تتحول فيه الأفكار البربرية التي لا ترحم مسيطرة على الشعوب تحكي
فيها كآ تشاء ما



الفصل السابع

أبطال الحروب في المستقبل والادو هام المتعلقة بقضية نزع السلاح

إن القضية المزعجة ، قضية نزع السلاح من المانيا ومن مختلف البلاد الأخرى من القضايا التي ما فتأت تشغل بال القابضين على زمام الأمور في جميع حكومات العالم .

قد أصبحت المانيا خطراً على العالم بدرجة جعلت جميع الشعوب لا يجسر أحدها على إقاص عدد أفراد جيشه برغم رزوحها جميعاً تحت عبء ميزانيات باهظة النفقات لدرجة ستؤدي بتلك الشعوب إلى هاوية سحيقة من الخراب والافلاس .

و بينما جميع الشعوب تتوق إلى السلام فإن ضرورات قاطعة لا بد منها تحتم عليها توريد عدد حيوشها وسليحاتها .

وإذا كانت جميع الشعوب تستطيع أن تفكر بنزع السلاح بعض التفكير فن دراسة أقلها استطاعة على ذلك . فهي لا تستطيع

أن تفكر بنزع السلاح إليهم لا إذا كنت كل من حكومتى ككثرة
 وميركا تقومان بما عبثاً يطله منهم رجلاً حكومتنا ونعني بدانت أن
 تتهد كل منهم الذوع عن فرسه فيم إذا حدثت لنا فيهم نسيباً
 بغرة جديدة إذ أن المفعول المنوي البسيط متى وثقه هو لأنه قوي
 والهيئة التي بغرض التصويب .

وإذا كانت هذه الهكرة قد خففت من فوائدها سمحت بمدودة
 تقريرها ماء عسوفديم الهد بنداوتها لا يحيى ما يتحجب في صدره من
 نر النوقى لأخذ بآثاره .

على أن أزرية في الأصل تكر يوم مهلة بسوب محروب
 بين أمة وأخرى قسرمهي مهلة نيو . وفي تكر تقوم أيضاً
 من أسية القيمة التي قضت تقسيمها وتزكي في دوليات
 يتم منفسه ورد . قد حدثت عن سكر من وضع أسيد على
 هو مسدة حواف ذمة بين هذه دوليات وتحدثت على بين
 شرصها رجعاً .

وتتسكروهم كيون وسكرهم في ١٠ يونيو و١٠٠٠ ريو
 ومفسريون وأبوابيون ... قد تتسكروهم راجع فيهم
 بينهم وهم يرجعون إلى قطع عن مصعبه .

هل سيكون الديمقراطيون الذين هم ورثة السلطة العسكرية
الامانية أقل شغفاً بالحرب من أسلافهم أركان هذه السلطة ؟ ان علم
النفس والتاريخ لا يدعان مجالاً للأمل بإمكان صحة هذا الأمر .
ولقد لاحظ الدكتور « بوتلر » الذى هو من أشهر مستشارى رئيس
الجمهورية الجديد فى الولايات المتحدة وبحق لاحظ أن اليونانيين
التمسء عندما كانوا يدعون لبدء رأيهم فى تفضيل أحد الأمرين
السلم أو الحرب — على بعضه كانوا يؤثرون الحرب ويرجعونها على
السلم . والدكتور « بوتلر » يعتقد بان هذه النتيجة هى احدى
النتائج التى تآى بها القوانين المسيطرة على نفوس الجماعات . وقد
أضاف على ذلك مايلي ، قال :

« ان القول اننا نؤيد الذى ينص على (ان الحكومات هى التى
تجبر الشعوب بانزعم عنها على امتشاق الحسام) لا يستطيع الثبات
دقيقة واحدة أمام الحقائق التى يؤيدها الواقع فنستطيع اذن أن
تأكد بان نوستطلع رأى الشعوب الامانية والنسوية بشأن الحرب
و"السلم" فى مجتمع عام فى الاسبوع الاخير من تموز عام (١٩١٤)
جاءت أغلبية الاصوات اساحقة فى جانب طلب الحرب . » هـ

إن الحاح الخفاء في طلب نزع السلاح من ألمانيا القصد
على المدافع الرشاشة والمدافع العديدة التي لا تزال ببقية عند هنتس
ولاشك عن اعتقاد راسخ في أذهانهم من أن ألمانيا إذا ما وجدت
من أدوات الحرب وعدده ولوازمه فتمهاتها تصبح مأمونة الجانب ويضربوا
عجزها عن سن الغارات مضمونا
إن هذا الاعتقاد باطل

فإن جميع العسكريين يرون أن ألمانيا هي اليوم سواء كان
لديها مدافع أو لا يكن ، في حدة تعجزهم على العودة بتشق
حسم حرب في وقت الحاضر
في حين أنه بعد بضعة سنوات سيكون تدميرها غير ممكن
تماما وأنه يصبح يسهل مدفع واحد .

٠١٠٠

إن هذه التأييد على خلافه من حيث من يرى يراه في حرب
حرب وشيئة . إن هذا رقى ونقطة يجهل أنه غير حقيقة
لأهمية وهي أن عرض شعوب في مستقبل سيكون بوجه خاص
عز كما جوي وأن ندموا التي ستتم تحووه وأجيوتس وإنه في
هذه المباحثات سيكون قليل الخطورة ضئيل لأهمية .

لقد بلغت النتائج التي وصل إليها صنع المواد المنفجرة حداً
صبحت معه القوة المفرقة لهذه المواد مهدشة للغاية فستكفي
الصيرت التحرية إذن لا يصل الألفام المحشوة بهذه المواد الملتهبة
المفرقة إلى سماء إحدى البلاد والقائها عليها من عل إلى أن تبيد
عن آخرها وما كان ثم واحد فيه من القوة منذ الآن ما يستطيع معها
على إبادة جميع ما يدخل ضمن نطاق مساحة تمسح مئة متراً فسيكفي
ثم واحد إذن تدمير شارع برمته وإبادة جميع من فيه من السكان
لاشك في أن هدف الحروب الجديدة في المستقبل لن يكون
أبداً منحصراً في الاغارة على الجيوش بل سيكون هدفها إبادة المدن
العظيمة بسكانها . وهذا فن هذه الحروب الجديدة بالرغم من أن
أمدتها سيكون أقصر جداً من أمد الحروب القديمة فستكون دمية
أكبر من هذه الأخيرة بما لا يقاس .

إن العدد العسكرية في المستقبل ستكون من دواعي تفوقها ، أنها
ضئيلة التفتت لأن غاية ما هنالك إن هذه العدد ستألف من
غيرت تجارية محمّة بالمواد المنفجرة والقنابل المودعة للحريق عوضاً
عن أن تحمل البضائع والسبع .

لكي أظهر للقارىء بن النضريت السابقة ليست عبدة عن مجرد فكرة أرني مضرراً لأن فسخ المجال لجملة معارضة وعبارة أخرى لأن أنكاه بضع كلمات (على الهامش) كما يقولون، فقول :
لقد كنت فيما سبق ذكرت القارىء بنني تفقت قبل ما يريو
عن العشرة أعوام مع صديقي «داستر» وهو من سنة معبد
الصوريون على أن نخصص في كل أسبوع يوماً ندعوفيه على ضده
الغذاء كل من ذاع صيته وبعث شهرته من الأستخمس على اختلاف
الأعمال أو الحرف أو المصنوعات التي يدرسونها ويزيدونها ، وكان
هؤلاء يبديون نظرياتهم ونحن على الضم في بحث يومياً من
الحوادث المعنى .

ولقد كان يوجد بين مسعودين عدة كثير من مشاهير القواد
ورجال الحكومات المتدربين بمقدراتهم . وقد قصيت ساعت تلبية
جداً ونحن نسعى في الجزائر (مانجن) وجزائر (دومودوي)
الذين كنا يشرحون محاضراتهم كيفية تقب لأموور والأحوال أثناء
الحرب — وفي لاديرنا (فوزنيه) مني كان يبحث عن تقسيم
الشؤون لبحرية في مضمار لرقى والتكامل — وفي مثل (برين)
(و برتو) من رجال السياسة الذين كانوا يخوضون عبء البحث

في القضايا الاجتماعية الكبرى . ثم إن كثيرين من ذوى الشخصيات البارزة من مختلف البلاد أمثال (قزلبوس) و « تاكه يونسكو » و (بينيس) و (براتياو) وغيرهم الذي جلبهم مؤتمر الصلح الى باريز كانوا بطبيعة الحال يحضرون لمقر اجتماعنا فيعرضون على الحاضرين آرائهم ونظريتهم .

ولما كنت أنا الذى أترأس المائة فقد كنت أنا الذى أترأس الموضوع التى تعرض على بساط البحث أيضاً .

ففي اليوم الذى سئل فيه مدعوونا الأفاضل عن رأيهم في مسألة نزع السلاح من المانيا وعن الحروب القادمة شرفنى بزيارته أحد كبار القواد الذين كانوا يديرون أمور القوى الجوية العسكرية عندنا ، وقد تكلم لى حضرته عن الدور الهام الذى سيلعبه الطيران في الحروب القادمة فكان يعتقد أن الجحافل العظمى التى هي باهظة الثغقات قد أصبحت عديمة النفع ولهذا سيصبح من الممكن الاستعاضة عنها بأسطول جوى صغير يديره عشرة آلاف من رجال الاختصاص وهذا الاسطول الصغير يقوم مقام تلك الجحافل بحسن قيام بل يفوقها نفعاً .

وتحده اغتنمت فرصة وجود ثلاثة قواد على مائدة الطعام التى

كنا ملتفتين حولها يومئذ فوجوت منهن أن يدلوا بأرائهن في هذا الصدد .

أما خطورة الطيران العسفي فقد اعترفوا بها جميعاً ولكن الدور الذي سيلعبه الطيران كان موضع شيء من الأخذ والرد . فتكلم الجنرال (غاسكوين) قائداً المسفعية في الفيلق الأورق قائلاً إنه لما كانت العواصم أخالية واسعة الأرجاء مترامية الأطراف ويانظر لأنه يستحيل على الطيارين أن يعينوا المكان الذي سيسقط فيه المرمى - بالضبط - فن التدمير التي تحدته قد بيده سوف لا يتناولون اللهم إلا بقعة معينة من البلدة المنهجة . وقد اجترأ (مانجن) [وكان في قوته معبراً عن رأى الجنرال] دونه ودوى أيضاً قائلاً إنه لما كانت الطيارات ضئيلة الخطر على الجيوش بوجه خاص بسبب حركة قطعاتها - هذه الجيوش وعدم ثباتها في مكان واحد - فسيكون في ذلك دواء . إذ - لجس نحو بلاد الهندية يدمرها ويبيدها بدون أن يخشى العيب . وت . وزاد « دانيال برزو » على ما قيل بأن التدمير وتخريب أنبائين هذا مبلغ سيكون سبباً في انعكاسات مبنوية لا يمكن استنبؤ عن النتائج التي تنجم عنها . وأنه يبدو له بل هو على مثل اليقين أن شأن الهجوم في أخروب

القادمة سيفوق ولا شك شأن المدّء فواقاً عظيماً في بدء الحرب ولو
بقي دونه في جميع أدوار الحرب الأخرى

ان المرء يتوصل بسهولة لتكوين فكرة صحيحة لا تشوبها
شائبة تقريباً عن كيفية فهم الالمانيين لحرب المستقبل اذا لاحظ
ما تتضمنه انبوعات الجرمانية . فان نياتهم ومقاصدهم يمكن أن
تلخص على الكيفية الآتية :

حوالى عام (١٩٠٠٠٠) [وما يلى رقم (١٩) هنا هو عبارة عن
قسط اشارة الى المجهول وليست أصفاً] جلس قاريء في مقهى من
مقهي (فرنكفور) وهو يفكر فيما خباه الدهر لألمانيا، واذا بالباب
يفتح فجأة ويدخل أحد باعة الجرائد وهو ينادى (اقرأوا جريدة
فرنكفور!) ففي تلك الجريدة يقرأ المرء ما ياتي :

« ان ساعة الأخذ بالثأر المنتظرة منذ أمد بعيد قد دق جرسها
أخيراً معناه حول تلك الساعة . فلم يعد هناك لوندرة وباريز على وجه
الأرض بل اتد زالتان عهد الوجود وأصبحنا أتراباً بعد عين . اذ قد
دمرت الأبنية وانسكرو خربت ، وسحقت أفاضها السكان أو
أحرقته وهم أحماء . فما العدد القليل منهم الذى نجوا من الموت فقد

هامواعي وجوههم في البرازيل والهند وتدهوا ونوههم تقشف صرخ
خفيفا مصدره اليأس لدى استحوذ على قلوبهم وحسرة التي امتكت
اقتدتهم . ن هذه الأبناء ستهترها جميع القوب لأن نيه سرور
وحيورا

« واننا نورد فيما يلي بعض التفاصيل عن كيفية تهيئة الاسباب
لهذا العملية :

« قد زود عدد من المغيرات يبيع لأغنيين بأوود منفجرة
متهوية وباقتمبل التي تحدث الحريق وأوفنت لى ماء نونرة
وبيريز . ما هذه المغيرات تم صنعت في بلاد مختلفة وخصوصا
في اروسيا تحت ستراتها مغيرات تجريرة . كما أن كيو بينا سبق
أن اكتشفوا طريقة حضر الماس من مادة التي هي عديدة الخطر
تند ما تكون مفترقة عن اعضها وباتى فهي لا تمت النخر وهي على
هذا حال .

ربة أن مرتة مير فوندررة و برير قد عيئت أسبها في منى
خفاء واسكتن التديبين قدم أوجب الأمر متنب طواسقة تش
يـ اعدو وتكون ائنه وبين أخذ خيصه لنفسه . وهه بفض
مصحة الجاسوسية غنت مركز طيرن المومعروفة لدينا ،

وهكذا بينما كنا ندمر العاصمتين الكبيرتين تمكنا في الوقت ذاته من أشعال النار في المستودعات التي تحض قوى العدو الجوية فأحرقناها برمتها

« هذا ولكي نضمن بإلادنا من غائلة احتلال عسكري فقد أوفدنا أجيوش الأمانة إلى جهات التخوم كما أننا أرسلنا إلى تلك الجهات أيضا طيارات مزودة بالمواد المحرقة . »

وأضافت (الغازات دوفرنكفور) التي صدرت في الساعة الرابعة على ما سبق الكلمات الآتية :

« ن طيارتنا التي عادت نحو مستودعاتها لتتزوّد من جديد بالدمرات والمواد المنفجرة المحرقة ، عادت وقد أتمت ما عهد إليها من أمر تدمير ووندرة وباريز فدمرتهما على الكمال . وقد طيرت برقية بواسطة التلفزيون اللاسلكي إلى جميع محطات التلفزيون الفرنسية والانكليزية . ثمهم بئنا سندمر في كل يوم بلدة من البلاد العظمية اذ رفضوا الاذعان بشروط الصلح التي عرضناها عليهم ولم يقبلوا بها بانقضت نواتم الشديدة . فذا رضيت الحكومتان الانكليزية والفرنسية بهذه الشروط — وكيف تستطيعان التماص من الاذعان إليهم وحتنب القبول بها — يمكن آتئذ القول بأن أعظم الحروب

التي عرفها التاريخ وهوفاً من حيث التدمير وسفك الدماء لن تمتد
أكثر من أربعة وعشرين ساعة . « اه



انه لمن المستحيل أن يتكهن المرء منذ اليوم عن أي سلاح
جديد سيأتي به العلم في الغد . أما كون الحروب ستصبح في كل
يوم أشد هولاً مما كانت عليه في ذلك اليوم فهو من الحقائق
المقررة التي أصبحت لا تحتاج لأي مناقشة أو برهان . وأما كون
المانيا تتوق الى الأخذ بالذرة فقد أصبح أيضاً واضحاً ووضوح الشمس
في رابعة النهار . ونحن كانت ألمانيا قد قتلت رأسها من يدى فم
لا تمتد رأسها المعنوي وبمعنى أوضح لا تفقد الكفاءات الفنية التي
هي أساس قوتها الاقتصادية

ان ألمانيا في عزائها ونعسان دائمين مع الذين يجورون منذ
بدء التاريخ المعروف عنها . فبنت تسعري هل يدخن في حين
الامكان أن تدفع بلادها ستين مليون نسمة ضريبة سنوية مائة
أربعين سنة لذين انتصرو عليها ،

لقد صرح القديس - نشهور مرتين فوش في حديث جرى له
مؤخراً مع أحد الصحفيين أن صنع المدافع والطائرات هودوما من
الأمور اليسيرة . وزاد على ذلك بقوله :

« ان موقعة (المارن) هي (لباقة بطل) لا يرجى تكررها مرة ثانية . ان نهر (الموز) غير يمكن الدفاع عنه ، فلو لم تكن مستقرين حول ضفاف الزين لما استطعت أن أنام نوماً هادئاً ليلة واحدة منذ انعقاد الهدنة . » اه

وونجحت الحكومة الانكليزية في الحيولة دون بقائنا مستقرين على ضفاف الزين وحققت رغبتها هذه التي أفصحت عنها أثناء المفاوضات التي دارت في مؤتمر الصلح اقصاحاً شديداً مشفوعاً بالتمسك لنظريتها ، قول لو نجحت اذ ذاك فيما كانت تسعى وراءه لأصبحنا في حالة يرثى لها بعد قليل فضلاً عن أن حالتنا على ما هي عليه اليوم من الخطورة بدرجة كافية

تمد كثير الجدل حول الفوارق الموجودة بين عقلية الفرنسيين قبل قرن وبين عقليتهم في الوقت الحاضر . على أن هناك فرقة أساسية يميز الفريقين عن بعضهما تمام التمييز . فلقد خرجنا قبل مئة عام مغلوبين من موقعة تعد من أعظم الوقائم في التاريخ . ولكن مستقبناً ، يكن مهدداً بالخطر . في حين أن فرنسا تخرج اليوم ظافرة من معركة جديدة ولكن مستقبلاً مشحوناً باخطار عظيمة لدرجة

أقدمها راحة البال واضمئنان النفس . فهذه أمانة العقيدة تؤثر بآثارها
على مقدراتها ، تأثيرا شديدا المرصاة جدا

مهما كررنا القول وقلنا أن علي رجل الحكومة مددت قضية
التعميرات قد استنفدت جهودهم على ما يظهر أن مجموع نتائجهم في
الفصل في قضية ضمانات السلامة على الأقل فنت لا نفي بما تستهده هذه
القضية من التكرار والاعادة . إذ أنه لأجل النجاح في هذا الأمر
فن العمل أشد مفعولا من الخطب والمحاضرات

عند ما منح العلم لحديث الانسان قوة تفوق بعضهم في بعض
لأحيان القوة التي كان يمزوها ، انولميون قدينا ، التي كتبها ، يمنحه
معها الحكمة ورجحة لعقل التين أصبحت السلطات الحديثة
بدونهم من عوامل الايددة والتخريب ولهذا السبب فن حياة
مدنيات التي أتى بها العلم مهددة بخسر الاضمحلال ونزول تحت
تأثير ذات القوى التي واتت تلك حضارات

على التالاع ذ كانت حضاراته نستطيع التندة والافات
من خسر الاضمحلال التي تهدده ، به حرب لأخذ بأثر من
نخرج والمضحت لاجتماعية من المدخل .

وثن استطاعت تلك المدنيات انتمص من الخراب والدمار

التي يؤكد الكثيرون من رجال الحكومات انه أصبح منها قلب قوسين أو أدنى فلا تكون استطاعت ذلك الا بفضل بعض مبادئه مر ذكرها اكثر من مرة في هذا الكتاب واتي الأمر بالشعوب وباتماضين على زمام أمورها على اعتبارها عناصر جذيرة بالاتباع وهذه المبادئ تتلخص فيما يلي :

١ - إن نهضة العالم الحالية قد أتت بروابط جعلت الأمم مرتبطة ببعضها للدرجة أصبح لا يمكن معها أن يصيب إحداها ضرر أو أذى بدون أن يلحق الأمم الأخرى منه نصيب .

٢ - لما كان للضرورات الاقتصادية والنفسية التي تسيطر على حياة الشعوب وتديرها وراء المظاهر التي يختلط فيها الحابل بالنابل ثبوت وصحة القوانين الحكيمية (فيزيك) التي لا تتزعزع أركانها ولا يطرأ عليها الخلل ، فن جميع تجارب الخياليين الذين يحاولون إدخال التبديل والتحوير على أركان إحدى الجمعيات البشرية لا يمكنها إلا أن تهوض دعائم تلك الجمعية وتبيدها .

في اليوم الذي تنزل فيه هذه الحقائق التي هي مبنية على العقل المحض أي حنيفة العواطف والمشاعر حيث تنضج مواد الأعمال ، يستطيع السلاء أن يكتن الدائم أن بسود العالم . واذا ذلك فقط ، لا يعود

العهدة عبارة عن جحيم تتلفى فيه نذر الدمار والهلاك الهائل.



إن البحث في شأن المستقبل المنظر بكثرة تفويلا من هدم ما هو عليه حال العهدة الآن من التقلب وعدم اقرار عديم المنفعة .
إذ أنت لا تعلم شيئاً عن الأيام التي سيتمحض بها .
إن القول المشفوع بأنه كيد بن الأفكار ستلعب أثناء التمهة
والتكامل المزمين المتبين دورها العظمى لأهمية الكثير تنفيذ
والتأثير التي اعتادت أن تعبه دوراً - لا يهد تفويلا على مخبثات
- هر - ووكب على عهد : أفكار لأشخاص الذين سيأتي بهم "عند
بذبت تمكن من التنبؤ عما خبئه الدهر منه ، ولأدركت مستأثيره به
الأيام . وكان لأفكار الجديدة التي ولدتهم حرب لا تزول سائرة
في سبيل التشكل والتكون .

إن "بناء" عصر الذين هم من غور خرب التكوينية
يكتسبوا بعدة حقة يمكن تعيين حدودها كما يلبي وحصرها ضمن
نطاق معين جي . كما أن هؤلاء المعاصرين المشتغين بالحقائق ووجه
خص لا يدعون بأنها توصوا إلى إدراك كنه الحياة الحقيقي ، الذي
عبثاً حول الفلاسفة البحث عنه ، بل هم إنما يسعون للانتفاع من
اختلال التوازن - ٢ - ٢٨

الساعات القصيرة جداً التي يسمح بها الطالع لجميع الأحياء على السواء .

إن النظريات السياسية والدينية التي أشغلت من أبناء الامس البائل وُجِبت منهم الفكر والعقل تبدو كأنها لا تستأهل الالتفات تقريباً في نظر أبناء هذا العصر، وكأنما أمرها سواء لديهم . ومع ذلك يبدو أيضاً أن الحكم انطلق والجور والعبودية والاستبداد على اختلاف أنواعها وشكلها سواء كان مصدرها الآلهة أو الملوك أو الجماعات فإن احتمال أحكامها يظهر لهم كأنه فوق طاقتهم .

إن مقدرات أبناء الأجيال الحديثة أياً كانت الحقائق التي يتبعونها ستكون مرتبطة - وأعيد القول هنا أيضاً - بالأفكار الرئيسية التي سترك أثراً في أذهانهم حتى ولو لم تكن شعرت بها . منذ اليوم الذي اعتق فيه الانسان من نير الحيوانية الأولية أصبحت الأفكار هي الكل في الكل في هذا الوجود وساد الدور الذي تلعبه في جميع أنحاء العالم . وما التاريخ إلا نسيج من نتائج تلك الافكار فهي ختمه وسداه . كما أنها هي التي أوجبت الألوهية التي تمبد تحت أسماء مختلفة ، والتي لم تتجرد الأُم يوماً عن عبادتها ولم تضرب صفحاً عنها في يوم من الأيام قط .

إن الحضارات العظيمة بما تحويه من أنظمة ومعتقدات وفنون
إنما قام بنؤها على صروح من الأفكار ليس إلا . وهذا فن لأمة
بحسب اختبارها مثل الأعلى التي يقودها في معارج الحياة ما من
تلقم ذرى العبد وما من تهبط لي حبيص لأحطاط واتمنى
على أن لا امر تليدًا من مر الأمانة العيب التي ستحكم الشعوب
في القاد ، وهذا فن مستقبل هذه الشعوب ، يمكن تنبؤه بعد
ولا تزال الأسطر التي خطتها في يد الأقدار في سجل مستقبل
غامضة لا يمكن قرعها . أن يدخل التبدل ، المحور على أفكار
الشعوب وعلى الآفة مارن ديو من الأعمار هائلة مريعة في نظر
الشعوب . وقد اقترخت روما من عدد وجدد لأنهم ، تستمع يجاد
حل هذه القضية العظيمة ما

- ي ر ن م -



فهرس الكتاب

صفحة

٤ التوطئة — حاة العالم اليوم

الكتاب الاول

عدم التوازن السياسى

- ١٠ الفصل الاول — تطور المثل الاعلى وتكامله
- ١٧ الفصل الثانى — انتاج السياسة للشطط فى الشؤون النفسىة
- ٣٣ الفصل التاتى — صلح الاساتذة أو معاهدة الصلح بضمها
أساتذة الجامعات
- ٤٧ الفصل الرابع — تيقظ العالم الاسلامى
- ٥٧ الفصل الخامس — عدم تفهم أوربة للعنفىة الاسلامىة
- ٦٤ الفصل السادس — مسنة، لالزاس
- ١٤ فصل السابع — احلة المالىة اليوم . أى الشعوب ستنكبذ
نتمات الحرب

الكتاب الثاني

عدم التوازن الاجتماعي

صفحة

- ١٠٣ الفصل الأول - عدم التقييد بالعضو واتزاجه
١١٢ الفصل الثاني - اجنوب لاعتمدية في التزمت التمه
١٢٣ الفصل الثالث - لاتمبر كيز في الامه ال: جهن لاهه
مشتقره بين التعلق
١٣٦ الفصل الرابع - اجنوب كبر في
.....

الكتاب الثالث

عدم توازن اداى وه نابع من روده

- ١٥٦ الفصل الاول - شبره ي من من
١٦٧ الفصل الثاني - شوهن برزقة قويه بواجبه
١٧٩ الفصل الثالث - شبرزد حاب ، قشمة
١٩٤ الفصل الرابع - كيف يمكن تحول مبرغ من مبرود نزهن
٢٠٠ الفصل الخامس - سباب غلاء مغلنه

الكتاب الرابع

اختلال النوازن الاقتصادى فى العالم

- ٢١٨ الفصل لأول — القوى الجديدة التى تدير العالم
٢٢٥ الفصل الثانى — الفحم الحجرى وزيت البترول : القوى
جديدة المبعنة عنهما ومكانها
الاجتماعية
٢٣٧ الفصل الثالث — موقف المانيا الاقتصادية
٢٤٩ الفصل الرابع — الأركان النفسية للضرائب الاميرية
٢٥٩ الفصل الخامس — بىء علم الاقتصاد الاساسية

الكتاب الخامس

تقوى جماعة الجديدة

- ٢٦٥ الفصل لاول — لادوم الاعتقادية فيما يتعلق بقوة الجماعات
٢٧٠ الفصل الثانى — مؤتمر حنوى كتمال عن النتائج التى يمكن
من تحصل عاينها جماعة من الجماعات
٢٦٠ الفصل الثالث — جماعات البرمائية الكبرى

- ٢٧٩ الفصل الرابع — تطور الجماعات نحو شكل عتيقده .
لاستبداد
- ٣٠٣ الفصل الخامس — جمعية لأمر وهدوء نسبي .
- ٣١٦ الفصل السادس — تنفيذ أمور بيده عن حرمته .

الكتاب السادس

كيف تتكون عقيدة لامة

- ٣٢٥ الفصل الاول — آراء لامريكيين بشأن تنظيم
- ٣٣٩ الفصل الثاني — طرق صلاح نسق التدريس في فرنسا .
وجامعات جرمانية
- ٣٥٠ الفصل الثالث — تعميم الاخلاق في سرده
- ٢٥٩ الفصل الرابع — تكوين العادات لاخلاقية بوسطة .

الكتاب السابع

المحافظات والحروب

- ٣٧٤ الفصل الاول — قيمه المحافظات

٣٩٣ الفصل الثاني — المظاهرات في سبيل التفوق الدولي

ولاحتفاظ بالكيان

٤٠١ الفصل الثالث — قضية العصاة

٤١٨ الفصل الرابع — تسكر حروب في المستقبل والاهام

المعقدة معسه نزع السلاح



الكتب الاتية تطلب من مكتبة العرب الشهيرة بالفجالة بمصر

غرض صاع مصرى

- | | |
|--|----|
| الرحلة السورية في الحرب العمومية بقلم شاهد عيان | ٥ |
| مالك سويني الارلندي تاريخه ووصف سجنه وصيامه ٩٥ يوم | ١٠ |
| الساق على الساق في ماهو الفارياق لاحد فارس العدياق | ٣٠ |
| رسائل اليازجى وبلية ديوانه التاريخي للشيخ ابراهيم اليازجى | ١٠ |
| أمثال الشرق والغرب وهو حكم وأمثال ليوسف البستاني | ٨ |
| تاريخ الصاميون الذين نبهوا من التفر | ٣ |
| مجموعة خطب سعد باشا زغلول الحديثة | ٥ |
| مشاهد العالم الجديد بقلم فؤاد صروف محرر المقتطف | ١٠ |
| تهذيب انفس | ٥ |
| تاريخ الفلسفة من أقدم عصورها الى الان بالصور | ١٥ |
| عامان في عمان وهي مذكرات خير الدين الزركلي عن شرق
الأردن وحوادث الامير عبد الله | ١٠ |
| زهة الطرف في قراءة الكف تعريب حنا أسعد الحامي | ٣ |
| وقائع شاهين مرعي الشقى اللبناني الشهير | ٥ |
| النساء والشفاء قصيدتان للمرحوم سليمان البستاني | ٢ |
| رواية الامير أو الفتاة الفقيرة | ٥ |
| بارد ليان وفوستا ٨ اجزاء | ٢٥ |
| زبقة الغور لامين الريحاني | ١٥ |
| الاباء والبنون بقلم ميخائيل نسيم | ١٠ |

الكتب الاثنية تطلب من مكتبة العرب بالفجالة بمصر

مرش صالح مصري

- ٥٠ زهرة المجلس ومنية الاديب الأنيس جوان كيران
١٠ بهجة الافراح في مناجاة الارواح للدكتور ابراهيم عريلي
١٥٠ الماهج الطبية في الامراض الافرنجية مجلدان للدكتور
صوايا طبع البرازيل
١٥ خلاصة تهذيب الكمال في اسماء الرجال للأصاري
٤ اسرار المراهقة بالقى محاورات بين اب طيب وابنه
للدكتور شخاشيري
١٠ جنة الأزواج تأليف الدكتورة ماري ستوبس تعريب
سليم خوري
١٠ المرأة وراء الفلاسفة جمه حسين نوزي
٢٠ حوران الدامية بالصور تأليف حنا ا و راشد
٢٠ جبل الدرروز « « « «
٢٥ تاريخ كلدو واثور جزآن طبع البسوعيين
٣٠ قاموس الاعلام لأشهر الرجال والساء جزآن تأليف خير
أدين الزركلي
١٠٠ الجاسوس على القاموس تأليف احمد فارس الشديان
طبع الاستانة
٢٥ اعلام المقطف طبع مجلة المقطف
١٠ خواطر نيازي تعريب ولي الدين يكن مزبن بالصور
٨ تحرير المرأة تأليف المرحوم قاسم امين
١٥ اخبار ابي واس لأبن منصور صاحب لسان العرب

